

# فرق معاصرة

تنتسب إلى الإسلام  
وبيان موقف الإسلام منها

تأليف

د. مخالب بن علي عولاجي

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

الجزء الأول

<http://www.saaid.net>

## مقدمة الطبعة الثالثة .

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد :  
فإن دراسة الفرق ومعرفة الأخطار التي تجلبها على المسلمين من أهم ما ينبغي أن يهتم به  
عامة المسلمين ، فضلاً عن طلاب العلم والدعاة إلى الله تعالى .  
وقد كان الصحابي الجليل حذيفة ربي الله عنه يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشر ؛  
بينما طبيعة الإنسان هي السؤال عن الخير ، وقد بيّن سبب ذلك بقوله : (( كان الناس يسألون  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الخير وكنت أسأله عن الشر ؛ مخافة أن  
يدركني )) .

ولقد مرت بالمسلمين ولا تزال تمر بهم الأخطار متلاحقة يتبع بعضها بعضاً بعد أن  
تكالب الأعداء على مختلف اتجاهاتهم ،، ووقفوا صفواً واحداً متناسين ما بينهم من عداوات  
واختلاف في العقائد الحرب المسلمين وفنتهم عن دينهم الخفيف ، في الوقت الذي غفل فيه  
المسلمون عن واقعهم وركن كثير منهم إلى أعدائهم أعداء عقيدتهم - فنفر بعضهم عن البعض  
الآخر بسبب تلك المؤامرات الخفية والظاهرة ، وما تبعها من اختلاف المسلمين في الموالاتة  
والأهواء .

وقد حذرنا الله عز وجل من الركون إلى الذين ظلموا فقال تعالى : { وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا  
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ } .

ومعلوم أنه لن تعود للمسلمين عزتهم ومكانتهم بين الأمم إلا إذا عادوا بصدق وإخلاص  
إلى كتاب ربهم وإلى سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

ولكن ومهما شعر بمرارة هذا التفرق ومهما بذلت من المحاولات لتكريس الفرقة - فإن  
الأمل يزداد في تجاوز المسلمين لهذا المحن . ومما يبشر بالخير ويجدد الآمال - هو إقبال الشباب  
على معرفة أسباب تلك التركة المشؤومة التي ورثوها ، تلك التركة التي تحكم الفرقة بينهم وتجعل  
منهم أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون ، فجنّدوا أنفسهم للقضاء عليها وإعادة الوحدة  
الإسلامية بين قلوب المسلمين ؛ ليصبحوا مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له  
سائر الجسد بالسهر والحمى ، وهي محاولات تحتاج إلى الصبر والإخلاص والدعوة بالحكمة

والموعظة الحسنة وإجلاء الأمور على حقيقتها ؛ فإن الأمر لا يحتاج إلى أكثر من التذكير ، وإذا شاء الله شيئاً يسره : { وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } .

وقد طمعت في أن أدلي بدلوي المتواضع ؛ لأتقدم إليك أخي القارئ بما يعتلج في صدري إزاء هذا التفرق الحاصل بين المسلمين ؛ لأذكرك بالأسباب التي أدت إليه وما يبئته أعداء دينك لك ، وما هو الواجب علينا أن نقوم به إزاء عقيدتنا ووحدة قلوبنا ، وكشف كل المحاولات التي تهدف إلى تعميق الفرقة بيننا ، وإلى إبعادنا عن تحقيق قوله الله تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } وقوله تعالى : { وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا } .

أخي القارئ الكريم ، لقد كنت ولا زلت أنظر إلى ما قدمته إليك في هذا الكتاب على أنه دون ما كان ينبغي أن يبذل ، وحسبي أنها إحدى الصيحات للوقوف في وجه تيار دعاة التفرقة وبيان أمرهم ومكائدهم ضد تآلف قلوب المسلمين ورغبتهم الشريرة في أن يبقى المسلمون على هذا التمزق والتنافر .

ورغم ذلك فقد أخبرني الناشر للكتاب أن طلاب العلم قد أقبلوا على شرائه برغبة لم يكن يتوقعها كما ذكر لي ذلك ؛ مما جعل الطبعة الأولى في سنة ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م تنفذ بسرعة ، فطلب إلي وألح في الطلب أن يعيد طباعته في سنة ١٤١٥ هـ فأبيت بسبب لا أكتملك إياه ؛ وهو أن تلك الطبعة فيها أخطاء كثيرة جداً ، وفيها تحريفات ونقص ، وترك علامات الترقيم مما حدى بكثير من الغيورين وفقهم الله إلى إرسال ملاحظاتهم التي استفدت منها كثيراً .

وتوقفت عن طباعة الكتاب حتى أنتهي من تصحيح كل الملاحظات ، فإذا بي أفاجأ بظهور طبعة جديدة عليها الطبعة الثانية في سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م وهي تصوير عن الطبعة السابقة وبنفس العيوب السابقة تماماً ، وقد آلمني هذا التصرف جداً إضافة إلى ما تلقيته من بعض الفضلاء من عتاب على نشره في الطبعة الثانية دون تصحيح لظنه رضي عنها ، مما جعلني أضعف الجهد في تصحيح الكتابة للطبعة الثالثة التي هي في الحقيقة الطبعة الثانية بعد أن أخبرني الناشر بأنه لا يأمن أن تصدر عدة طبعات دون علمي بها ولا استشارتي فيها .

وها أنا أقدم إليك هذه الطبعة على عجل ، وهي مصححة وفيها اختلاف كثير عن الطبعات السابقة ، مع طلبي من كل قارئ لها أن يتكرم بإبلاغي عن أي خطأ يجده لتتلافاه في المستقبل إن شاء الله تعالى ؛ فإن الكمال لله تعالى والنقص من طبيعة البشر .  
وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من أسهم في تقويم الكتاب ونبهني إلى الأخطاء ممن أعرفهم وممن لا أعرفهم .  
أسأل الله عز وجل أن يتولى ثوابهم وأن يجزل لهم الأجر وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم إن شاء الله تعالى ، وأن يعفو عن تقصيري وأن يجعلنا جميعاً من ورثة جنة النعيم .  
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

غالب بن علي عواجي

في ٢٠/١٠/١٤١٧ هـ .

المدينة النبوية

## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ....

وبعد ....

فأحمد الله تعالى على ما هيا للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية من طلاب علم ، جاؤوا من بلدان بعيدة وأماكن مختلفة للتزود بالعلم النافع في دينهم وديناهم ، ألف الله بين قلوبهم في هذه الجامعة الإسلامية المباركة ، وصاروا كالبنيان المرصوص وكالجسد الواحد ؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ....

ولا شك أن هذا المجتمع الطيب مما تزداد القلوب به انشراحاً ؛ فهي فرصة ثمينة للطلاب والمدرسين أتاحت لهم بفضل الله ثم بجهود القائمين على خدمة الإسلام والمسلمين بكل سخاء ، وحين أسند إليّ تدريس مادة الفرق منذ العام الدراسي ١٤٠٥ هـ ، كنت مستشعراً أهمية هذه المادة المفيدة لتفهيم أبناء المسلمين ما يببته لهم أعداؤهم من الإصرار على تفتيت وحدتهم ، والتشويش على أفكارهم - إن لم يتمكنوا من إخراجهم عن دينهم نهائياً - وهم يعلمون هذا تحت ستار إظهار الإسلام والانتساب إليه ؛ مما جعل الكثير من أبناء المسلمين يقعون ضحية تلك المؤامرات الخفية منها والظاهرة ، ومما يدعو إلى الأسف زهد كثير من المسلمين عن البحث في حقيقة تلك الفرق فجعلوا الأخطار التي تبين لهم ، فلم يعد البحث عن تلك الطوائف والتصدي لها مثال أخذ ورد بين الكثير من طلاب العلم - فضلاً عن العامة - وفي مقابل هذا أقول بكل تفاؤل : إنه مما يسرني جداً في أثناء تدريسي لهذه المادة شدة رغبة وإقبال الشباب على تفهم ودراسة أفكار تلك الطوائف ومعرفة جذورها التاريخية وعقائدها المختلفة وأفكارها المتباينة بحماس واضح ورغبة صادقة ؛ بعد ما اتضح لهم مقدار الحاجة إلى مثل هذه الدراسة .

ولقد كانت هذه الفرق التي يموج بها العالم الإسلامي ودراستها ، ومعرفة مخاطرها الظاهرة والخفية على الإسلام والمسلمين محل اهتمامي ؛ فكنت أقرأ كل ما تيسر لي الاطلاع عليه من كتب علماء السنة ، وما كتبه غيرهم ، ثم أثبت كل ما استحسنته وكان صواباً من تلك الكتب أثناء دراستي لها من فوائد علمية ، وآراء مهمة ، ومناقشات هادفة ، فجمعت شتات كثير من

الفوائد التي تهم الراغب في دراسة الفرق مع بيان الحق ورد كل ما يعارض الاعتقاد السليم ، ولم أهتم بذكر الفرق الفرعية بكل طائفة إلا ما دعت إليه الحاجة وهو قليل وقد كتبت كل ذلك لنفسي ، فلما اجتمع لي ما استحسنته من إثبات شتات كثير من المعلومات عن الفرق في مكان واحد رجوت الله تعالى أن ينفعني وإخواني طلاب العلم به ، وأن يكون منجداً أولاً لدراسي الفرق .

ولرغبة الأحبة من طلاب العلم قدمته لهم ، سائلاً المولى جلت قدرته أن يجدوا فيه ما ينفعهم ويعينهم على فهم حقيقة تلك الفرق التي يدرسونها .  
مع اعتذاري عما يوجد فيه من سهو أو تقصير ؛ فالخير أردت والكمال لله وحده . ولكل امرئ ما نوى ....

وقد قسمت هذه الدراسة إلى : أبواب . وفصول لكل باب :

الباب الأول مقدمة في دراسة الفرق ، وتشمل الفصول الآتية :

١. الفصل الأول : الهدف من دراسة الفرق

٢. الفصل الثاني : أهمية دراسة الفرق

٣. الفصل الثالث : النهي عن التفرق وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الأدلة من القرآن الكريم .

المبحث الثاني : الأدلة من السنة النبوية .

٤. الفصل الرابع : حصر الفرق في العدد المذكور في حديث الافتراق ، ويشتمل

على مبحثين

المبحث الأول : من الفرق ؟

المبحث الثاني : معنى قوله صلى الله عليه وسلم : (( كلها في النار إلا واحدة )) .

٥. الفصل الخامس : كيف ظهر الخلاف والتفرق بين المسلمين

٦. الفصل السادس : مدى سعة الخلاف الذي كان يحصل بين الصحابة وموقفهم

منه . وكيف تطور بعدهم إلى تمزيق وحدة الأمة الإسلامية

٧. الفصل السابع : مظاهر الخلاف بين المسلمين

٨. الفصل الثامن : كيف تبدأ الفرق في الظهور

٩. الفصل التاسع : منهج العلماء في عدّ الفرق

١٠. الفصل العاشر : ما المراد بأمة الإسلام؟

١١. الفصل الحادي عشر : أهم أسباب نشأة الفرق

الباب الثاني : فرقة السلف أهل السنة والجماعة

١. الفصل الأول : تمهيد حول دراسة هذه الطائفة

٢. الفصل الثاني : الأخطار التي تحيط بأهل السنة والجماعة

٣. الفصل الثالث : عقيدة فرقة أهل السنة والجماعة

٤. الفصل الرابع : أسماء هذه الطائفة وألقابهم

٥. الفصل الخامس : ما هي عقيدة السلف وما هو منهجهم في مسائل الاعتقاد

والاستدلال لها؟ وما معنى كلمة عقيدة

٦. الفصل السادس : أقوال السلف في وجوب التمسك بالسنة والحذر من البدع

٧. الفصل السابع : لزوم السلف جماعة المسلمين وتحذيرهم من التفرق وأدلتهم على ذلك

٨. الفصل الثامن : الثناء على السلف رحمهم الله تعالى

٩. الفصل التاسع : جهودهم في خدمة الإسلام

١٠. الفصل العاشر : بيان وسطية أهل السنة في مسائل الاعتقاد وسلامتهم من ضلالي

الإفراط والتفريط صلى الله عليه وسلم

١١. الفصل الحادي عشر : علامات وسمات الفرقة الناجية وعلامات وسمات الفرق الهالكة

مزايا العقيدة السلفية وأصحابها

١٢. الفصل الثاني عشر : ذكر أشهر أئمة أهل السنة ومؤلفاتهم في العقيدة

١٣. الفصل الثالث عشر : تنبيهات مهمة على مسائل في العقيدة

الباب الثالث : دراسة عن الخوارج ، وفيه الفصول الآتية :

١ . الفصل الأول : تمهيد وجود الخوارج في الماضي والحاضر

٢ . الفصل الثاني : التعريف بالخوارج لغة واصطلاحاً .

٣ . الفصل الثالث : أسماء الخوارج وسبب تلك التسميات

٤ . الفصل الرابع : متى خرج الخوارج

٥ . الفصل الخامس : محاورات الإمام علي للخوارج في النهروان

٦ . الفصل السادس : أسباب خروج الخوارج

٧ . الفصل السابع : حركات الخوارج الثورية وفرقهم وعددهم

٨ . الفصل الثامن : دراسة أهم فرق الخوارج، وهم الإباضية

وتشمل دراسة هذه الطائفة ما يلي .

١- تمهيد .

٢- زعيم الإباضية .

٣- هل الإباضية خوارج ؟

٤- فرق الإباضية .

٥- دولة الإباضية .

٦- موقف الإباضية من المخالفين لهم :

أ- موقفهم من سائر المخالفين .

ب- موقفهم من الصحابة .

٧- عقائد الإباضية .

٩ . الفصل التاسع : إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للخوارج ، ويشمل الآتية :

المسألة الأولى : هل الخوارج يقولون بالتأويل أم بظاهر النص فقط ؟

المسألة الثانية : موقف الخوارج من صفات الله تعالى .

المسألة الثالثة : حكم مرتكبي الذنوب عند الخوارج .

المسألة الرابعة : الإمامة العظمى .

المسألة الخامسة : موقفهم من عامة المسلمين المخالفين لهم .

المسألة السادسة : حكم الخوارج في أطفال مخالفهم .

١٠. الفصل العاشر : الحكم على الخوارج

الباب الرابع : وقد خصص لدراسة الشيعة ، من خلال الفصول الآتية :

١ . الفصل الأول : التعريف بالشيعة لغة واصطلاحاً، وبيان التعريف الصحيح

٢ . الفصل الثاني : بيان متى ظهر التشيع.

٣ . الفصل الثالث : مراحل دعوى التشيع

٤ . الفصل الرابع : أسماء الشيعة

٥ . الفصل الخامس : فرق الشيعة وتشمل :

١- تمهيد .

٢- السبب في تفرقهم .

٣- عدد فرقهم .

٤- السبب في عدم اتفاق العلماء على عدد فرقهم .

٦ . الفصل السادس : دراسة أهم فرق الشيعة

١- السبئية .

٢- الكيسانية .

٣- المختارية .

٤- الزيدية .

٥- الرافضة : وتشمل دراستها ما يلي :

أ- تعريفهم لغة واصطلاحاً .

ب- سبب تسميتهم بالرافضة .

ج- وجودهم قبل اتصاهم بزید .

د- أسماءهم قبل اتصاهم بزید .

هـ فرقهم وهم :

١- المحمدية .

٢- الاثنا عشرية : وتشمل دراستها :

أ- أسماءهم وسبب تلك التسميات .

ب- سبب انتشار مذهبهم وأماكن انتشارهم .

ج- فرقهم وأهمها :

١- الشيخية .

٢- الرشتية .

٧. **الفصل السابع** : إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للشيعة ، ويشمل المسائل الآتية :

١- قصر استحقاق الخلافة في آل البيت على علي وذريته رضي الله عنهم ، وإنها كانت بنص

من النبي صلى الله عليه وسلم فيهم .

٢- دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء .

٣- تدينهم بالتقية .

٤- دعواهم المهدية والرجعة .

٥- موقفهم من القرآن الكريم .

٦- موقفهم من الصحابة .

٧- القول بالبداء على الله تعالى .

وتحت كل عنصر من العناصر السابقة إيضاح تام له وبيان الحق في كل تلك المسائل ، وبيان

أدلة الشيعة ومناقشتها وإبراز العقيدة السلفية في كل مسألة إن شاء الله تعالى .

٨. **الفصل الثامن** : الشيعة في العصر الحاضر وهل تغير خلفهم عن سلفهم؟

٩. **الفصل التاسع** : الحكم على الشيعة

**الباب الخامس** : وقد كان لدراسة الباطنية ، وقد اشتمل على الفصول الآتية :

١. **الفصل الأول** : تمهيد - في بيان خطر هذه الطائفة

٢. **الفصل الثاني** : متى ظهر مذهب الباطنية

٣. **الفصل الثالث** : الغرض من إقامة هذا المذهب وكيف تأسس

٤. **الفصل الرابع** : أسماء الباطنية وسبب تسميتهم بتلك الأسماء

٥ . الفصل الخامس : الطرق والحيل التي يستعملها الباطنيون لإغواء الناس

٦ . الفصل السادس : عقائد الباطنية ويشمل :

١- عقائدهم في الألوهية

٢- عقائدهم في النبوات .

٣- عقائدهم في الآخرة .

٤- عقائدهم في التكليف الشرعية .

الباب السادس : وهو دراسة عن النصيرية ، وقد اشتمل على الفصول الآتية :

١ . الفصل الأول : تمهيد في بيان خطر النصيرية

٢ . الفصل الثاني : زعيم النصيرية وسبب انفصاله عن الشيعة وموقفهم منه

٣ . الفصل الثالث : أسماء هذه الطائفة والسبب في إطلاقها عليهم

٤ . الفصل الرابع : نشأة النصيرية .

٥ . الفصل الخامس : تكتم النصيرية على عقائدهم

٦ . الفصل السادس : طريقتهم في تعليم مذهبهم

٧ . الفصل السابع : أهم عقائد النصيرية

١- تأليه علي رضي الله عنه وبرأه الله منهم .

٢- القول بالتناسخ .

٣- تقديس الخمر - عبدالنور .

٨ . الفصل الثامن : عبادات النصيرية

٩ . الفصل التاسع : أعياد النصيرية

١٠ . الفصل العاشر : موقف النصيرية من الصحابة

١١ . الفصل الحادي عشر : فرق النصيرية

١٢ . الفصل الثاني عشر : أماكن النصيرية

١٣ . الفصل الثالث عشر : محاولات لم تثمر

الباب السابع : وكان لدراسة الدروز ، وفيه الفصول الآتية :

- ١ . الفصل الأول : في بيان خطر هذه الفرقة
- ٢ . الفصل الثاني : التعريف بالدروز لغة واصطلاحاً وبيان أصل الدروز .
- ٣ . الفصل الثالث : زعيم الدروز .
- ٤ . الفصل الرابع : أسماء الدروز
- ٥ . الفصل الخامس : كيف انتشرت العقيدة الدرزية
- ٦ . الفصل السادس : معاملة الدروز لمن يكشف شيئاً من عقائدهم
- ٧ . الفصل السابع : أماكن الدروز
- ٨ . الفصل الثامن : طريقة الدروز في تعليم ديانتهم
- ٩ . الفصل التاسع : من هو الحاكم بأمر الله الذي ألهمه الدروز وبيان هلاكه .
- ١٠ . الفصل العاشر : أهم عقائد الدروز

١ - ألوهية الحاكم .

٢ - القول بالتناسخ .

٣ - إنكار القيامة .

٤ - عداوتهم للأنبياء .

٥ - إنكارهم التكليف .

١١ . الفصل الحادي عشر : الدروز في العصر الحاضر

- كمال جنبلاط ودوره في تثبيت عقيدة الدروز

١٢ . الفصل الثاني عشر : الفرق بين النصيرية والدروز

الباب الثامن : دراسة عن البهائية ، وفيه الفصول الآتية :

١ . الفصل الأول : نبذة عن أساس ظهور البهائية وبيان صلتها بالبايية . ثم بيان الطالب

الآتية :

١ - زعيم البايية

- ٢- صلة البايية بالمستعمرين في ذلك الوقت .
- ٣- نهاية الشيرازي .
- ٤- مؤتمر بدشت وما تم فيه من خطط .
- ٥- الكتاب المقدس للبايية .
- ٦- هزيمة البايية .

٢ . الفصل الثاني : خطر البهائية

٣ . الفصل الثالث : زعيم البهائية .

اسمه ومولده - دوره في مؤتمر بدشت - ثقافته - عمالته هو وأسرته لأعداء الإسلام من الإنجليز والروس واليهود - وفاته .

٤ . الفصل الرابع : المبادئ التي نادى بها البهائيون : ويشمل .

١- زعمهم وحدة جميع الأديان .

٢- وحدة الأوطان .

٣- وحدة اللغة .

٤- السلام العالمي .

٥- المساواة بين الرجل والمرأة .

٦- عقائد أخرى للبهائيين .

٥ . الفصل الخامس : أمثلة من تأويلات البهائية للقرآن الكريم

٦ . الفصل السادس : موقف البهائية من السنة النبوية .

٧ . الفصل السابع : السبب في انتشار تعاليم البهائية .

٨ . الفصل الثامن : كتاب البهائية الذي يقدسونه .

٩ . الفصل التاسع : أماكن البهائية

الباب التاسع : وفيه دراسة عن القاديانية ، وقد انتظم تمهيدا وفصول .

تمهيد: التحذير من ظهور دجالين يدعون النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم:

١ . الفصل الأول : كيف نشأت القاديانية

٢ . الفصل الثاني : زعيم القاديانية

٣ . الفصل الثالث : ختم النبوة وموقف القادياني منه

٤ . الفصل الرابع : كيف وصل القادياني إلى دعوى النبوة

١ - اتجاهه إلى التأليف والناظرات .

٢ - إلهاماته .

٣ - دعواه أنه المسيح الموعود وأمثلة من تأويلاته الباطلة للنصوص بمساعدة

صديقه الحكيم البهروي .

٤ - ادعاؤه النبوة .

٥ . الفصل الخامس : نبوءات الغلام المتنبئ .

٦ . الفصل السادس: غلوه وتفضيله نفسه على الأنبياء وغيرهم

٧ . الفصل السابع : أهم عقائد القاديانية .

١ - التناسخ .

٢ - التشبيه .

٨ . الفصل الثامن : علاقة القاديانية بالإسلام وبالمسلمين وبغير المسلمين، وموقف علماء

الهند وباكستان من القاديانيين .

٩ . الفصل التاسع : أسباب انتشار القاديانية .

١٠ . الفصل العاشر : وفاة القادياني .

١١ . الفصل الحادي عشر : بعض زعماء القاديانية

١ - الحكيم نور الدين البهروي .

٢ - محمود أحمد .

٣ - الخواجة كمال الدين

٤- شخصيات أخرى .

١٢. الفصل الثاني عشر : الفرع اللاهوتي .

١- زعيمه .

٢- مبادئه .

الباب العاشر : دراسة الصوفية ، وفيه الفصول الآتية :

١. الفصل الأول : تمهيد في بيان انحراف الصوفية بصفة عامة .

٢. الفصل الثاني : التعريف بالصوفية لغة واصطلاحاً .

٣. الفصل الثالث : هل توجد علاقة بين المتصوفة وأهل الصفة .

٤. الفصل الرابع : أسماء الصوفية وسبب تسميتهم بها

٥. الفصل الخامس : متى ظهر المذهب الصوفي

٦. الفصل السادس : حقيقة التصوف

٧. الفصل السابع : أقسام المتصوفة وذكر طرقهم واختيار الطريقة التجانية نموذجاً ودراستها بإيجاز .

٨. الفصل الثامن : الخلوات الصوفية ومنها الخلوات التجانية .

٩. الفصل التاسع : مغالطات لجنة جماعة الصوفية في مدينة "الورن" في نيجيريا

١٠. الفصل العاشر : كيفية الدخول في المذهب الصوفي .

١١. الفصل الحادي عشر : أصول الصوفية .

١٢. الفصل الثاني عشر: إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للصوفية ويشمل :

١- عقيدة المتصوفة في الإله عز وجل .

٢- عقيدة المتصوفة في الحلول .

٣- وحدة الوجود .

٤- وحدة الشهود، وبيان العلاقة بين وحدة الشهود ووحدة الوجود .

٥- الولاية وبيان المصطلحات الصوفية .

- ١٣ . الفصل الثالث عشر : الكشف الصوفي .
  - ١٤ . الفصل الرابع عشر : الشطحات الصوفية .
  - ١٥ . الفصل الخامس عشر : التكاليف في نظر الصوفية .
  - ١٦ . الفصل السادس عشر : الأذكار الصوفية .
  - ١٧ . الفصل السابع عشر : الوجد والرقص عند الصوفية .
  - ١٨ . الفصل الثامن عشر : الكرامات وخوارق العادات عند الصوفية .
  - ١٩ . الفصل التاسع عشر : تراجم زعماء الصوفية .
- الباب الحادي عشر : دراسة المرجئة ، وفيه الفصول الآتية .

أولاً: تمهيد:

- ١ . الفصل الأول : التعريف بالإرجاء لغة واصطلاحاً وبيان أقوال العلماء في ذلك
- ٢ . الفصل الثاني : الأساس الذي قام عليه مذهب المرجئة .
- ٣ . الفصل الثالث : كيف نشأ الإرجاء وكيف تطور إلى مذهب .
- ٤ . الفصل الرابع : بيان أول من قال بالإرجاء .
- ٥ . الفصل الخامس : أصول المرجئة .
- ٦ . الفصل السادس : أقسام المرجئة .
- ٧ . الفصل السابع : أدلة المرجئة لمذهبهم والرد عليها .
- ٨ . الفصل الثامن : مذهب أهل السنة في تعريف الإيمان .
- ٩ . الفصل التاسع : منزلة مذهب المرجئة عند السلف

الباب الثاني عشر : الجهمية

تمهيد : هل توجد آراء الجهمية في وقتنا الحاضر؟

- ١ . الفصل الأول : التعريف بالجهمية ومؤسسها
- ٢ . الفصل الثاني : نشأة الجهمية
- ٣ . الفصل الثالث : بيان مصدر مقالة الجهمية .

٤ . الفصل الرابع : ذكر أهم عقائد الجهمية إجمالاً . ثم دراسة الآتية :

- ١- إنكار الجهمية جميع الأسماء والصفات ، شبهاتهم والرد عليهم .
- ٢- قولهم بالإرجاء والجبر .
- ٣- إنكارهم الصراط .
- ٤- إنكارهم لميزان .
- ٥- قولهم بفساد الجنة والنار .

٥ . الفصل الخامس : الحكم على الجهمية

الباب الثالث عشر : المعتزلة ، وتشمل دراستهم الفصول الآتية :

- ١ . الفصل الأول : نشأتهم .
- ٢ . الفصل الثاني : أسماء المعتزلة وسبب تلك التسميات .
- ٣ . الفصل الثالث : مشاهير المعتزلة .
- ٤ . الفصل الرابع : ذكر أهم عقائد المعتزلة إجمالاً .
- ٥ . الفصل الخامس : الأصول الخمسة للمعتزلة بيانها، والرد عليها . ويشمل :
  - ١- التوحيد .
  - ٢- العدل .
  - ٣- الوعد والوعيد .
  - ٤- القول بالمنزلة بين المنزلتين .
  - ٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الباب الرابع عشر : " الأشاعرة أو السبعية " وتشمل دراستهم المطالبة الآتية :

- ١- ظهور الأشاعرة:
- ٢- أبو الحسن الأشعري:
- ٣- عقيدته .
- ٤- عقيدته كما بينها في كتابه الإبانة .
- ٥- أشهر زعماء الأشعرية .

٦ - موقف الأشاعرة من صفات الله تعالى .

الباب الخامس عشر : الماتريدية :

١ - التعريف بمؤسس الماتريدية:

٢ - أهم آراء الماتريدي إجمالاً:

الباب السادس عشر : دراسة أهم المسائل التي اتفق عليها أهل الكلام من الأشعرية

والماتريدية والمعتزلة والجهمية ، وتشمل :

١ - تقديم العقل على النقل.

٢ - جهل أولئك بمعنى توحيد الألوهية .

٣ - معنى التأويل عندهم الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المرجوح .

٤ - تعطيل النصوص عن مدلولاتها.

بيان شبههم والرد عليها في كل تلك المسائل .

٥ - جدول مختصر لبيان ثبوت صفات الله تعالى وتأويل الخلف لها .

هذا وأسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجد فيه قارئه ما يؤمله من الاستفادة وأن ينفع به .

وأرجوا من كل محب اطلع عليه أن يرشدني إلى ما يجد فيه من أخطاء ؛ فإن المؤمن للمؤمن كالمراة ، وهو من التعاون الذي حث الله عز وجل عليه في كتابه الكريم .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

٢٠ / ٣ / ١٤١٤ هـ

المدينة النبوية

# الباب الأول

## مقدمة في الفرق

وتشمل الفصول الآتية :

١. الفصل الأول : الهدف من دراسة الفرق
٢. الفصل الثاني : أهمية دراسة الفرق
٣. الفصل الثالث : النهي عن التفرق وفيه مبحثان :  
المبحث الأول : الأدلة من القرآن الكريم .  
المبحث الثاني : الأدلة من السنة النبوية .
٤. الفصل الرابع : حصر الفرق في العدد المذكور في حديث الافتراق ، ويشتمل على مبحثين  
المبحث الأول : من الفرق ؟  
المبحث الثاني : معنى قوله صلى الله عليه وسلم : ((كلها في النار إلا واحدة)) .
٥. الفصل الخامس : كيف ظهر الخلاف والتفرق بين المسلمين
٦. الفصل السادس : مدى سعة الخلاف الذي كان يحصل بين الصحابة وموقفهم منه. وكيف تطور بعدهم إلى تمزيق وحدة الأمة الإسلامية
٧. الفصل السابع : مظاهر الخلاف بين المسلمين
٨. الفصل الثامن : كيف تبدأ الفرق في الظهور
٩. الفصل التاسع : منهج العلماء في عدّ الفرق
١٠. الفصل العاشر : ما المراد بأمة الإسلام؟
١١. الفصل الحادي عشر : أهم أسباب نشأة الفرق

## الفصل الأول

### الهدف من دراسة الفرق

دراستنا للفرق ليس إقراراً أو فرحاً بها، أو شماتة على الآخرين، وإنما ندرسها مع أسفنا الشديد للتفرق الحاصل بين المسلمين، والذي نرجو من وراء هذه الدراسة أن تحقق أهدافاً طيبة في خدمة الإسلام، وفي كسر حدة الخلافات التي مزقت المسلمين وفرقتهم إلى فرق وأحزاب. والتي تهدف كذلك إلى جمع كلمتهم، ولفت أنظارهم إلى مواقع الخلاف فيما بينهم؛ ليبتعدوا عما وقع فيه من سبق من هذه الأمة، فإن الرجوع إلى الحق أولى من التماذي في الباطل، فهي نوع من أنواع العلاج لتلك المآسي الحائلة بالمسلمين، وسبب من الأسباب التي تبذل لينفع الله بها إن شاء؛ لأن معرفة الدواء النافع يتوقف على معرفة الداء.

ولا يحتاج المسلمون لجمع كلمتهم، وإعادة مجدهم وعزهم وانتصارهم على جحافل الكفر والطغيان إلا إلى العودة الصادقة والنية الخالصة، فإن الأسس التي قام عليها عز الإسلام والمسلمين فيما سبق لا تزال كما هي قائمة قوية جديدة على مر الأيام والليالي - كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

**ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.**

وتلك الأهداف التي نتطلع إلى تحقيقها كثيرة نذكر أهمها فيما يأتي:

١- تذكير المسلمين بما كان عليه أسلافهم من العزة والكرامة والمنعة حينما كانوا يداً واحدة، وقلباً واحداً.

٢- لفت أنظارهم إلى الحال الذي يعيشونه، ومدى ما لحقهم من الخسارة بسبب تفرقهم.

٣- توجيه الأمة الإسلامية إلى الوحدة فيما بينهم، وذلك بالتركيز على ذم التفرق وبيان مساوئه، وبيان محاسن اتحاد المسلمين، وجمعهم على طريق واحد.

٤- تبصير المسلمين بأسباب الخلافات التي مزقتهم فيما سبق من الزمان ليجتنبوها بعد أن يتدارسوها فيما بينهم بعزم قوي وصدق نية.

٥- معرفة ما يطرأ على العقيدة الإسلامية الصحيحة من أفكار وآراء هدامة مخالفة لحقيقة الإسلام بعيدة عن طريقه الواضحة.

٦- رصد تلك الحركات والأفكار التي يقوم بها أولئك الخارجون عن الخط السوي والصراف المستقيم؛ لتعرية دورهم الخطر في تفريق وحدة الأمة الإسلامية بتعريف الناس بأمرهم، وجلاء حقيقتهم للتحذير منهم، وبيان ما يقومون به من خدمة تلك الأفكار وترويجها.

ذلك أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم في وضوح تام؛ فلكل قوم وارث<sup>(١)</sup>.

٧- حتى تبقى الفرقة الناجية علماً يهتدي به بعيدة عن تلك الشوائب الطارئة على العقيدة.

٨- وصل حاضر هذه الأمة بماضيها، وبيان منشأ جذور الخلافات بينهم والتي أدت إلى تفرقهم فيما مضى من الزمان للتحذير منها، ولرد على أولئك الذين يحاولون دعوة المسلمين إلى قطع صلتهم بماضيهم، والبناء من جديد كما يزعمون.

٩- ثم إن دراستنا للفرق وإن كان يبدو عليها أنها بمثابة جمع لتراث الماضين - فإنه يراد من وراء ذلك دعوة علماء المسلمين إلى القيام بدارسته وفحصه واستخراج الحق من ذلك، واستبعاد كل ما من شأنه أن يخرج بالمسلمين عن عقيدتهم الصحيحة أو يفرق كلمتهم.

وهذا فيما أرى هو أنجح الطرق وأقربها إلى إشعار المخالفين بالإنصاف وطلب الحق للاستدلال على خلافهم وخروجهم عن الصواب من كتبهم ومن كلام علمائهم لقطع كل حجة مخالفة بعد ذلك.

\*\*\*\*\*

(١) قال ولي الله الهلوى (( إذا قرأت القرآن فلا تحسب أن المخاصمة كانت مع قوم انقرضوا ، بل الواقع أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم بطريق الأ نموذج بحكم الحديث (( لتتبعن سنن من كان قبلكم )) الحديث أخرجه الترمذي ( ج ص ٤٧٥ ) .  
انظر (( مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص نقلا عن الفوز الكبير ص ٢٦ )) .

## الفصل الثاني

### أهمية دراسة الفرق

#### ورد شبهة من يريد عدم دراستها

بيّننا فيما مضى بعض الأهداف التي ندرس الفرق من أجلها، ونجيب هنا عن شبهة لكثير من الناس ربما يرددونها بعضهم منخدعاً بحسن نية، والبعض الآخر يرددونها بنية سيئة.

وهي: لماذا نشغل أنفسنا بدراسة فرق انتهت، وربما لم يعد لها ذكر على الألسنة.. وقد رد

العلماء عليها قديماً وحديثاً وانتهى الأمر؟

**والجواب:** إن هذا التساؤل قد انطوى على مغالطات خفية ونية سيئة، أو جهل شنيع،

وذلك:

**أولاً:** إن هذه الفرق وإن كانت قديمة فليست العبرة بأشخاص مؤسسي تلك الفرق ولا

بزمانهم، ولكن العبرة بوجود أفكار تلك الفرق في وقتنا الحاضر.

فإننا إذا نظرنا إلى فرقة من تلك الفرق الماضية نجد أن لها امتداداً يسري في الأمة سريان

الوباء.

وأقرب مثال على ذلك فرقة المعتزلة، أليس أفكارهم لا زالت حية قوية يتشدد بها بعض

المعرضين من الذين استهوتهم الحضارة الغربية أو الشرقية، فراحوا يمجدون العقل ويحكمونه في كل

الأمور، ويصفون من يعتمد على ما وراء ذلك بالتأخر والانزواء .

إنهم يريدون الخروج عن النهج الإسلامي ولكنهم لم يجرؤوا صراحة على ذلك، فوجدوا أن

التستر وراء تلك الآراء التي قال بها من ينتسب إلى الإسلام خير وسيلة لتحقيق ذلك، فذهبوا إلى

تمجيد تلك الأفكار لتحقيق أهدافهم البعيدة.

**ثانياً:** مما هو معلوم أن كل الأفكار والآراء التي سبقت لها أتباع ينادون بتطبيقها، فالنزعة

الخارجية وتنطع أهلها في الدين، واستحلال دماء المسلمين لأقل شبهة، وتكفيرهم الشخص بأدنى

ذنب - قائمة الآن في كثير من المجتمعات الإسلامية على أشدها، موهمين الشباب ومن قلت

معرفته بالدين أن الدين هو هذا المسلك فقط.

كذلك نرى الصوفية وقد اقتطعت من المسلمين أعداداً كثيرة، مثقفين وغير مثقفين، جَرَفَهُم التيار الخرافي فراحوا ينادون بالجهل والخرافات، واتباع المناومات، وتحضير الأرواح، ومعرفة المغيبات، وتعظيم الأشخاص والغلو فيهم.

وغير ذلك من مسالك الصوفية التي سندرسها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

وعلى هذا، فدراستنا هذه وإن كنت في ظاهرها دراسة للماضي، ومراجعة للتاريخ لفرق المبتدعة الذين جَنَوْا على ماضي المسلمين إلا أنها دراسة حاضرة كذلك من حيث إنها تكشف جذور البلاء الذي شتت قوى المسلمين وفرقهم شيعاً، وجعل بأسهم بينهم شديداً، بل هي نور يضيء لشبابنا طريقه وسط هذا الظلام الفكري المفتعل، الذي لا يخدم إلا أعداء الإسلام وشائنيه بتوجيه الأنظار إلى تلك الفرق التي تعمل في الظلام لنشر أفكارها، وفرض مخططاتها المعادية للإسلام.

**ثالثاً:** إن دراسة الفرق والدعوة إلى الاجتماع واتحاد كلمة المسلمين -فيه تكثير لعدد الفرقة الناجية بانضمام أولئك الخارجين عن الحق ووقوفهم إلى جانب إخوانهم أهل الفرقة الناجية؛ فيكثر عددهم فيصح فيهم ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام فرقة من المسلمين : ((**ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك**))<sup>(٢)</sup> وتزكنا لدراسة الفرق يفوت علينا هذا الخير العظيم.

**رابعاً:** أضف إلى ذلك أن ترك الناس دون دعوة إلى التمسك بالدين الصحيح، ودون بيان أضرار الفرق المخالفة، فيه إبطال لما فرضه الشرع من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الفرق التي ظهرت، ما من فرقة منها إلا وقد قامت مبادئها على كثير من المنكرات، وهي تدعي أنها هي المحقة وما عداها على الضلال، فألبسوا الحق بالباطل، وأظهروا مروقهم وخروجهم وفجورهم عن منهج الكتاب والسنة في أثواب براقية لترويج بدعهم، والدعوة لها.

**خامساً:** إن عدم دراسة الفرق والرد عليها وإبطال الأفكار المخالفة للحق، ففيه إفساح المجال للفرق المبتدعة أن تفعل ما تريد، وأن تدعو إلى كل ما تريد من بدع وخرافات دون أن تجد من يتصدى لها بالدراسة والنقد كما هو الواقع؛ فإن كثيراً من طلاب العلم -فضلاً عن عوام

(٢) أخرجه الترمذي (ج ٤ ص ٤٨٥ و ٥٠٤).

المسلمين- يجهلون أفكار فرق يموج بها العالم، وهي تعمل ليلاً ونهاراً لنشر باطلهم، ولعل هذه الغفلة من المسلمين عن التوجه لكشف هذه الفرق المارقة لعله من تخطيط أولئك المارقين الذين نجحوا في حجب الأنظار عنهم وعن مخططاتهم الإجرامية.

ولا أدل على ذلك من أنك تجد بعض الأفكار وبعض العبارات يرددتها كثير من المسلمين دون أن يعرفوا أن مصدرها إما من المعتزلة (٣)، أو من الصوفية (٤)، أو البهائية (٥)، أو القاديانية (٦)، أو الخوارج (٧)، أو الشيعة (٨)، إلى غير ذلك.

ومن المعلوم أن ذلك إنما يعود إلى الجهل بأفكار هذه الطوائف (٩).

\*\*\*\*\*

(٣) أي تقديس المعتزلة للعقل، وجعله هو الحكم الفاصل في كل قضية، وتقديمه علي النصوص .

(٤) مثل إطلاق لفظ العشق علي الله أو الرسول صلى الله عليه وسلم، كقولهم (( عاشق النبي ..... يصلي عليه )) .

(٥) مثل تقديس العدد ١٩ .

(٦) مثل تأويل آيات القرآن بالهوى .

(٧) مثل تكفير المجتمعات الإسلامية .

(٨) مثل بغضهم الصحابة، ومثل انتظار محمد بن الحسن العسكري، ومثل المبالغة في حب الحسين، الخ ...

(٩) انظر كتاب (( مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم )) تأليف محمد العبدية، وطارق عبدالحكيم (ص ٢٧- ٢٨ وكذا ص

## الفصل الثالث النهي عن التفرق

لقد كان هذا الأمر مما عني به القرآن الكريم أيما عناية وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن اهتدى بهديه من أصحابه البررة والتابعين لهم بإحسان، ويشتمل هذا الفصل على مبحثين وهما:

### المبحث الأول: الأدلة من القرآن الكريم:

ومما جاء في القرآن الكريم، وهي آيات كثيرة ثبت منها قوله تعالى:

١- { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } (١٠) .

٢- { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } (١١).

٣- { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } (١٢).

والآيات واضحة في معناها ودلالاتها ولا تحتاج إلا إلى التطبيق بجد وإخلاص، فهي تحذر من التفرق وتدعو إلى الوحدة وجمع كلمة المسلمين، والسير في طريق واحد. فإذا تفرق المسلمون بعد ذلك فهم خارجون عن السير فيه، وحينما تفرق المسلمون أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، زعمت كل فرقة أنها هي الناجية، وما عداها هالك، حتى التبس الأمر على كثير من المسلمين فلم يهتد إلى الفرقة الناجية بسبب تلك المزايم، ولا ينبغي أن نأبه لتلك المزايم، بل نعرض كل ما نسمع على كتاب الله وسنة نبيه، فما وافقهما فهو الحق، وما خالفهما عرفنا أنه باطل وهذا هو الميزان الذي ينبغي أن نزن به كل قول ومعتقد مهما كان مصدره كما هو حال أهل السنة في عرضهم للأقوال والمعتقدات على كتاب الله وسنة رسوله، وهو توفيق من الله لهم، وهم الفرقة الناجية، وهم أهل الحق إلى أن تقوم القيامة.

(١٠) سورة الأنعام: الآية ١٥٣ .  
(١١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣ .  
(١٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٩ .

## المبحث الثاني : الأدلة من السنة النبوية:

ومن عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى اجتماع كلمة المسلمين وتحذيرهم عن التفرق أحاديث كثيرة منها على سبيل المثال:

١- ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطأً ثم قال: ((هذه سبيل الله)) ثم خط خطوطاً عن يمينه، وخطوطاً عن يساره ثم قال: ((هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه)) ثم قرأ هذه الآية: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} (١٣) .

٢- وفي حديث العرياض بن سارية قوله صلى الله عليه وسلم: ((فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)) (١٤) .

٣- وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم حذيفة عند ظهور الخلاف والتفرق في الدين بقوله: ((تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم)) قال حذيفة: قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: ((فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)) (١٥) .

٤- وعن معاوية بن أبي سفيان قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة... وهي الجماعة)) (١٦) .

وفي رواية عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن بني إسرائيل افترت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة)) (١٧) .

(١٣) أخرجه الدارمي في مسنده ولا شك أن الحديث ينطبق تماماً على الفرق الخارجة عن الحق ، فإن علي رأس كل طائفة شياطين يدعون الناس إلي مسالكهم ، والسير في سبيلهم .

(١٤) أخرجه الترمذي ج ٤ ص ٢٠٩ وأبو داود ج ٢ ص ٥٠٦ واللفظ له .

(١٥) متفق عليه البخاري ج ١٣ ص ٣٥ ومسلم ج ٤ ص ٥١٤ .

(١٦) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ٥٠٣/٢ ، والترمذي ٢٥/٥ ، وابن ماجه ١٣٢٢/٢ ، وأحمد ٣٢٢/٢ ، ١٢٠/٣ ، ١٤٥ .

(١٧) أخرج نحوه أبو داود عن أبي هريرة ( ج ٢ ص ٥٠٣ ) .

ولا بد لنا من وقفة عند هذا الحديث الذي أضاف إلى التحذير من الافتراق الإخبار بهلاك تلك الفرق الضالة إلا واحدة منها، ثم حصر الفرق في العدد المذكور، ورغم كثرة الروايات المختلفة لحديث المذكور إلا أنه لم يخل عن الاختلاف في صحته، وسنقف هنا عند دراسته على الأمور التالية:

### سند الحديث:

رُوي هذا الحديث بعدة أسانيد، إلا أن العلماء وقفوا بالنسبة لقبوله المواقف التالية:

- ١- منهم من لم يصححه، ولم يجوز الاستدلال به. وهم بعض العلماء كابن حزم وغيره.
- ٢- ومنهم من اكتفى بتعدد طرقه. وتعدد الصحابة الذين رووا هذا المعنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ٣- ومنهم من أخذ به وحاول أن يحصر الفرق في العدد المذكور كالبغدادي رحمه الله وغيره (١٨).

وحيثما تعرض شيخ الإسلام - رحمه الله - للكلام عن الفرق، قال عن الحديث: ((مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين، وقد ضعفه ابن حزم وغيره، لكن حسنه غيره أو صححه كما صححه الحاكم وغيره، وقد رواه أهل السنن وروى من طرق)) (١٩). وفي مجموع الفتاوى ورد قوله: ((الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد، كسنن أبي داود والترمذي والنسائي)) (٢٠).

\* \* \* \* \*

(١٨) انظر (( الفرق بين الفرق )) تعليق محمد محي الدين ص ٦ .  
(١٩) منهاج السنة ج ٥ ص ٤٨ - ٤٩ .  
(٢٠) مجموع الفتاوى ج ٣ ص ٣٤٥ .

## الفصل الرابع

### حصص الفرق في العدد المذكور في حديث الافتراق

ويشمل مبحثين:

والواقع أن حصص الفرق في العدد المذكور تفصيلاً ليشمل كل فرقة - فيه إشكال، وذلك أن أصول الفرق لا تصل إلى هذا العدد، وفروعها تختلف وجهات نظر العلماء في عدّها أصلية أو فرعية، ثم إن فروع الفرق تصل إلى أكثر من هذا العدد، فهل نعد الأصول مع الفروع؟ أو الأصول فقط؟ أو الفروع فقط؟.

كذلك فإن الفرق ليس لظهورها زمن محدد، أي لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم تحديد لنهاية تفرق أمته. وعلى هذا فإن الصواب أن يقال: إن الحديث فيه إخبار عن افتراق أمة محمد صلى الله عليه وسلم دون تحديدهم بزمن بعينه، بحيث لا يصدق إلا على أهله فقط، وإنما أخبر عن افتراق أمته، وأمته صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة... إذاً فلا نحددها بزمن. وينبغي أيضاً أن نعد الفرق في أي عصر ظهرت فيه، بغض النظر عن وصولها إلى العدد المذكور في الحديث أو عدم وصولها، فلا بد أن يوجد هذا العدد على الوجه الذي أراده الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبر به، في عصرنا أو في غير عصرنا (٢١).

### المبحث الأول: من الفرق الناجية؟

أما من هي الفرق الناجية، فقد اختلف العلماء في المراد بهم على أقوال، هي إجمالاً:

١- قيل: إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام.

٢- وقيل: هم العلماء المجتهدون الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أمتي

لا تجتمع على ضلالة)) (٢٢)، أي لن يجتمع علماء أمتي على ضلالة، وخصهم شيخ الإسلام بعلماء الحديث والسنة.

(٢١) انظر الاعتصام ج ٢ ص ٢٢٢. وانظر تعليق محمد محي الدين عبدالحميد في أول كتاب ((الفرق بين الفرق))، ص ٧.  
(٢٢) أخرجه ابن ماجه ١٣٠٣/٢، وابن أبي عاصم في السنة ٤١/١، وأبو داود ٤٥٢/٤، والترمذي ٤٦٦/٤ وقال: غريب من هذا الوجه، الحاكم في المستدرک ١/١٥٥.

٣- إنهم خصوص من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم في رواية: ((ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) (٢٣).

٤- إنهم جماعة غير معروف عددهم ولا تحديد بلدانهم، أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بإخبار الله له أنهم على الحق حتى يأتي أمر الله. ولعل هذا هو الراجح من تلك الأقوال ونحن نطمع إن شاء الله أن نكون منهم مادمننا على التمسك بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى منهج سلفنا الكرام.

٥- وفيه قول خامس، أن الجماعة هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير (٢٤).

### المبحث الثاني معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ((كلها في النار إلا واحدة))

وأما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ((كلها في النار)) فقد ذكر الشاطبي ما حاصله:

١- أن هذه الفرق لا بد أن ينفذ فيها الوعيد لا محالة.

٢- أنهم مثل أهل الكبائر تحت المشيئة (٢٥).

٣- أن الأولى عدم التعرض لتعيين الفرق غير الناجية بالحكم عليها بالنار، لأن النبي عليه السلام نبه عليها تنبيهاً إجمالياً لا تفصيلاً إلا القليل منهم كالخوارج (٢٦).

والذي يظهر لي أن الفرق تختلف في بعدها أو قربها من الحق، فبعضها يصح أن يطلق على أصحابها أنهم أهل بدعة أو معصية وحكمهم حكم أصحاب الكبائر، وبعضها لا يصح وصف أصحابها إلا بالكفر لخروجهم عن الإسلام مثل فرق الباطنية والسبئية والميمونية من الخوارج.. الخ، ويكون حكمهم حكم الكفار الخارجين عن الملة، ولو تظاهروا بالإسلام.

\* \* \* \* \*

(٢٣) أخرجه الترمذي ٥ / ٢٦.

(٢٤) الاعتصام - بتصرف - ج ٢ ص ٢٦٠ - ٢٦٤ ، وقد فصل القول فيها . وانظر مجموع الفتاوى ج ٣ ص ٣٤٥ .

(٢٥) الاعتصام ج ٢ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢٦) ذكره الشاطبي في الموافقات . انظر أهم الفرق في هذا الكتاب .

## الفصل الخامس

### كيف ظهر الخلاف والتفرق بين المسلمين

كان الخلاف في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ينتهي فور وصوله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حين يحكم فيه، وبعد وفاته وحتى آخر عصر الخلفاء الراشدين كان المسلمون على منهج واحد في أصول الدين وفي فروعها، إلا أنه قد وجدت بعض الأمور التي كانت محل خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، ولكنهم قضوا عليها بثباتهم ونياتهم الصادقة - بعد توفيق الله لهم - نذكر منها على سبيل الإيجاز ما يلي:

١. ما أصاب بعض الصحابة من الدهشة من موت الرسول صلى الله عليه وسلم هل مات الرسول كما مات غيره من الأنبياء؟ لأن الله تعالى يقول: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} (٢٧)، أم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يموت وإنما هو في غيبوبة وسيفيق منها، حتى قال عمر رضي الله عنه: من قال إن رسول الله مات - ضربته بالسيف؟  
وحيثما جاء أبو بكر رضي الله عنه قضى على هذا الخلاف، وأقر الجميع بموت الرسول صلى الله عليه وسلم.

هكذا يذكر أصحاب المقالات، ومن وجهة نظري لا أرى أن هذا يشكل خلافاً حقيقياً وإنما هي حالة طارئة مرّت بالمسلمين دون أن تشكل ظاهرة خلافية.

٢. اختلفوا كذلك في موضع دفنه:

١ - فأراد أهل مكة رده إلى مكة.

٢ - وأراد أهل المدينة دفنه بها.

٣ - وقال آخرون بنقله إلى بيت المقدس.

ولكل فريق من هؤلاء حججه على ما يراه لكن الخليفة الراشد الصديق رضي الله عنه قضى على هذا الخلاف حينما روي لهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((ما قبض الله نبياً إلا في

الموضع الذي يجب أن يدفن فيه )) (٢٨)... والخلاف في هذه المسألة يعتبر خلافاً خطيراً؛ إذ لو وقف كل فريق عند رأيه وعاند لأدى ذلك إلى فتنة عظيمة.

٣. اختلفوا في تسيير جيش أسامة، هل يبقى بالمدينة كما يرى عمر وغيره، لضرورة الحاجة إليه؟ أم يذهب لما وجهه الرسول عليه السلام كما يرى أبو بكر؟ وقد شرح الله صدورهم لتوجيهه، وكان في ذلك خير عظيم.

٤. ثم اختلفوا في قتال مانعي الزكاة، هل يقاتلون كما يقاتل الكفار لأنهم فرقوا بين ركنين من أركان الإسلام؟ أم لا يقاتلون ما داموا يشهدون الشهادتين، ويؤدون الصلاة؟.

ثم انتهى الخلاف بقبول رأي أبي بكر في قتال هؤلاء. وحتى الذين خالفوا في قتال مانعي الزكاة ما كانوا يريدون تركهم مطلقاً، وإنما كانوا يرون تأخير حسابهم معهم إلى حين القضاء على من هو أخطر منهم وأشد شوكة.

٥. وكالاختلاف في الإمامة لمن تكون لقريش أم للأنصار؟ واجتماعهم في سقيفة بني ساعدة، ورجوعهم أخيراً إلى مبايعة أبي بكر الصديق حينما تبين لهم الحق في قوله.

ثم تفاقم التصدع والانشقاق الخطير شيئاً فشيئاً إلى أن انتهى بمقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه، حينما سعى في ذلك عدو الله ابن سبأ، ثم أصبح المسلمون فرقاً وأحزاباً وفشت بينهم العداوة والبغضاء إلا من رحم الله (٢٩)؛ مصداقاً لقول عثمان رضي الله عنه: ((فوالله لئن قتلتموني لا تحابون بعدي ولا تصلون بعدي جميعاً ولا تقتلون بعدي جميعاً عدواً أبداً)) (٣٠).

\* \* \* \* \*

(٢٨) أخرجه الترمذي ٣ / ٣٣٨ ، وصححه الألباني صحيح الجامع ٥٦٤٩ .

(٢٩) ذكر البغدادي جملة من تلك الاختلافات ابتداء من ص ١٤ في كتابه (( الفرق بين الفرق )) .

(٣٠) انظر البداية والنهاية ج ٧ / ١٨٤ .

## الفصل السادس

### مدى سعة الخلاف الذي كان يحصل بين الصحابة

وموقفهم منه.

### وكيف تطور بعدهم إلى تمزيق وحدة الأمة الإسلامية

رأينا فيما سبق أن الصحابة اختلفوا في مسائل لو أنها عند غيرهم لأريققت في بعضها الدماء، ولكن الصحابة ما كانوا يريدون الخلاف لذاته أو لأهوائهم كما حصل فيما بعد عند غيرهم.

إلا أن جل خلافهم إنما كان حول فهم نص من كتاب الله أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهي أمور أكثرها اجتهادية شبيهة بما كان يحصى أحياناً في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كما حصل في أمر صلاة العصر حينما توجهوا إلى بني قريضة، وكان أحدهم إذا تبين له صحة وجهة نظر أخيه ترك خلافه، ورجع إلى الحق، بل وربما يرجع عن خلافه في مثل المسائل الاجتهادية؛ حرصاً على جمع الكلمة، وسداً لمنافذ الخلافات أو فتح الثغرات التي يأوي إليها المتربصون بهم...

ومما ورد في كره الصحابة للخلاف، ورجوع بعضهم عنه في مسائل الاجتهاد خوفاً من تفرق الكلمة ما جاء في صحيح البخاري عن علي رضي الله عنه قال: ((اقضوا كما كنتم تقضون فأني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي))<sup>(٣١)</sup>.

قال ابن حجر في معناه نقلاً عن أيوب: ((إن ذلك بسبب قول علي في بيع أم الولد، وأنه كان يرى هو وعمر أنهن لا يبعن وأنه رجع عن ذلك فرأى بيعهن)) قال عبيدة<sup>(٣٢)</sup>: فقلت له رأيك ورأي عمر في الجماعة أحب إلى من رأيك وحدك في الفرقة، فقال علي ما قال، قلت وقد وقعت في رواية حماد بن زيد أخرجها ابن المنذر عن علي بن عبد العزيز عن أبي نعيم عنه، وعنده قال لي عبيدة: بعث إلى علي وإلى شريح فقال: ((إني أبغض الاختلاف فاقضوا كما كنتم

(٣١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٧١ .

(٣٢) راوي الحديث عن علي .

تقضون)) ثم قال ابن حجر في شرح قول علي رضي الله عنه: ((فإني أكره الاختلاف)) أي الذي يؤدي إلى النزاع.

قال ابن التين: ((يعني مخالفة أبي بكر وعمر، وقال غيره: المراد المخالفة التي تؤدي إلى النزاع والفتنة (٣٣)، وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه ما يفيد رجوعه عن خلافه خوفاً من قيام فتنة ((٣٤)).

وظل الخلاف في حياتهم لا يراد به إلا الوصول إلى الحق والتمسك به.

ثم جاء من بعدهم أشكال من الناس بعضهم كان منافقاً فأظهر الإسلام والموافقة، ثم عمل في الداخل على تضخيم الخلاف، وفتح ثغرة في مفاهيم المسلمين، وجادل بالتأويل والشبهات، وبعضهم استغل اختلاف الصحابة في بعض المسائل، واتخذ منه سبيلاً لتمزيق وحدة الأمة الإسلامية بتقليب الأدلة ومعارضة بعضها ببعض، وإذكاء التعصب، وزيادة حدة الخلاف ليحقق هدفه في الحقد على المسلمين (٣٥).

ثم تطور الخلاف بين المسلمين من سيء إلى أسوأ، إلى أن وصل الحال إلى الواقع المؤسف الذي نعيشه اليوم من التباكي على الوحدة الإسلامية التي صارت صعبة المنال، بما اقترفوه من أفكار نفرت بعضهم عن بعض، وأذكى علماءهم الأحقاد، وضخموا حجم الخلافات حتى صاروا فرقا متناحرة، وتكثروا من ألقاب المدح بما لم يفعلوا، وصدق عليهم قول الشاعر الأندلسي:

**ألقاب مملكة في غير موضعها كاهلر يحكي انتفاخاً صولة الأسد**

وتوالت على المسلمين الضربات والإهانات، وتأمر عليهم أهل الشرق والغرب، ونسوا أن الله طلب منهم أن يكونوا أشداء على الكفار رحماء بينهم، فذل المسلمون ذلاً شنيعاً وخصوصاً في عصرنا الحاضر، ولكنهم لم يستيقظوا من الضربات، ولا تدري هل ذلك من هول ما أصابهم، أم يطلبون المزيد من الإهانات.

والعرب بخصوصهم الذين كانوا قبل الإسلام أذل الناس، يريد الكثير منهم الآن العودة إلى تلك الجاهلية التي أخرجهم الله منها، وأبدلهم بالهدى والنور بعد أن كانوا على شفا حفرة من

(٣٣) فتح الباري ج ٧ ص ٧٣ .

(٣٤) انظر البداية والنهاية ج ٧ ص ٢١٨ .

(٣٥) انظر مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٤ (تعليق محمد محي الدين) .

النار، وسيعلمون لو تم لهم ما يريدون- لا سمح الله- كم جَنَوْا على أنفسهم وعلى أمتهم، وهؤلاء أحد عوامل الهدم وإضعاف المسلمين. فقد توالى على المسلمين عوامل كثيرة أضعفتهم، عوامل خارجية أتقن تخطيطها أعداؤهم، فضربوهم في عقر دارهم، وحاربوا الدعوات الإسلامية بشتى الأساليب، وتأثر كثير ممن ينتسب إلى الإسلام بالدعايات المضللة، وبقي قلة من المخلصين قد خذلهم القريب والبعيد وهم نواة الخير في الأرض، ولن يخذلهم الله تعالى.

وعوامل داخلية من العصبية البغيضة، وإثارة النعرات الجاهلية، واتباع الهوى، واتخاذ رؤساء جهالاً معجبين بأرائهم، وصاروا كما وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم: ((غشاء كغشاء السيل))<sup>(٣٦)</sup>، ولهذا فإن هذه الكثرة تُرى في المسلمين لا تُفرح كثيراً، فقد رأينا كيف وقفوا عاجزين أما أعدائهم في كل مكان، اللهم إلا فئات قليلة صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

\* \* \* \* \*

(٣٦) أخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ٢٧٨ .

## الفصل السابع

### مظاهر الخلاف بين المسلمين

مر المسلمون بخلافات عديدة، والمتتبع لكل تلك الخلافات يجد أنها:

١- إما أن تكون خلافات عملية جردت فيها السيوف والمدافع والبنادق، ولا شك أنها نتيجة لخلافات عقدية في أكثرها، وإن كانت تبدوا أنها سياسية، وبعضها خلافات سياسية خصوصاً في القرون الأولى.

وهذه الخلافات يهتم بها كتاب التاريخ، يسجلونها ويوضحون أسبابها، ويذكرون نتائجها، وهي كثيرة على مدى التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً. قديماً ما وقع بين علي رضي الله عنه والخوارج، وما وقع بين الخوارج والدولة الأموية، وما وقع بين الدولة الأموية وابن الزبير.

وحديثاً ما نراه واضحاً في لبنان وغيره من فتك الشيعة- الذين يتظاهرون بالإسلام- بأهل السنة وتنكيلهم بهم إلى حد الاستهتار بدمائهم، أو بين أهل السنة وبين مم يتظاهر بالإسلام على ديانة القاديانية أو البهائية أو غيرهم، ممن يتظاهر بالإسلام ويصوب السلاح إلى صدور المسلمين.

٢- وإما أن تكون خلافات علمية، وهذه خاض غمارها العلماء، كل فريق يؤيد ما يذهب إليه، وينقض ما ذهب إليه المخالف دون أن يصغي لأدلة من يخالفه بعين الإنصاف- في أكثر الأحوال-، حتى إن كل فريق من المختلفين يقول: رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب.

وهذه الخلافات وإن لم تكن عملية، إلا أنها في كثير من القضايا أسهمت في إذكاء نار العداوة والبغضاء بين المسلمين، وساعدت في نفره المسلمين بعضهم عن بعض، خصوصاً بعد أن تولاهم قوم معجبون بآرائهم، جهال بمعرفة النصوص وما تهدف إليه؛ فتعصبوا لمشايخهم وأفكارهم، ثم انطوا على ذلك (٣٧).

(٣٧) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ١٦/١ .

ودارس الفرق يههمه الإمام بالأمرين جميعاً؛ حتى يتسنى له الحكم على الأمور بوضوح، فإن معرفة الحوادث التاريخية، ومعرفة الأفكار والمعتقدات ثم عرضها على كتاب الله وسنة نبيه، ثم الاسترشاد بما فهمه السلف من تلك النصوص هو بالإضافة إلى أنه من الإحسان إلى النفس وإلى الآخرين، طريق الإنصاف، ومعرفة الداء ودوائه.

\* \* \* \* \*

## الفصل الثامن

### كيف تبدأ الفرق في الظهور

يذكر علماء الفرق أنه عندما يريد شخص معرفة ظهور فرقة من الفرق على وجه التحديد، فإن ذلك من غير اليسير الوصول إليه والجزم به دون تخمين أو شك، وذلك: لأن الفرقة لا تستحق هذا الاسم إلا بعد مرورها بمراحل متعددة، تبدأ فكرة صغيرة، فردية أو جماعية، ثم تتكون شيئاً فشيئاً إلى أن تصبح فرقة ذات منهج مميز لها سياسياً أو اجتماعياً. وهذا ما عناه الأستاذ أبو زهرة حين قال:

((إن رأينا أن الأفكار التي تشيع وتنتشر، من الصعب الوصول إلى مبدئها على وجه الجزم واليقين من غير حدس أو تخمين))<sup>(٣٨)</sup>.

والتخطيط لقيام الفرقة قد تطول مدته وقد تقصر، حسبما يتهيأ لها من الظروف والعوامل المساعدة لقيامها، وعلى هذا فإنه ينبغي حسبما يبدو لي أن نفرق بين ظهور الفرقة كفرقة ذات أفكار وآراء اعتقادية وبين ظهورها كفكرة. والصعوبة إنما تكمن في ظهورها فكرة، وأما تحديد ظهورها فرقة فهو ما سجله العلماء عن ظهور كل الفرق والطوائف.

\* \* \* \* \*

(٣٨) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ١ / ١٢٥.

## الفصل التاسع منهج العلماء في عدّ الفرق

لم يوجد لعلماء الفرق قانون يسيرون عليه في عدّهم للفرق الإسلامية، بل سلكوا طرقاً عديدة، كل واحد منهم يعدها حسب اجتهاده، وما وصل إليه علمه.

وفي هذا يقول الشهر ستاني - رحمه الله -: ((اعلم أن لأصحاب المقالات طرقاً في تعدد الفرق الإسلامية، لا على قانون مستند إلى أصل ونص)).

ثم قال: ((فما وجدت مصنّفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعدد الفرق، ومن المعلوم الذي لا مرأى فيه أنه ليس كل من تميز عن غيره - بمقالة ما في مسألة ما - عدّ صاحب مقالة، وإلا فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعد)).

وقال أيضاً: ((وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط إلا أنهم استرسلوا في إيراد مذاهب الأمة كيف ما اتفق، وعلى الوجه الذي وجد، لا على قانون مستقر وأصل مستمر))<sup>(٣٩)</sup>.

والواقع أننا نجد مصداق كلام الشهر ستاني عند تتبع العلماء للفرق، وأقرب مثال لذلك أنك تجد أمهات الفرق عند الأشعري عشر أصناف، وعند الشر ستاني نفسه أربع فرق، وعند غيرهما ثمان فرق، وعند آخرين ثلاثاً، وبعضهم يجعلها خمساً، إلى غير ذلك مما يوحي بعدم وجود قانون لعدّ الفرق مستقلة أو تابعة لغيرها؛ إذا كان همّ الأولين فيما يبدو تسجيل ما يجدون من آراء فردية كانت أو جماعية.

ولعل بعض هؤلاء العلماء اختلط عليه الأمر فيمن يستحق أن يطلق عليه أنه من أهل ملة الإسلام فيعتبر خلافه، أو لا يعتبره من المسلمين فلا يذكر خلافه، وهذه المسألة تحتاج إلى إيضاح نوجز ما ذكره البغدادي عنها فيما يلي:

\* \* \* \* \*

(٣٩) الملل والنحل ج ١ ص ١٤ .

## الفصل العاشر

### ما المراد بأمة الإسلام؟

اختلف المنتسبون إلى الإسلام في الذين يدخلون بالاسم العام في ملة الإسلام، وحاصل الأقوال في هذه المسألة كما يلي:

١- أن هذه التسمية تشمل كل مقرر بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وأن كل ما جاء به حق، كائناً قوله بعد ذلك ما كان.

وهذا قول زعيم طائفة الكعبية من المعتزلة أبي القاسم الكعبي.

٢- أنها تشمل كل من يرى وجوب الصلاة إلى جهة الكعبة.

٣- أنها تشمل كل من أقر بالشهادتين ظاهراً ولو كان مضمراً للنفاق والكفر.

**والواقع :** أن تلك الأقوال لا تخلو من إيراد عليها وانتقاد لها، فقول الكعبي الأول، وقول

مجسمة خراسان الأخير ينقضه ما موقع من يهود إصبهان من إقرارهم بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم إلى العرب خاصة لا إلى بني إسرائيل، وكذا قال قوم من موشكانية اليهود- نسبة إلى زعيمهم موشكان- فإنهم أقرّوا بجميع شرائع الإسلام، ونفوا أن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم نبي إلى كافة البشر، بما فيهم اليهود.

ومع ذلك فإنهم ليسوا بمسلمين، ولا تعتبر أقوالهم ضمن أقوال الفرق الإسلامية<sup>(٤٠)</sup>.

والصحيح في هذا كله أنه لا يدخل في الإسلام إلا من أقر به ظاهراً وباطناً، والتزم بالإيمان بالشرعية الإسلامية، ثم إذا كان له بعض البدع فإنه ينزل من الإسلام حسب قربه أو بعده عنه، ويعامل على هذا الأساس، ويحترز من تكفير شخص بعينه إلا إذا ظهر كفره من قوله أو فعله أو اعتقاده بعد إقامة الحجة عليه.

\* \* \* \* \*

(٤٠) انظر الفرق بين الفرق ص ١٢ - ١٤ .

## الفصل الحادي عشر أهم أسباب نشأة الفرق

أ- تمهيد: التفرق في عصرنا الحاضر.

ب- الأسباب العامة للتفرق.

أ- التفرق في عصرنا الحاضر:

سبق أن عرفنا نهي الدين عن التفرق، وذكرنا الأدلة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية على ذلك، كما تبين لنا كذلك الخطر الذي يكمن في طريق الأمة الإسلامية، والذي يعوقها عن الوصول إلى الغاية التي أمرهم الله بها. وكيف أنهم حينما يتفرقون ويصبحون أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون-يصبحون أمة ضعيفة لا قيمة لها، كما هي سنة الله في الذين خلوا من قبل. ويجري عليهم نفس المصير الذي جرى على الأمم قبلهم، لأنه لا نجاة ولا عزة إلا بالتمسك بالإسلام الذي رفع الله به أقواماً قبلوه وأذل به آخرين استكبروا عنه، وأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ومن الشقاء إلى السعادة ومن الجهل إلى العلم، وعاش الناس في ظلاله عيشة في منتهى السعادة.

وقد مضت تلك الأيام غرة في جبين الدهر، ولسان حال المسلمين اليوم يقول:

**وودّ بجدع الأنف لو عاد عهدا وعاد له فيها مصيف ومريع**

تنكر للإسلام كثير ممن يتظاهر به، ويزعم أنه يسير على نهجه فألحق بالمسلمين الذل بعد ذلك العز الذي غمر شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها، وكان هؤلاء أشد على الإسلام والمسلمين من أعدائه الظاهرين حين أعرضوا عن تعاليم الإسلام المشرقة، وصاروا صعاليك يستجدون موائد الشرق والغرب القذرة، وعملوا ليلاً ونهاراً، سراً وإعلاناً على إضعاف المسلمين وتشكيكهم في دينهم وتشيت أمرهم.

وقد ساعدهم على ذلك أعداء الإسلام الذين يتربصون به الدوائر {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ  
وَعَظِيبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ} <sup>(٤١)</sup>والذين يمدونهم بكل ما لديهم من التشجيع المادي والمعنوي، فإذا بهم  
يتحولون إلى وحوش وسباع ضارية، لا يقبون في مؤمن إلا ولا ذمة.

لقد تربى هؤلاء على موائد الكفرة ودرسوا في مدارسهم، وأتقنوا مناهجه ثم أظهروا أنفسهم  
أبطالاً فاتحين، واتخذوا لأنفسهم شعارات براقعة خادعة وهم ما بين ثوري اشتراكي شيوعي، أو  
بعثي زنديق حاقد، أو رأسمالي جشع حقوق حسود، أو ماسوني أينما يوجه لا يأت بخير، فابتلي  
المسلمون بهم أشد البلاء، وتوالت عليهم المحن، وظهر الإلحاد، وتفرقت بسببهم الكلمة، وظهر  
قرن الشر، وفشت الدعارة علانية، وصار المتمسكون بدينهم غرباء.

وبعد تلك المحن كلها مما لا يمكن وصفه امتن الله على المؤمنين، وظهرت بوادر صحوة  
يتمنى كل مسلم أن تتم بخير، مع الخوف الشديد أن توجه تلك الصحوات وجهة في غير مسارها  
الصحيح، فتنكس الأمة انتكاساً ربما لا تقوم لهم قائمة - لا سمح الله - إذا نجح هؤلاء الانقلابيون  
على كل شيء حتى على دينهم ورسالة نبيهم، لأنهم يريدون قلب كل شيء، وتحويل كل معتقد  
إلى معتقداتهم الفاسدة، ثم السير بهم في تلك السبل التي تربوا عليها، وهي السبل التي حذرنا الله  
من سلوكها، إن المتتبع لنشاط هؤلاء ودوافعهم تنكشف له اللعب السياسية والاجتماعية الخطيرة  
التي تدفع بأتباعها من ظهورهم إلى حيث لا يدرون، ومن حيث لا تمكنهم من معرفة ما هم  
واردون عليه.

قد أحاطوهم بصراخ وعويل أفقدوهم حتى مجرد اللحظة التي يفكرون فيها، وبخبت ودهاء  
تظافت جهودهم يصدق بعضها بعضاً، الجريدة، والمجلة، والكتاب، والتلفزيون، والإذاعة،  
وإعلانات الشوارع، وندوات المجالس، ونثر ونظم، وتمثيلات وفكاهات؛ فأحاطوهم من كل جهة،  
ودخلوا معهم في كل مجال من مجالات الحياة.

وجعلوهم لا يفكرون إلا فيهم، وفي تنفيذ دعاياتهم في كل وقت - وهم يمشون، أو على  
مكاتبهم، أو في بيوتهم، أو في اجتماعاتهم، أو في انفرادهم؛ حتى أخذوا منهم كل أوقاتهم،  
وخذعوهم عن كل ما يمت إلى تدبر أمرهم فأصبحوا فريسة سهلة، لا حراك بها أمام هؤلاء سراق

(٤١) سورة الفتح: ٦

عقول البشر الذين يصطادون في الماء العكر، قد دخلوا في المجتمعات المحافظة على سلامة عقيدتها كما تدخل الجراثيم.

فأصبح الكثير من شباب الأمة الإسلامية - إلا من رحم الله - عقولهم معهم وأيديهم تكتب عنهم وتمجدهم وأرجلهم تمشي إلى مجالسهم، وألسنتهم تنطق بدعائياتهم وأكاذيبهم وحيلهم. ولا شك أن ثمن ذلك كله تفرق الكلمة وتشتت الآراء تحت غطاء إصلاح وتقديم الأمة، والوصول إلى التطور والتجديد، أو غير ذلك من الأكاذيب.

جندوا كل أولئك لهدف واحد هو محاربة الدين والعادات الإسلامية، وتفكيك الروابط المتينة التي بناها الإسلام والتي تقف دون رغباتهم الجنسية والاجتماعية والسياسية والثقافية. وجنّدوهم كذلك لقطع أوصال الأمة وإلقاء بذور الشقاق بينهم - على طريقة فَرِّقْ تَسُدْ - ودربوهم على طريقة إصااق التهم بالآخرين من أهل الحق وتشويه سمعتهم، ثم ألقوا بينهم مختلف الآراء الفكرية شغلوا الأمة بها.

ولم يفلحوا في شيء مثلما أفلحوا في تفريق كلمة المسلمين، وإشاعة الفرقة والعداوة بينهم، وبغي بعضهم على بعض، والتفنن في اللمز ورفع الشعارات، وهذا ما يفسره لنا وَلَعُهِمْ بقيام الأحزاب المتناقضة في الآراء لإلهاء الناس عن مراقبة ما يقومون به.

ونتج عن ذلك استحكام الفرقة، ونشوء الأحزاب والجماعات المتصارعة، وإفساح المجال واسعاً لكل طامع في تفتيت الأمة، الذين هم كالجسد الواحد؟ إنهم يلهثون لاستعباد عقول الناس بأي ثمن كان، حتى ولو كان تفرقة أهل البيت الواحد ما دام ذلك يحقق لهم مصالحهم، ويجعلهم قادة للقطعان الذين يتبعونهم بغير تدبر ولا روية منخدعين بزخارف أقوال أولئك الذين فسدت فطرهم، وانتكست مفاهيمهم، حتى أصبحوا يرون المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والباطل حقاً، والحق باطلاً.

عقاب من الله لهم لانحرافهم عن النهج الرباني، وعن الصراط المستقيم، والسبيل المبين إلى سبل وشبهات على رأس كل سبيل منها شيطان يدعو إليه كما تقدم بيان المصطفى صلى الله عليه وسلم لهذا المسلك في الحديث الثابت عنه (٤٢) وبالبحث عن أسباب تفرق الأمة الإسلامية،

(٤٢) تقدم تخريجه .

قديماً وحديثاً، يتضح أن أسباباً عديدة عملت مجتمعة على ذلك التفرق بعضها مععلن وبعضها خفي، وهذا لا يمنع أنه قد يوجد لكل طائفة من العوامل ما لا توجد عند الطوائف الأخرى، ولهذا فإنه من الإطالة البحث عن الأسباب التي أدت إلى خروج كل طائفة من الطوائف التي يموج بها العالم الإسلامي .

وتفصيل ذلك والتوسع فيه كل طائفة على حدة ودراسة تلك الأسباب والمقارنة بينها وبين الأسباب للطوائف الأخرى فهذا يحتاج إلى دراسة خاصة، تبدأ بذكر ما جرى بين المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحداث مروراً ببيان الخلاف الحاد الذي أنتجه أمر الخلافة لمن تكون وكيف تمت في عصر الصحابة رضوان الله عليهم، ومواقف الناس منها .

ثم بيان ما حصل من ابن سبأ من مؤامرات ومواقف خبيثة أدت إلى ارتكاب جريمة مروعة في عصر الصحابة؛ وهي قتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه علانية، وما أعقب ذلك من مواجهة حرية بين علي رضي الله عنه وطلحة والزبير ومن معهما في معركة الجمل بتأثير أعداء الله السبيئة.

ثم امتداد الفتنة بصورة شاملة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في معركة صفين، وما نتج عنها بعد ذلك من أمر التحكيم الذي شطر جيش علي رضي الله عنه إلى حزين متضادين هما: الخوارج والشيعة، وما أحدثه هؤلاء من أفكار نسبوها إلى الدين الإسلامي بعد ذلك.

وتلك الأحداث كانت بمثابة مرض ألمّ بجسم الأمة أفقده الكثير من المناعة؛ فظهرت بوادر أمراض كثيرة فيه، فَبَزَغَ قرن الشيطان عند ذلك وتوالت المصائب وأسباب التفرق المتعددة الأشكال، فظهرت العصبية البغيضة، والقوميات المتصارعة، والرغبة في السيطرة والزعامة، وتفاوتت المفاهيم فظهرت المذاهب الفكرية للفرق المختلفة، من خوارج، ومعتزلة، وقدرية، ومرجئة، وشيعة... الخ، فأسسوا الآراء التي فرقت المسلمين، وغذوها بالتأويلات الفاسدة اتباعاً لأهوائهم.

وظهر الغلو الممقوت نتيجة لتمجيد كل طائفة لأرائها ولرجالها وقويت الرغبة لدى كل طائفة للاستقلال باتباعها.

ثم جاء دور التلاعب بالنصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلة الله عليه وسلم، وجرت كل طائفة مفاهيم تلك النصوص إلى ما يوافق ما أسسته من مفاهيم سقيمة وعقائد خاطئة فاختلّفوا من بعد ما جاءهم البيّنات.

ولئن كانت دراسة كل تلك الأمور بالتفصيل والتوسع غير واردة هنا لما قدمناه سابقاً فإنه يمكن الاقتصار والإشارة إلى أهم الأسباب التي أدت إلى ذلك التفرق الحاصل في العالم الإسلامي بصورة إجمالية عامة، سواء كان ذلك في الزمن القديم أو في الأزمان التي جاءت بعده.

### ب- الأسباب العامة:

١- وجود علماء انخرفت عقائدهم، على رأس كل طائفة منهم مرده أسهموا في تثبيت الفرقة بين المسلمين.

٢- غلبة الجهل وفسوه بين أوساط المسلمين في مختلف العصور بصفة عامة.

٣- عدم فهم النصوص فهماً سليماً، حتى وإن كانت النيّة ربما تكون حسنة عند البعض منهم.

٤- موافقة الخلاف والفرقة لهوى في النفس فأصروا عليه.

٥- تدخل سلطان العصبية البغيضة.

٦- استحكام قوة الحسد في النفوس.

٧- الرغبة في إحياء البدع والخرافات، وميل كثير من النفوس إليها.

٨- تقديس العقل وتقديمه على النقل.

٩- بث الدعايات المنفرة عن الاعتقاد الصحيح الموافق للكتاب والسنة الذي يُمثله السلف الصالح.

١٠- وجود تأثيرات خارجية.

أما بالنسبة للسبب الأول وهو وجود العلماء الذين انخرفت عقائدهم؛ فمما لا يكاد يجهره طالب العلم أن أكثر العقبات التي تواجه الداعية إلى الله هم هؤلاء الأصناف الذين تمكنوا من استجلاب العامة، وجذبهم إليهم، حتى أصبحوا يقدسونهم، ويرون أن لا علم إلا ما كان لديهم،

ولا حق إلا ما سلكوه، وحذروا من الالتقاء معه في أي شيء، ولنا في ضحايا علماء البريلوية، وعلماء الصوفية، وعلماء الباطنية وغيرهم-أمثلة قريبة على تثبيت وإحكام الفرقة بين المسلمين.

ومن الغريب في الأمر أن البيئات التي هي أقوى شيء لقطع النزاع، وانتهاء الاختلافات صارت البيئات هي التي قام عليها محور الاختلاف كما ذكر الله ذلك في كتابه الكريم، قال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (٤٣)، وقال تعالى: {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ} (٤٤).

ومن المعلوم أن أصحاب هذا الاختلاف بعد وجود البيئات.. إنما هم علماء السوء الذين يظهرون منها ما يوافقهم ويخفون منها ما لم يتفق وهوامهم.

وفتنة هؤلاء من أعظم الفتن حيث أضلوا الناس بغير علم ولا هدى، ومن حيث كان أتباعهم يتوقعون منهم معرفة الحق والوصول إليه، فصار هؤلاء العلماء يجرمون ما يشاءون ويحللون ما يشاءون، ويفتون بما يريدون، ثم جعلوا أتباعهم وراء ستار كثيف من الجهل والنفور عن الآخرين؛ لئلا يكتشف جهلهم.

وجرت الرياح بما تشتهي سفنهم ووجدت لهم عوامل كثيرة ساعدتهم وقوت من عزائمهم فأبعدوا الهوة بينهم وبين الوصول إلى الحق واجتماع الكلمة عليه، وقد حذرنا من لا ينطق عن الهوى سوء فعل هؤلاء حيث قال صلى الله عليه وسلم: ((وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين)) (٤٥).

وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم: - ((أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان يجادل بالقرآن)) (٤٦).

أما بالنسبة للسبب الثاني وهو غلبة الجهل وفشوه بين أوساط عوام المسلمين، فقد مرت بالمسلمين في عصورهم المختلفة فترات حل فيها الجهل واستحكمت الخرافات في النفوس محل العلم والاعتقاد الصحيح فضعف نور الإيمان في نفوس هؤلاء، وقل وجود علماء متكاتفين

(٤٣) سور آل عمران: ١٠٥

(٤٤) سورة البينة: ٤

(٤٥) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٤ نقلاً عن البرقاني في صحيحه .

(٤٦) جامع بيان العلم وفضله ص ١٩٣ وعزاه إلى ابن عدي في الكامل عن عمر رضي الله عنه .

متعاونين على إظهار وقمع الباطل؛ فانتشرت الخرافات وقوي أمر التحزب الباطل والفرقة الممقوتة.

وقد عاب الله تعالى في كتابه الكريم الجهل وأخبر أن سبب ترك الناس لدين الله وتفرقهم فيه إنما هو الجهل.

قال تعالى في شأن موسى وقومه حين وصل بهم الجهل إلى أن طلبوا من موسى أن ينصب لهم إلهاً: {قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} (٤٧).

وآيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم فيها ذم الجهل والدعوة إلى العلم والمعرفة. وكذا في السنة النبوية أحاديث كثيرة في ذم الجهل والتحذير من قال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضوا وأضلوا)) (٤٨).

وقد نشأ عن الجهل الغلو في تعظيم بعض المخلوقين تعظيماً خارجاً عن هدي الإسلام، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن نوع من أنواع أسباب الاختلاف بين المسلمين وتفرقهم وهو الغلو.. قال: ((ثم إن الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من ضلال المتعبدة والمتصوفة.. حتى خالط كثيراً منهم من مذاهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى، أو مثله، أو دونه)).

وقال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} (٤٩) والآية. وفسره النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم رضي الله عنه بأنهم: ((أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم)) وكثير من أتباع المستعبدة يطيع بعض المعظمين عنده في كل ما يأمره به، وإن تضمن تحليل حرام، أو تحريم حلال (٥٠).

وقد دخل رجل على ربيعة بن عبد الرحمن فوجده يبكي فقال له: ما يبكيك؟ وارتاع لبكائه، فقال له: أمصيبة دخلت عليك؟ فقال: لا، ولكن استفتي من لا علم له، وظهر في

(٤٧) سورة لأعراف: الآية ١٣٨

(٤٨) أخرجه البخاري ج ١ / ١٩٤ / ١٦ / ٢٢٣ .

(٤٩) سورة التوبة : ٣١ .

(٥٠) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٩ .

الإسلام أمر عظيم.. ثم قال ربيعة في شأن الجهال حين يتزعمون الناس، ويخرجونهم بفتاواهم عن الحق.. قال: ((ولبعض من يفتي ههنا أحق بالسجن من السراق))<sup>(٥١)</sup>.

وأما عدم فهم النصوص فهماً سليماً فقد أدى ذلك إلى نتائج سيئة، حيث أخذت كل فرقة تؤول النصوص لصالحها، وتقوية ما تذهب إليه من أفكار وآراء، ومصدّق ذلك أنك ترى النص الواحد من الكتاب أو من السنة يفسر بعدة أفكار، متعارضة في بعض الأحيان حسب ما تذهب إليه كل طائفة.

وصار بعضهم يعيب البعض الآخر، وذموا أهل السنة، وسخروا من مفاهيمهم، وفرحوا بما عندهم من تلك التأويلات الملفقة، وصار حال أهل السنة معهم كما قال الشاعر:

**وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم**

وكان لهذه المواقف نتائج ظاهرة هي تفرق الأمة الإسلامية وظهورهم طوائف، كل طائفة لا تلوي على أخرى بعد أن تحجرت العقول وجمد كل ذي رأي على رأيه، وقدم فهمه على مفاهيم من هو أفقه منه، واستنكف أن يرجع عما تقرر في ذهنه، وهي قضية طالما وقفت حجر عثرة في طريق الدعوة إلى الإصلاح واجتماع الكلمة قديماً وحديثاً.

وأما موافقة الخلاف لهوى في النفوس فإنه أمر خطير بل هو من أشد الأمور التي تفرق بسببها المسلمون قديماً وحديثاً، وبالاسترسال مع الهوى أقصى العقل وأهملت الشرائع وأخرجت النصوص عن مدلولاتها وقامت البدع وانتشرت الخرافات، بل وسفكت الدماء أحياناً كثيرة، وهو الذي حال بين كثير من البشر وأنبيائهم.

والنصوص من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم في ذم الهوى لا تخفى على أي مسلم من عوام المسلمين فضلاً عن طلاب العلم، لقد أخبر الله تعالى أن الهوى أحياناً يحل في بعض النفوس محل الإله فقال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ} <sup>(٥٢)</sup>. وأخبر تعالى أن الهوى هو الذي حال بين الأنبياء وأمهم، إذ لم يستفيدوا من أنبيائهم

(٥١) جامع بيان العلم وفضله ص ٢١ .

(٥٢) سورة الجاثية: ٢٣

لاستكبارهم الذي أملاه عليهم هواهم قال تعالى: {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ} (٥٣).

وآيات أخرى كثيرة في ذم إتباع الهوى وعواقبه الوخيمة.

وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه: ((وثلاث مهلكات: هوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه)) (٥٤).

وعن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بعد ذكره حديث افتراق الأمة:

((وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجاري بهم تلك الأهواء، كما يتجاري الكلب

لصاحبه))، وقال عمرو: ((الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله)) (٥٥).

وأما تدخل سلطان العصبية البغيضة فكان إحدى المعاول الهدامة لوحدة الأمة الإسلامية

؛ حيث غطت على أبصار وقلوب أتباعها فحجبتهم عن النظر إلى الآخرين بعين الأخوة والترابط

العام ومحاولة تألف القلوب وجمع الكلمة.

فأخذت كل طائفة تمجد أفكارها، وتتحزب حولها، وتشنع على الآخرين، فكم سفكت

بسببها من الدماء وكم خربت من مدن عامرة وكم خرج بسببها عن الدين من بشر، وقديماً قالت

ربيعة عن الكذاب مسيلمة: ((كذاب ربيعة خير من صادق مضر)) (٥٦)؛ لأن سلطان العصبية

لا عقل عنده، والتعصب كما يقول بعض العلماء: ((ظاهرة ذميمة لا يؤدي إلا إلى التفرقة

والتعادي... وثمره التعصب الاختلاف والفرقة والتباغض)) (٥٧).

وليس هذا فحسب؛ بل إنه المستنقع الخصب لانتشار أوبئة البدع على اختلاف أنواعها،

وما تؤدي إليه من تعظيم الآباء والمشايخ، وتقديم أفكارهم على النصوص الشرعية من كتاب الله

تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، معرضين عن قول الله عز وجل: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى

(٥٣) البقرة: ٨٧

(٥٤) الترغيب والترهيب ج١/ ١٦٢ .

(٥٥) سنن أبي داود ج٢ ص ٥٠٤ .

(٥٦) تاريخ الطبري ج٣ ص ٢٨٦ .

(٥٧) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص٨٤ - ٨٥ .

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ} (٥٨).

وقال تعالى حاكياً عن حالهم وهم في النار: {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا} (٥٩).

وهذه الطاعة الناشئة عن التعصب هي التي أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: ((أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال: يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعه يقرأ في سورة براءة (٦٠).

قال: (( أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه)) (٦١).

وإذا وصل الحال إلى هذا الحد فكيف تتفق الكلمة وكيف يحصل الاتحاد بين المسلمين وتنتهي الفرقة البغيضة.

وأما استحكام قوة الحسد في النفوس. فهذا هو الداء العضال الذي يأكل الأخضر واليابس ويفرق الكلمة ويجعل المسلمين شيعاً وأحزاباً متباغضة، هذا العامل متمم لعامل العصبية البغيضة، وقد ابتلي به كثير من أصحاب النفوس المريضة والقلوب الغافلة؛ حيث أوجد لدى هؤلاء النفور التام والاستكبار الممقوت عن قبول الحق وتجاوز الخلافات التي تحصل بين الناس.

وهؤلاء ماضون على طريقة أول الحاسدين لبني آدم وهو إبليس؛ حيث قال فيما أخبرنا عنه: {قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً} (٦٢) وقوله: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} (٦٣).

إن أول نتائج الحسد استحكام الفرقة بين المسلمين وبغي بعضهم على بعض وظهور العداوة والبغضاء، وغير ذلك من المفاسد التي لا يعلمها إلا الله.

(٥٨) المائدة: ١٠٤

(٥٩) الأحزاب: ٦٧

(٦٠) سمعه يقرأ قول الله تعالى: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ } التوبة: من الآية ٣١.

(٦١) سنن الترمذي كتاب التفسير ٥ / ٢٧٨ .

(٦٢) الاسراء: من الآية ٦١

(٦٣) لأعراف: ١٢ .

وقد قال نبي الهدى صلى الله عليه وسلم عن هذا النوع من الأدواء المهلكة: ((الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب- أو قال:- العشب))<sup>(٦٤)</sup> وفي رواية أخرى ((الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار))<sup>(٦٥)</sup> الحديث.

وفي التاريخ الإسلامي أمثلة كثيرة على مدى الضرر الذي لحق بوحدة الأمة الإسلامية من جراء الحسد قديماً وحديثاً، فقد ورد عن بعض العلماء أن ما حصل بين ربيعة ومضر في الزمن القديم من العداوة والحروب إنما كان ناشئاً عن الحسد لمضر؛ لمكان النبوة فيهم، ومن هنا قال المأمون فيما يذكر عنه: ((لو خرج اثنان ثائران لكان أحدهما من ربيعة))<sup>(٦٦)</sup>، وتقدم قول أهل العصبية السخيفة: ((كذاب ربيعة خير من صادق مضر)).

وأما عامل حب البدع والخرافات وميل أكثر النفوس إليها، فمما هو واضح أن الابتداع في الدين وإحياء الأمور البدعية التي ما أنزل الله بها من سلطان، ثم التصميم على تنفيذ تلك البدع - كان من أعظم الأسباب في تفرق كلمة المسلمين ونفور بعضهم من بعض كما أنه كان من أعظم العوامل التي أبعدت الكثير من الناس عن تفهم العقيدة الحنيفية، وأخرجتهم إلى حمأة الجهل والتعلق بالخرافات واعتبارها من الدين.

فكان لحب البدع وإحيائها أكبر الأثر في قيام كثير من الحركات والفرق على امتداد تاريخ الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى زمننا الحاضر.

وكأن لسان حال هؤلاء يقول لا حاجة بنا إلى الشرع الذي لا يوافق ما نريد فشرعوا لأنفسهم ما شاءوا من الزيادة والنقص في دينهم؛ فاختلط الأمر على كثير من الناس، التفريق بين الشرع الذي جاء به المرسلون وبين التشريع الذي أحدثه أصحاب البدع ورؤوس الفرق، فأصبح التفرق بين المسلمين بعد ذلك نتيجة حتمية؛ فإن النفوس إذا لم تشتغل بالحق اشتغلت بالباطل.

(٦٤) رواه أبو داود ج ٢ ص ٥٧٤ .

(٦٥) رواه ابن ماجه ج٢ ص ١٤٠٨ .

(٦٦) انظر الفرق بين الفرق ص ٣٠١ وضحى الإسلام ج١ ص ٤٣ .

ولم يهتم أصحاب تلك البدع بتفهم ما ورد في القرآن الكريم من الدعوة إلى التزام الشرع الحنيف، والابتعاد عن كل ما يضاد منهج الله وصراطه المستقيم، والتمسك بعه وحده كما قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} (٦٧) وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} (٦٨) كما لم يهتم أولئك بنصح نبيهم لهم وتحذيره إياهم من الوقوع في البدع التي تحيط الأعمال وتسبب لأصحابها الوبال في الدنيا والآخرة.

قال صلى الله عليه وسلم: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) (٦٩). وقال صلى الله عليه وسلم: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)) (٧٠). وهذا تحذير شديد وترهيب خطير، وأخطر منه أن ضرر صاحب البدعة قد لا يقتصر عليه وحده، فهو يضر نفسه ويضر غيره، ويتحمل إثم نفسه وإثم غيره ممن تسبب في إغوائهم، وهو ما يفسره قوله صلى الله عليه وسلم: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً)) (٧١).

وأما عامل تقديس العقل وتقديمه على النقل فإنه سيأتي الكلام عنه إن شاء الله في آخر هذه الدراسة بمزيد من الإيضاح.

واعتبار هذا العامل من الأسباب المفرقة لصفوف المسلمين من الوضوح بمكان، فإن المعتزلة ومن تبعهم حينما قدسوا العقل وقدموه على النقل، واعتبروه المرجع الأول والأخير والحكم الفصل في كل قضايا الدين، فتحووا بهذا الموقف فتنة وتفريق بين المسلمين، لم يستطع أحد إغلاقه إلى يومنا الحاضر.

إن العقل له حدود إذا تجاوزها الشخص خرج عن الحق من حيث يطلبه، سنة الله في خلقه، وصارت نعمة العقل العظيمة آفة في حق صاحبها حين تجاوز حدوده.

(٦٧) الأنعام: الآية ١٥٣

(٦٨) الأنعام: الآية ١٥٩

(٦٩) رواه البخاري في كتاب الصلح ج ٥ ص ٣٠١ ومسلم في الأفضية ج ١ ص ٣١٣ .

(٧٠) رواه مسلم ج ٤ ص ٣١٢ .

(٧١) رواه مسلم ج ٥ ص ٥٣٢ .

ويعود تمجيد العقل وتقديسه إلى ما أحدثته ترجمة الكتب اليونانية وظهور عل الكلام المذموم والفلسفة والمنطق واحتدام الخصام بين الطوائف الإسلامية في تطبيق هذه الأفكار المخالفة للشريعة الإسلامية، وانقسام المسلمين بعد ذلك بين مؤيد ومخالف ومحتال للتوفيق بين هذه الأفكار والشريعة الإسلامية، فازداد الخرق على الواقع، وظهر شر كثير فقيص الله من عباده من وقف في طريق هؤلاء وأزال الشبهة<sup>(٧٢)</sup>.

وأما بالنسبة لموقف المخالفين للسلف من التهجم عليهم وبث الدعايات الكاذبة عنهم، وإغراء بعض المسلمين بالنفرة عن البعض الآخر؛ فإن موقف السلف كما هو معروف من سلوكهم لا يجبون الغمز واللمز واللغو الباطل وإصاق التهم بالآخرين ظلماً وعدواناً؛ لأنهم على خلق وأدب إسلامي يمنعهم من ذلك، يتمثلون قول الله تعالى: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} <sup>(٧٣)</sup>.

بخلاف المواقف الشائنة للمخالفين لهم من أهل الضلال والتفرق الممقوت، فإنهم لا يباليون ما قالوه من السباب وكيل التهم وقذف الألقاب الظالمة عليهم جزافاً، والغرض من كل ذلك هو التنفير عنهم وعن عقيدتهم السلفية، والنتيجة من كل ذلك زيادة إحكام التفرق وتعميقه بين المسلمين.

فمن الأوصاف الظالمة التي أطلقها هؤلاء على أصحاب العقيدة السلفية - وصفهم بالمشبهة والحشوية والمجسمة والناطقة والنواصب، وغير ذلك من الألقاب التي أطلقها هؤلاء على أهل السنة؛ ليتم لهم تنفير الناس عنهم، كما كان الكفار في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يطلقون عليه ألقاباً كاذبة، بقصد التنفير عنه فوصفوه بأنه شاعر وكاهن ومجنون وصابئ وساحر، وسموه مذمماً، وهو أفضل الخلق وسيد الأولين والآخرين.

وكبار الفرق الذين بثوا الدعاية السيئة والألقاب الشنيعة على السلف هم الخوارج والمعتزلة والروافض والجهمية والقدرية والأشاعرة والماتريدية والصوفية، وكل طائفة من هذه الطوائف أطلقت ما حلا لها من الألقاب الظالمة على أهل السنة فسموهم مجسمة وحشوية وناطقة... إلخ.

<sup>(٧٢)</sup> وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه البديع ((درء تعارض العقل والنقل)) وما كتبه تلميذه شمس الدين ابن القيم

وفي كل طائفة من هذه الطوائف علماء ومجادلون هم وراء كل تلك التشنيعات.  
وما أبعد هؤلاء عن امثال قول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ  
عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا  
أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الظَّالِمُونَ } (٧٤).

((إن كل فرقة من تلك الفرق قد ألبست الحق بالباطل فأخرجت للناس بدعها وضلالها  
تحت لافتات إسلامية، وفي قوالب إسلامية، ليغتر بها العامة فيتبعوهم معتقدين أنهم على الكتاب  
والسنة مقيمون، ولمذهب السلف الصالح متبعون)) (٧٥).

وأما ما قيل عن وجود تأثيرات خارجية أسهمت هي الأخرى في تفرق كلمة المسلمين فقد  
وقع ذلك بالفعل. وهذه التأثيرات تكمن في الأمور التالية:

(أ) في اختلاط المسلمين بغيرهم، ودخول غير المسلمين في الإسلام، وإصرارهم - متعمدين وغير  
متعمدين - على التمسك ببعض الأفكار التي كانوا عليها قبل دخولهم في الإسلام، ومحاولتهم  
تغطية تلك الأفكار بغطاء إسلامي، على طريقتهم الخاصة؛ فنتج عن ذلك نشوة جماعات  
تتمسك به وتعادي من يخالفها، وبالتالي تكونت هذه الجماعات في شكل فرق إسلامية فيما  
بعد.

(ب) وجود حركة ثقافية، وترجمات لكتب عديدة تحتوي على أمور جديدة غريبة أخذت حيزاً من  
تفكير المسلمين، وتنمية الخلاف بينهم قديماً كما فعله المأمون، وحديثاً هذه الحركة القوية لترجمة  
كتب الملاحدة والماديين.

(ج) تأثر بعض المسلمين بغيرهم من أهل الديانات السابقة بعد أن عايشوهم، كما ظهر ذلك في  
بعض المعتقدات التي تبنتها جماعات تدعي الإسلام، وكان أساس تلك المعتقدات إما فارسي،  
وإما هندي، وإما نصراني، وإما يهودي تأثر بهم المسلمون بحكم الاختلاط والتقارب.

(٧٤) الحجرات: ١١

(٧٥) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٣٢ .

(د) وأيضاً ما قد يواجهه المسلمون من ضغوط ينتج عنها - على الزمن البعيد- جيل من المسلمين ينظر إلى تلك الأمور على أنها حقائق وعقيدة صحيحة للآباء والأجداد. ومن هنا ينشأ المزيد من التفرق بين المسلمين.

(هـ) دخول كثير من الناس في الإسلام ظاهراً، وهم يبيتون النية لهدمه وزعزعته في صدور أهله! وأكثر هذا الصنف هم اليهود والنصارى. وقد ظهر تأثير هؤلاء على المسلمين بوضوح في آراء كثير من الفرق التي تنتمي إلى الإسلام مثل آراء الروافض الغلاة والجهمية والمعتزلة والنصيرية، وغير هؤلاء ممن ظهرت الأفكار الأجنبية واضحة في معتقداتهم، وقد نبه علماء الإسلام على هذه القضية وأولوها عنايتهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن تأثير المسلمين بغيرهم من الأمم خصوصاً فارس والروم: ((وأما مشابهة فارس والروم فقد دخل منه في هذه الأمم من الآثار الرومية قولاً وعملاً، والآثار الفارسية قولاً وعملاً ما لا خفاء فيه على مؤمن عليم بدين الإسلام وبما حدث فيه))<sup>(٧٦)</sup>.

ويقول ابن حزم رحمه الله: (( والأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام؛ أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم، حتى إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء<sup>(٧٧)</sup>، وكانوا يعدُّون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب- وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً- تعاضمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام))<sup>(٧٨)</sup> إلى آخر ما ذكر من مشاهير أولئك القوم وحيلهم في إخراج المسلمين عن دينهم.

ويقول طارق عبد الحكيم: ((وبعد أن تم الفتح الإسلامي لبلاد فارس، ودخل الفرس في دين الله أفواجاً، ولكن -بطبيعة الحال- لم يكن من السهل أن يعرف كل الفرس المسلمون الإسلام كما أراد الله عز وجل، فالأعداد المسلمة غفيرة، والعادات والأديان والأفكار القديمة

(٧٦) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١١ .

(٧٧) لعلها الأسياد كما نقلها الملك محمد صديق خان في خبئية الأكران ص ٧٥ .

(٧٨) الفصل ٢ / ١١٥ .

متأصلة في النفوس، فكان أن ترعرعت نبتة الرفض البغيضة في تلك البلاد<sup>(٧٩)</sup>، واستمدت أفكارها الرئيسية بشأن الإمام المعصوم، وآل بيته مما رسخ في الأذهان من قديم)).

وهو يشير هنا إلى ما قاله ضياء الدين الريس عن الفرس الذين دخلوا في الإسلام وأذهانهم مملوءة بمذاهبهم القديمة وحضارتهم البائدة.. فقال: ((والفارسي لم يكن يستطيع أن يتصور أن يوجد خليفة بالانتخاب، وإنما المبدأ الوحيد الذي يمكن أن يفهمه هو مبدأ الوراثة.. وليس من المبالغة إذا في شيء أن يقال: إن البيت النبوي وقد مثله ((أل علي)) قد حلَّ في قلوب هؤلاء الفرس واعتبارهم محل بيت ((آل ساسان))<sup>(٨٠)</sup>.

وعن تأثر المسلمين بالفكر اليوناني قال طارق عبد الحكيم: ((زعم أن الأثر اليوناني قد ظهر كأشد ما يكون في فكر من يسمون بفلاسفة الإسلام<sup>(٨١)</sup> كالفارابي وابن سينا، وفي فكر المعتزلة - إلا أنه قد أثر في مناهج الفكر بشكل عام عند بقية الفرق، بل وعند بعض علماء أهل السنة الذين دافعوا عن علم الكلام الذي استقوه من المنهج المنطقي اليوناني، وقد تجلَّى ذلك في كتابات أئمة الأشاعرة))<sup>(٨٢)</sup>.

وعن تأثرهم بالأفكار الهندية قال: ((وقد كان من أهم ما أثر به فكر الهنود في الفرق المبتدعة في الإسلام هي فكرة ((التناسخ))، فقد نشأت عدة فرق تقول بهذه الفكرة منها والسبئية من الروافض، كذلك تأثرت الصوفية بالهندوكية.

إلى أن قال: ((ومن الفرق التي تأثرت بالتناسخ النصيرية والدروز الذين يعتقدون أن مرتكبي الآثام يعودون إلى الدنيا يهوداً أو نصارى أو مسلمين سنين))<sup>(٨٣)</sup>.

وسيتضح كل ذلك إن شاء الله عند دراستنا لهذه الفرق.

أما أثر اليهودية في المسلمين فإنه يظهر من خلال شخصية عبد الله بن سبأ، والأحداث التي افتعلها، والأفكار التي روجها من القول بالرجعة والوصية وغيرها من الأفكار التي اخترعها.

<sup>(٧٩)</sup> الواقع أن نبتة الرفض والغلو فيه إنما أسسه ابن سبأ . وقد انتشر بسرعة بين الفرس لملائمة تلك الأفكار لما رسخ في أذهان الفرس من تعظيم ملوكهم .

<sup>(٨٠)</sup> مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ١٢١ .

<sup>(٨١)</sup> الإسلام ليس فلسفة فكرية وإنما هو دين رب العالمين .

<sup>(٨٢)</sup> المصدر السابق ص ١٢٤ . وقد أدخل المؤلف الأشاعرة ضمن أهل السنة

<sup>(٨٣)</sup> المصدر السابق ص ١٢٥ .

ومن خلال شخصية لبيد بن الأعصم الذي كان يقول بخلق التوراة، فأخذ ذلك عنه ختنه طالوت، وأخذ عن طالوت أبان بن سميعان، وعنه الجعد بن درهم، ثم الجهم بن صفوان، ثم بشر المريسي الذي كان أصله يهودياً.

وكذا تأثير اليهود فيمن أخذ عنهم فكرة القول بالبداء على الله تعالى، وهي فكرة يهودية كفكرة الرجعة.

وعن تأثير المسلمين بالنصرانية يقول: ((فمن المفاهيم النصرانية التي تسربت إلى عقول طوائف من المسلمين، وأدى بهم إلى الصوفية هي نظرة النصارى إلى الدنيا، واحتقارهم الكامل لها في ظاهر الأمر)).

كذلك كان للمفاهيم النصرانية عن اللاهوت والناسوت والاتحاد بينهما أثر في تنمية وتشكيل مبدأ الحلول والاتحاد، الذي قال به متأخرو الصوفية كالحلاج وابن سبعين وابن عربي. كذلك مفهوم الولاية بالمعنى الصوفي فإنها مذهب نصراني<sup>(٨٤)</sup>.

وأخيراً أقول بأن كلام العلماء حول قضية تأثير بعض المسلمين بالمفاهيم والحضارات الأخرى كثير، وإنما الغرض والتنبيه على وجود هذا الداء بين صفوف المسلمين بعد أن تراخت قبضتهم على دينهم بفعل تلك العوامل الكثيرة.

وسبب هذا التأثير هو أن الأفكار تتغلغل في النفوس وتنتشر، ثم تستحكم في أصحابها حين تجد عقولاً مفلسة وقلوباً غافلة، فتتمكن حينئذ - على حد ما قاله أحد الشعراء عن الهوى -

**أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا**

وهذا البعض من المسلمين إنما أوقعه في مثل هذه المزالق - بعده عن العلم وعن أهل العلم، ومثل هؤلاء إنما هم سهم الصائد الأول. ومن هنا نجد أن تلك الأفكار الخاطئة إنما تنشأ في المجتمعات الجاهلة لعدم وجود حصانة ضدها لديهم، ولجهل تلك المجتمعات أيضاً أسباب لا تخفى على طالب العلم.

(٨٤) المصدر السابق ص ١٢٩ .

\* \* \* \* \*

## الباب الثاني

### فرقة السلف أهل السنة والجماعة

١. الفصل الأول : تمهيد حول دراسة هذه الطائفة
٢. الفصل الثاني : الأخطار التي تحيط بأهل السنة والجماعة
٣. الفصل الثالث : عقيدة فرقة أهل السنة والجماعة
٤. الفصل الرابع : أسماء هذه الطائفة وألقابهم
٥. الفصل الخامس : ما هي عقيدة السلف وما هو منهجهم في مسائل الاعتقاد والاستدلال لها؟ وما معنى كلمة عقيدة
٦. الفصل السادس : أقوال السلف في وجوب التمسك بالسنة والحذر من البدع
٧. الفصل السابع : لزوم السلف جماعة المسلمين وتحذيرهم من التفرق وأدلتهم على ذلك
٨. الفصل الثامن : الثناء على السلف رحمهم الله تعالى
٩. الفصل التاسع : جهودهم في خدمة الإسلام
١٠. الفصل العاشر : بيان وسطية أهل السنة في مسائل الاعتقاد وسلامتهم من ضلالي الإفراط والتفريط صلى الله عليه وسلم
١١. الفصل الحادي عشر : علامات وسمات الفرقة الناجية وعلامات وسمات الفرق الهالكة مزايا العقيدة السلفية وأصحابها
١٢. الفصل الثاني عشر : ذكر أشهر أئمة أهل السنة ومؤلفاتهم في العقيدة
١٣. الفصل الثالث عشر : تنبيهات مهمة على مسائل في العقيدة

## الفصل الأول

### تمهيد

#### حول دراسة هذه الطائفة

من المعروف أن طلاب العلم خصوصاً في هذه المرحلة - الماجستير - عندهم إلمام جيد عن هذه الفرقة إلا أنه قد يكون عند البعض إلمام غير مرتب في دراسة خاصة ومتوالية ومنتسعة للنقاش والمداولة في فصل الدراسة ومن هنا حصلت القناعة أنه يجب أن تكون دراسة هذه الطائفة ضمن منهج السنة المنهجية لدارسي مرحلة الماجستير وأن تكون بمثابة التصفية النهائية في دراستهم عن أهل السنة من حيث طرح اعتقاد أهل السنة بوضوح دراسة ومناقشة واستنتاجات شفهية داخل الفصل من جميع الجوانب التي يحتاج إليها المسلم داعية أو مدرساً أو غير ذلك والباحث كلما تعمق في دراسة عقيدة أهل السلف كلما ازداد علماً ومعرفة ومن أراد العلم النافع فعليه ببذل الجهد فيها وفهمها.

وأعتقد أنه من نافلة القول أن عقيدة السلف ما كانت في يوم من الأيام مشتملة على غموض أو اضطراب يحتاج إلى توضيح ولكن حصل ما لم يكن في الحسبان من ظهور علماء السوء الذين أحاطوا كثيراً من التعاليم الإسلامية بشبهاتهم التي ورثوها عن مختلف الفلسفات ثم أضرموا الخلاف فيها وقلبوا الأمور حتى ظهرت أنها في حاجة إلى الدراسة والبيان إذ فوجئ السلف بالأمر الواقع فاحتاجوا إلى البيان والجدل وضرب الأمثلة لإعادة المسلمين إلى نبع العقيدة الصافي وأخذ هذا المنحى جهداً ووقتاً كان الأولى أن يستغل في غيره لولا تلك الفتنة الهوجاء التي شوشت أفكار كثير من المسلمين وبعد أن أدرجت هذه الطائفة ضمن مقرر أهل السنة المنهجية بالدراسات العليا وأسند إلى تدريسها رغبت أن أثبتها ضمن ما سبق طباعته من المقررات في كتاب فرق معاصرة قصد الفائدة إن شاء الله تعالى فأليك أخي القارئ خلاصة تلك المناقشات والدراسة بإيجاز. أرجو أن تجد فيها ضالتك عن حقيقة فهم مذهب السلف إن شاء الله.

## الفصل الثاني

### الأخطار التي تحيط بأهل السنة والجماعة

مما لا ريب فيه أن المسلمين عموماً تطبق عليهم خطط وتنفيذ فيهم مؤامرات قد أحكم حبكها ولا أظن القارئ في حاجة إلى ضرب الأمثلة على هذا الواقع فإن كل شيء يشهد بذلك من الاستعمار الفعلي إلى الاستعمار الفكري إلى التفرق الحاصل بين المسلمين في نظرهم إلى الأخوة فيما بينهم وإلى ولاءاتهم المختلفة بل المتناقضة وإلى الطوق الغليظ الذي وضعوه في أعناقهم من حيث يعلمون أو لا يعلمون وهنا أعتذر للقارئ الكريم عن المتابعة والاستفاضة في دراسة جوانب التأثير الذميمة النازل بأحوال المسلمين عموماً فقد كتب المصلحون والناصحون والمفكرون ما يشفي ويكفي لو كان السامعون أحياء القلوب إلا أن أكثرهم أصبحوا كما قال الشاعر :

**لقد أسمعت لو ناديت حياً \*\*\* ولكن لا حياة لمن تنادي**

وتحقق ما نسب إلى الشافعي رحمه الله في قوله :

**نعيب زماننا والعيب فينا \*\*\* وما لزماننا عيب سوانا**

نعم أعتذر عن الاسترسال في الكتابة عن هذا المجال فإن حديثه ذو شجون وأحداثه تكاد أن تتكلم عن نفسها فالخطب جسيم والحمل عظيم وإذا لم يفق المسلمون اليوم فإن قوارع الدهر وسنن الله في خلقه ستوقظهم عاجلاً أم آجلاً ولنتحسر مع القائل :

**أمرتهمو أمري بمنعرج اللوى فلم \*\*\* يستبينوا النصح إلا ضحى الغد**

نترك الكلام عن أحوال المسلمين وفرقهم وأحزابهم المتناحرة وولاءاتهم المتناقضة والإهانات التي تواجههم في كل مكان وفي كل يوم على أيدي أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وسائر ملل الكفر والضلال الذين تداعوا على المسلمين كما تتداعى الأكلة على قصعتها كما أخبر بذلك من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم.

نترك هذا كله لنتجه بالنصيحة إلى البقية والصفوة من المسلمين الذين بقوا قابضين على مفاهيم كتاب ربهم وسنة نبيهم إلى الذين بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيبقون

ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله مهما كانت قلتهم ومهما كانت حالهم الذين أدركوا أنهم تهتددهم في دينهم وفي دنياهم بل وفي وجودهم أخطار كثيرة تتطلب جمع الكلمة وصدق المؤازرة ونشر النصيحة صافية نقية في جميع الجوانب وهي كثيرة الجوانب جداً وما لا يدرك كله لا يترك كله فعسى أن يكون في التذكير بها فتح باب خير وعودة وثبات إذ من السهولة العودة إلى ما كان عليه المسلمون في ماضيهم من العزة والمنعة حين تكون النيات خالصة والقلوب متوجهة بصدق ومن تلك الأخطار التي بقيت للمسلمين ما أشير إليه هنا بإيجاز سريع.

١- محاربة المسلمين في تمسكهم بكتاب ربهم تعالى.

٢- محاربة المسلمين في تمسكهم بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم.

٣- محاولة دق إسفين بين الكتاب والسنة وذلك بدعواهم أنه يجب الأخذ فقط بالقرآن الكريم دون السنة النبوية.

٤- بتشكيكهم في صلاحية تعاليم ديننا الإسلامي في هذا العصر بزعمهم.

٥- بث الدعايات ضد أهل السنة وتشويه ما هم عليه من المعتقدات الصحيحة.

٦- محاربتهم عن طريق تمجيد العقل وتقديسه وجعله مصدر التشريع.

٧- محاربتهم عن طريق التأويلات الفاسدة للنصوص لإبعادهم عن مدلولاتها.

٨- محاربتهم عن طريق الحرب النفسية وإدخال اليأس والوهن في قلوبهم.

٩- محاربتهم عن طريق تقوية بعضهم على بعض ليضربوا عصافير بحجر :

أ- إضعافهم مادياً وبشرياً.

ب- دوام حاجتهم إليهم.

١٠- إحياء البدع على أعلى المستويات بل ومحاولة إخضاع أهل الحق لها بالترهيب

والترغيب.

١١- محاولة حصر مفهوم الإسلام وتعاليمه في القيام بالعبادة فقط دون أن يكون له أي

شأن في حياة الناس وسلوكهم وسموه في الجانب الروحي حتى ظن كثير من الناس أن أهل السنة والمتمسكين بالدين لا يعرفون ما وراء المسجد شيئاً عن الحياة.

١٢- إشغال أهل الحق بفتن مختلفة ونظريات باطلة بقصد صرفهم عن التوجه إلى نقد المخالفين أو بقصد إشغالهم بالردود عليها.

١٣- إشغالهم بدعوات التجديد في الدين أي بإحداث البدع وإحداث أمور في الشريعة الإسلامية ما أنزل الله بها من سلطان خصوصاً وهذه الدعوات تصدر عن أناس يجهلون كثيراً من أحكام الشريعة وحكمها.

١٤- تأييد كل الدعوات الهدامة والمبادئ المنحرفة كدعوى النبوة ونسخ الشريعة الإسلامية بها مع أنها قضية معلومة من الدين بالضرورة لا يجعلها مسلم سليم الفطرة والعقل وأوتي ولو يسيراً من العلم فإن ختم النبوة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثبتت في القرآن الكريم وفي السنة النبوية قال الله تعالى : { وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ }<sup>(٧٩)</sup> وفي أحاديث كثيرة يبين النبي صلى الله عليه وسلم أنه آخر الأنبياء لا نبي بعده ومن ادعاها فهو كاذب مفتر على الله تعالى وثبت هذا في قلب كل مسلم فجاء أهل الباطل بتأويلاتهم الفاسدة للنصوص وأفرغوها من مدلولاتها الحقيقية وألبسوها معاني زور هي منها براء كزعمهم أن خاتم بمعنى أفضل أو خاتم الأنبياء المرشحين أو أن خاتم بمعنى زينة كزينة الختم في الورق، لقد أفرغوا معنى ختم النبوة من معناه فذهبوا يدعون أنهم أنبياء وأنه يجب على كل مسلم أن يؤمن بهم بعد أن شنعوا على أهل السنة والجماعة وكفروهم لعدم انسياقهم مع هذه الضلالات المعلوم بطلانها من دين الإسلام بالضرورة وشغل أهل السنة بمقارعتهم والردود عليهم وذهبت أوقات وجهود كان ينبغي أن تستغل لرفع راية الإسلام خفاقة لو لا تكالب أعداء الإسلام ومخططاتهم الخطيرة ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون { إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }<sup>(٨٠)</sup> وما حفظه الله فإنه لا يستطيع أحد أن يضيعه.

ثم وضعوا أمام أهل السنة عراقيل كثيرة في حرب ضروس معهم تمثلت من ضمن ما تمثلت فيه بث الفرقة وقيام الأحزاب التي قامت على الهوى والأنانيات البغيضة غير ملتفتين إلى النصوص المتظاهرة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام بالتحذير من هذه المسالك التي يعج بها العالم اليوم خصوصاً العالم الإسلامي الذين لا يريدون أن يتعضوا بغيرهم بل يريدون

(٧٩) الأحزاب: الآية ٤٠

(٨٠) الحجر: ٩

أن يكونوا هم العظة وهو ما حصل بالفعل حينما اتبعوا سنن من كان قبلهم شبراً بشير وذراعاً بذراع حتى لو فكر أولئك في دخول جحر الضب لوجد من بعض المسلمين اليوم من يريد ذلك وهذا يدل على الانهزامية الكاملة والانبهار بما عند الغرب أو الشرق من مغريات الحياة الدنيا التي يعلمون ظاهراً منها وهم عن الآخرة هم غافلون مصداقاً لما أخبر الله به من أنه سيرهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يعلموا أنه الحق وأن ما هم عليه إنما هو ابتلاء وإقامة للحجة عليهم وإلا فليسوا أقرب إلى رضاء الله من خلص المؤمنين الذين لا يملكون تلك المادة التي يملكها أعداء الإسلام مع أن الواقع يشهد بما عليه حال أهل السنة من ارتفاع الكلمة والعزة حتى بين أظهر أعداء الإسلام فإن مساجدهم عامرة وشعائهم قائمة قد حفظ الله بهم دينه وأعلى بهم كلمته وذلك بدون شك أنه بسبب تمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم وسيرهم على ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وهو الطريق الذي يأمن سالكه من التفرقة في السبل المتشابهة الكثيرة المؤدية إلى الضياع والهلاك والتمسك بهدى الصحابة رضوان الله عليهم أولئك الذين امتازوا بالذكاء ورجاحة العقل والأخذ من فم النبي صلى الله عليه وسلم أو لم يسمع منه مهما كان صلاحه ورجاحة عقله أولئك هم الجماعة وهم الذين بشرهم نبيهم بأنهم ومن يتبعهم سيقون ظاهرين على الحق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإذا كانت دراستنا ومناقشاتنا في هذه القاعة تخص فريقاً من أكرم الناس وهم أهل السنة والجماعة فلنبداً بالتعريف بهم وإجلاء حقيقتهم وحقيقة مبادئهم والأدلة على ذلك.

\* \* \* \* \*

## الفصل الثالث

### عقيدة فرقة أهل السنة والجماعة

لقد ألف العلماء في بيان العقيدة السلفية المؤلفات الواسعة ملئت بها المكتبات الإسلامية بين مطولات ومتوسطات ومختصرات مطبوعات ومخطوطات.

ومن العجيب أنه على كثرة ما كتب في ذلك فلا يزال الكثير من الناس يجهلون عقيدة هذه الطائفة ويجهلون كثيراً من مبادئها لأسباب كثيرة حسب ما يظهر لي :

١- بسبب انصراف الناس عن مدارسها بجد.

٢- لعدم وجود من يقدمها للناس في أماكن تجمعاتهم وبالصورة المرضية.

٣- لقوة الدعايات ضد السلف وضد كتبهم.

٤- لعدم تمكينهم وتمكين كتبهم من الانتشار في كثير من بلدان المسلمين لوقوف أعداء السلفية ضدها.

ومهما وصل الشخص في علمه بها فإنه دائماً في حاجة إلى تجديد معلوماته ولهذا كلما قرأ الشخص عنها وفي كتب أصحابها ازداد معرفة واكتسب علماً جديداً وربما يعود هذا إلى كثرة ما كتب عنها وكثرة الأساليب المستخدمة في الكتابة عنها وسعة مفاهيم كتابها وكثرة ردودهم على أهل الباطل المناوئين لهم ودحض كل شبهة توجه لهم ولهذا فإن أهل السنة وعلومهم مثل الجداول وينابيع المياه العذبة متجددة على الدوام ولنا في شهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم أكبر شاهد ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

## كما أن فرقة السلف

### أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية

### والطائفة المنصورة

وهم خير الفرق وأزكاها ولا تقارن بهم أي فرقة أخرى مهما بلغت في انتسابها إلى الكتاب والسنة.

فقد اتضح منهاجهم القويم وشهد لهم النبي العظيم صلى الله عليه وسلم بأنهم على الحق والهدى وأنه لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على الحق وهي فرقة قائمة بذاتها لا تعلق لها بالفرق الأخرى وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ظاهرين لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم كما أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وإنما نذكر ههنا في هذه العجالة على حد ما قيل (وبضدها تتميز الأشياء) كما أن معرفة هذه الطائفة وفهم مبادئها حق الفهم هو العلم والخير كله وبهذه المعرفة يستطيع المسلم الدفاع عن دينه ومبادئه ورد شبهات المبطلين وتفنيدها.

فإن من حق معرفة طريقة السلف أهل السنة والجماعة فقد أمن العثار وسار في طري الأبرار. ولقد كنت في بداية تدريسي لهذه المادة أرى أنه يجب أن يرفع قدر أهل السنة أن يدرسوا ضمن الفرق الأخرى المنحرفة لأنهم هم الأساس وهم الدعامة القوية لحفظ السنة وليس فرقة طارئة كسائر الفرق ولكن حصلت القناعة بعد ذلك لإبرازها بالدراسة فقد ذكرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بلفظ فرقة وطائفة ولا يضيرهم أن يذكروا مع ذكر الفرق المخالفة للحق بل إن ذكرهم يعتبر من إقامة الحجة على كل مخالف.

\* \* \* \* \*

## الفصل الرابع

### أسماء هذه الطائفة وألقابهم

#### ١- الألقاب الصحيحة

أطلقت على أهل السنة أسماء وألقاب صحيحة تدل على حالهم وتطابق معتقداتهم هي كالرحيق بالنسبة لكل مؤمن صحيح العقيدة وكالشجى في حلق كل مبتدع مخرف وهي أسماء مشرقة أخذت من أوصافهم التي وردت على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن أحوالهم وسلوكهم.

فمن شكك فيها أو ردها فإنما ذلك لمرض في قلبه وعقيدة باطلة في نفسه كما هو شأن أهل الباطل في مقاومتهم دائماً للحق وأهله والتشنيع عليهم وذكرهم بالألقاب والأسماء المنفرة الكاذبة.

وأسماء السلف الصحيحة التي أطلقت عليهم هي :

١- أهل السنة والجماعة.

٢- السلف الصالح.

٣- الفرقة الناجية.

٤- أهل الحديث والسنة.

٥- أهل الأثر.

٦- الطائفة المنصورة.

وفي ما يلي بيان هذه الأسماء وبيان أحقية السلف بإطلاقها عليهم.

#### ١- أهل السنة والجماعة

أ- التعريف بأهل السنة :

١- معنى السنة في اللغة هي الطريقة أو الطرق الواضحة والسلوك الطيب قال الجوهري :

"السنن الطريقة يقال استقام فلان على سنن واحدة" أي على طريقة واحدة.

وقال ابن الأثير مبيّناً المعنى اللغوي ومتعرضاً كذلك للمعنى الاصطلاحي في مادة "سنن" "قد

تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها والأصل فيها الطريقة والسيره وإذا أطلقت في

الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وندب إليه قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة أي القرآن والحديث".  
وبما ذكر وغيره يتضح أن معنى السنة في اللغة هي الطريقة أو الطريق وقد ورد في الحديث ما يؤيد ما سبق في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث وفد مضر "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء".

وقد دل الحديث على أن السنة تنقسم إلى قسمين إما أن تكون سنة حسنة أو تكون سنة سيئة ولكل واحدة جزاؤها العادل.

## ٢ - معناها في الاصطلاح:

تطلق تسمية السنة على كل ما جاء عن المصطفى صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وتقريراته ويطلق على المتمسكين بها أهل السنة وهي تسمية مدح لهم كما يطلق على المخالفين لها أهل البدعة تسمية ذم لهم.

ومن كرامة الله لأهل السنة هدايته لهم إلى الانتساب إليها دون غيرها كما هو حال أهل الطرق البدعية فلم ينتسبوا إلى رأي ولا إلى شخص ولا إلى بلد أو قوم أو غير ذلك وهي مزية فيهم قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها أما أهل الطرق البدعية فما أكثر انتسابهم إلى مشائخهم أو آرائهم أو بلداتهم وغير ذلك.

ولهذا تجدد أن الكثير من تلك التسميات والآراء لهم بل والأشخاص المتزعمين لهم يضمحلون ويندثرون مهما بلغوا من القوة والتمكين ومهما تطول بهم المدة قال الراغب "سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يتحراها" ومن الملاحظ أنه مع اتفاق كل المسلمين على هذا المفهوم للسنة فقد وقع بعض التفاوت في مفاهيم علماء كل فن. فالسنة عند المحدثين هي "ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو سيرة سواءً أكان قبل البعثة أو بعدها" بينما هي عند العلماء الذين يتبعون الأحكام الشرعية العامة كالأصوليين يقتصرون في التعريف بها على أنها "ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول

أو فعل أو تقرير" وكالفقهاء الذين يبحثون عن حكم الشرع في أفعال المكلفين من حيث الوجوب أو عدمه حيث فسروا السنة بأنها خلاف الواجب أي ما يثاب العبد على فعله ولا يعاقب على تركه كفعل المستحبات أو تركها.

ويتحصل من أقوال العلماء أن المراد بالسنة عند الإطلاق ما يلي :

١- يراد بها كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٢- يراد بها الحديث النبوي.

٣- يراد بها العقيدة.

٤- يراد بها التمسك بالكتاب والسنة وهدى الصحابة في كل الأمور سواء أكانت في الأمور الاعتقادية أو أمور العبادات.

٥- يراد بها ما يقابل البدع وأهل هذا القول - السلف - يفرقون بين السنة والحديث لأن السنة ما يقابل البدعة والحديث ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد يكون الرجل محدثاً ولكنه ليس بسني.

ويفهم من هذه الإطلاقات عموماً أن السنة يراد بها ما كان في أمر الدين بدليل قوله تعالى في الحث على التمسك بكل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" .

وقوله تعالى : { مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ }<sup>(٨١)</sup> وغير ذلك من الآيات وبدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم : "فعلیکم بسنتي" وقوله صلى الله عليه وسلم : "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" وقد أطلق على السلف أهل السنة لتمسكهم بها منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن تبعهم بإحسان والقرآن الكريم والسنة النبوية في مجال الاعتقاد والاستدلال لا فرق بينهما في وجوب العمل والتمسك بهما وحيان إلا أن السنة النبوية صدرت على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم من كلام الله عزّ وجلّ وهذا هو

(٨١) النساء: الآية ٨٠

اعتقاد أهل السنة كلهم المتمسكون بها حقيقة عدا من انحرف عنها من الطوائف التي تنتسب إلى الإسلام (٨٢).

### ب - معنى الجماعة :

تطلق الجماعة على الطائفة أو الفرق أو الأمة الذين يرتبطون بمنهج واحد وهدف واحد ولم يتفرقوا في الاعتقاد والسلوك وتطلق تسمية أهل السنة والجماعة - وهو المراد - على السلف الصالح من الصحابة وأتباعهم إلى يوم الدين كما تقدم - وأطلقها بعضهم على أهل الحديث ولا ريب أن اقتران اسم أهل السنة بالجماعة يفيد مزية خاصة لأهل السنة إذ هم الجماعة التي حث النبي صلى الله عليه وسلم على الانضمام إليهم والسير في منهجهم حينما أخبر عليه الصلاة والسلام عن هلاك الطوائف إلا واحدة وهي الجماعة وهذا هو الحق والاعتقاد مهما كان من الخلاف وإنما نذكر الخلاف فيما يلي تنمة للبيان .

### الخلاف في المراد بالجماعة هذه

١- قيل الجماعة هم السواد الأعظم واختلف في المقصود بالسواد الأعظم فقولهم كثرة الناس وهذا مردود فلا يلزم أن تكون الجماعة التي معها الحق هم الكثرة دائماً والله تعالى يقول : { وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ لِيُضِلُّوكُمْ } (٨٣) خصوصاً إذا فهم من السواد الأعظم العوام وغيرهم.

وقيل السواد الأعظم هم العلماء العاملون بالحق المتبعون للسنة حتى لو كان عالماً واحداً وقوى هذا القول كثير من العلماء فقد قيل : "وواحد كالأنف إن أمر عني".

١- أنهم العلماء المجتهدون في كل عصر إلا أنه يرد على هذا أنه ضيق موسعاً باشتراط الوصول لرتبة الاجتهاد ثم إنه تعريف غير جامع ولا مانع فإن كل فن له علماءه المجتهدون فيه وعلماء السلف يدخلون دخولاً أولاً في عداد أهل السنة والجماعة الممدوحة.

(٨٢) كالرافضة والخوارج وغيرهم من المنحرفين وهم يزعمون الانتساب إليها ويخالفونها بالتأويلات والهوى الفاسد .  
(٨٣) الأنعام: من الآية ١١٦

٢- أنهم خصوص الصحابة رضوان الله عليهم ولكنه قول غير راجح مع دخول الصحابة دخولاً أولاً في الجماعة ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحكم على المسلمين بالهلاك ما عدا الصحابة فقط ولقوله : "من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

٣- أنهم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير واحد وجب على الجميع طاعته إلا أنه يرد على هذا القول أن الحديث لم يرد في باب الإمامة وشأنها وإنما ورد في التحذير من التفرق.

٤- أنهم جماعة على الحق أخبر عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم بتلك الصفات دون تعيين لأسمائهم وبلداتهم<sup>(٨٤)</sup> وهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.

وهذا هو الذي يترجح - والله أعلم - ولأهل السنة والجماعة نصيب من صحة تلك الأقوال كلها.

## ٢ - السلف

التعريف بالسلف في اللغة وفي الاصطلاح

أ - في اللغة : "يقال سلف الرجل آباؤه المتقدمون والجمع أسلاف وسلاف"<sup>(٨٥)</sup> وقد استدل الراغب لمجيء<sup>(٨٦)</sup> السلف على المتقدم بقوله تعالى : { فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ }<sup>(٨٧)</sup> وقوله تعالى : { فَلَهُ مَا سَلَفَ }<sup>(٨٨)</sup> وقوله تعالى : { إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ }<sup>(٨٩)</sup> .

وقال ابن منظور ابن منظور : " قيل سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح"<sup>(٩٠)</sup> .

وهذا التعريف اللغوي للسلف عام يشمل كل من سبق وتقدم على غيره وهو دون المعنى الاصطلاحي للسلف في المفهوم الحقيقي لهم.

<sup>(٨٤)</sup> في بعض الرويات والآثار أن هذه الجماعة هم أهل الغرب (( أي الدلو الكبير وعم العرب )) وفي بعضها أنهم أهل الشام ورجحه شيخ أسلام والذي رجحه عامة العلماء أن هذه الطائفة لا يلزم أن تكون في مكان واحد من الأرض ويمكن أن يكون آخرهم بالشام عند انقضاء الأمر والله أعلم .

<sup>(٨٥)</sup> انظر الصحاح ج ٤ ص ١٣٧٦ .

<sup>(٨٦)</sup> المفردات للراغب ص ٢٣٩ .

<sup>(٨٧)</sup> الزخرف: ٥٦ .

<sup>(٨٨)</sup> البقرة: الآية ٢٧٥ .

<sup>(٨٩)</sup> النساء: من الآية ٢٢ .

<sup>(٩٠)</sup> لسان العرب ج ص ٣٣١ .

والسلف الصالح قد تقدمونا وهم قدوتنا ولهذا فلا منافاة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي من تلك الناحية إلا من حيث الخصوص والعموم كما سيتضح هذا عند ذكر التعريف الاصطلاحي لهم فيما يلي :

**ب - التعريف الاصطلاحي :** اختلف العلماء في المفهوم من إطلاق تسمية السلف على

من تطلق وفي أي زمن أطلقت وهل هذا الوصف باق يصح الانتساب إليه أم لا؟

١- ذهب المحققون من أهل العلم إلى أن مفهوم السلف عند الإطلاق يراد به الصحابة الكرام والتابعون لهم بإحسان وأتباع التابعين من أهل القرون الثلاثة الوارد ذكرهم في الحديث ومن سلك سبيلهم من الخلف وهذا هو الذي اختاره شيخ الإسلام رحمه الله ومن قال بقوله ويظهر هذا في قوله : "مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف" (٩١) إلى آخر كلامه ولفظة أهل الحديث الواردة في كلام شيخ الإسلام يقصد بها عامة من يتمسك بالسنة النبوية وليس المراد ما تعارف عليه الناس اليوم في التخصصات العلمية بدليل قوله في معرض ثنائه على أئمة الحديث :

"وإذا كان الأمر كذلك فأعلم الناس بذلك أخصهم بالرسول وأعلمهم بأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته ومدخله ومخرجه وباطنه وظاهره وأعلمهم بأصحابه وسيرته وأيامه وأعظمهم بحثاً عن ذلك وعن نقلته وأعظمهم تديناً به وإتباعاً له واقتداءً به وهؤلاء هم أهل السنة والحديث حفظاً له ومعرفةً بصحيحه وسقيمه وفقهاً فيه وفهماً يؤتبه الله إياه في معانيه وإيماناً وتصديقاً وطاعة وانقياداً واقتداءً وإتباعاً مع ما يقترن بذلك من قوة عقلهم وقياسهم ورأياً وأصدق الناس رؤياً وكشفاً".

إلى أن يقول : "ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته بل نعني بهم كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً واتباعه باطناً وظاهراً وكذلك أهل القرآن وأدنى خصلة في هؤلاء محبة القرآن والحديث والبحث عنهما وعن معانيهما والعمل بما علموه من موجبها ففقهاء الحديث أخبر بالرسول من فقهاء غيرهم" (٩٢) .

(٩١) ج ٦ ص ٣٥٥ .

(٩٢) الفتاوى ج ٤ ص ٨٥ - ٩٥ .

وفي هذا البيان الطيب يتضح أن أهل الحديث هم الذين يعلمونه ويعملون به أما من علمه ولم يعمل به فإنه ليس منهم بل لا فرق بينه وبين أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم ممن برزت جهودهم في خدمة الحديث وأصحاب المعجم المفهرس أقوى مثال وهم بخلاف أهل الحديث مع كثرة ما دونوه لستم حجة الله عليهم.

٢- وهناك من خصص لفظ السلف عند الإطلاق بالصحابة فقط.

٣- ومنهم من خص لفظ السلف بالصحابة ومن تبعهم دون غيرهم.

٤- ومنهم من خص السلف بالقرون الثلاثة فقط.

ويتضح من هذه التعريفات أنه لا خلاف بين أحد من المسلمين أن الصحابة هم السلف الصالح الأخير الأبرار وأن أفضل الناس بعد الصحابة هم التابعون لهم بإحسان ثم أتباع التابعين ثم من سار على نهج الجميع دون تقييد بزمن.

وأما من خص السلف فقط بالصحابة أو التابعين أو أتباعهم فقط أو صهم بزمن محدد فهو استحسان منه واجتهاد وليس له دليل فإن السلف ليسوا جماعة بخصوصهم أو في زمن بخصوصه وإنما السلف هم المتمسكون بالكتاب والسنة فإن المدار عليهما والعبارة بهما ولا ريب أن الصحابة لهم القدح المعلى في هذه النسبة ملازمتهم النبي صلى الله عليه وسلم وجودة أفهامهم وذكائهم ولهذا كان ما عملوا به حجة يجب العمل به وما تركوه يجب تركه بخلاف غيرهم بعد القرون الثلاثة وإن كان وصف السلف يشملهم بسبب تمسكهم بالشرع الشريف مع تفوق الصحابة عليهم بالفضل والأسبقية<sup>(٩٣)</sup>.

(٩٣) الأسبقية لا تكون مزية إذا لم يصاحبها الالتزام بالكتاب والسنة فقد وجد في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وزمن الصحابة من لم يكن له أدنى فضل أو خير مثل المنافقين والمرتدين الذين سيقول الرسول صلى الله عليه وسلم لهم في يوم القيامة سحقاً سحقاً كما ثبت بذلك النص وعلى هذا فلا تظهر مزيته إلا مع التحقيق والابتناع والانقياد.

## السلف والسلفية

وبيان صحة الوصف وجواز الانتساب والاعتزاء إليه والرد على ما أنكر ذلك لم يكن هذا الوصف مجرد لقب أو اسم أو ظهر صدفة على ألسنة الناس. لم يكن كذلك ولكنه نشأ عن أساس ثابت كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها لقد نشأ الاسم عن سلوك عميق لما كان عليه الصحابة ومن بعدهم بإحسان فاستحقوا هذا الاسم نتيجة عمل واقتداء والتزام بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

ولا ريب أن من اتصف بهذا الوصف يستحق أن ينتسب إلى السلفية أو سلف هذه الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

ولا اعتبار لنبز أصحاب الأهواء والبدع وتزهدهم عن هذه الفرقة الناجية ومن أراد أن يقف على الحق فليقرأ سيرة هذه الجماعة وليقف على البلاء الذي تحملوه في سبيل الدفاع عنها لتبقى جوهرة مكنونة صافية نقية.

وفي تاريخ الإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية ومن جاء بعدهم من تلامذتهم وأتباعهم إلى يومنا الحاضر خير شاهد على استحقاق هؤلاء لهذا الاسم السلفية وعلى غبطة الانتساب إليهم الذي هو في النهاية انتساب إلى الإسلام الذي رضيه الله تعالى.

وقد ظهر من كلام الشيخ أبي زهرة في كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية والدكتور مصطفى الشكعة في كتابه "إسلام بلا مذاهب" أن السلفيين هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم في القرن الرابع ثم تجدد ظهوره على يد الشيخ ابن تيمية في القرن السابع الهجري ثم جدده الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر للهجرة وقد أخطأ الحقيقة كما أخطأها الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه "السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي".

حيث رد وبعنف على القول بأن السلفية لقب لفئة من الناس واعتبره خطأ وبدعة طارئة على المسلمين بزعمه وقد ظهر خطأه من تسمية كتابه هذا وقد ذهب إلى أن الاقتداء بالسلف ليس معناه اتباع آرائهم وأقوالهم ومواقفهم التي اتخذوها وسلوك طريقتهم وإنما يكون بالرجوع إلى ما احتكموا إليه من قواعد تفسير النصوص وتأويلها وأصول الاجتهاد والنظر في المبادئ

والأحكام<sup>(٩٤)</sup> وهذا حكم قاصر وغير صحيح فإن السلفية ليست فترة زمنية ثم إن تفسيره الاقتداء بالصحابة بهذا التفسير لا يعتبر إتباعاً حقيقياً فإذا لم نتبعهم في آرائهم وفي أقوالهم وفي مواقفهم التي ورثوها عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي سلوكهم وطريقتهم في العبادات وفي المعاملات إذا لم نتبعهم في هذا كما يرى البوطي فماذا بقي لهم من فضل الصحبة والتلقي من النبع الصافي قبل أن تعكره مختلف الآراء والمذاهب والفرق.

وأما ما يراه من إتباعهم يكون في الرجوع إلى ما احتكموا إليه عند الاختلاف فهذا أيضاً لا يمنع الاقتداء بهم وتقديم آرائهم على آراء من جاء بعدهم.

على أن القواعد التي أشار إليها البوطي وأن الشافعي رحمه الله عملها حيث وضع قواعد أصول الفقه لم تكن قد بينت في الزمن الذي كان قبله فماذا يحكم عليهم البوطي<sup>(٩٥)</sup> ولو أنه سلم بما اتفق عليه السلف لكان خيراً وأشدّ تثبيتاً ولأغناه ذلك عن تكلف القواعد والشروط وموقف العقل بالنسبة للنصوص في أخبار الأحاد وأخبار التواتر التي شغلته فإنها كلها مبنية على الاستحسان والاجتهاد على طريقة المتكلمين.

والخلاصة من كل ما سبق أن مذهب السلف والانتساب إليه أمر لا غبار ولا اعتراض عليه وأنه لا يحق لأحد الانتساب إليه إلا إذا كان متبعاً قولاً وفعلاً ظاهراً وباطناً كما كان عليه الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان وأما من حاد عنهم إلى كلام الفلاسفة وعلماء الكلام الباطل وإلى إتباع العقل دون الالتفات إلى النص فهو ليس على طريقتهم وإن انتسب إليهم لأنه انتساب غير حقيقي.

### ٣- الفرقة الناجية

الفرقة في اللغة اسم يطلق على الطائفة أو الجماعة من الناس :

والناجية وصف لتلك الفرقة بالنجاة دون أن يكون له تعلق بالزمن والمقصود بهم هم أهل الحق ممن تمسكوا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على مدى الأزمان ولا عبرة بدعاوى المنحرفين أنهم هم تلك الفرقة الناجية.

<sup>(٩٤)</sup> انظر وسيطة أهل السنة بين الفرق ص ١١٢.

<sup>(٩٥)</sup> وللدكتور صالح الفوزان جزاه الله خيراً تعقيبات قوية في الرد على أبي زهرة والدكتور سعيد البوطي فيما زعماه عن السلف في كتابه الجيد ((البيان لأخطاء بعض الكتاب)) انظر ص ١٢٧ و ١٨٧ وانظر وسيطة أهل السنة بين الفرق ص ١١٢ وص ١١٣.

ووصفهم بالناجية لعله أخذ من قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه" (٩٦) أو لأن المتمسك بالوحيين سبيله النجاة أو لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "لا تزال طائفة ... الحديث" ولا ريب أن من تمسك بكتاب الله وسنة نبيه أنه من الناجين بتوفيق الله له ينجو من الضلالة والفتن وينجو إذا ما مات على ذلك من عذاب الله وغضبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تركتكم على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك" (٩٧) .

وهذا الاسم - الفرقة الناجية - يشمل كل من اتصف بالعقيدة الصحيحة التي كان عليها الصحابة ومن استن بسنتهم واهتدى بهديهم وربما أخذت التسمية أيضاً من حديث افتراق الأمة حيث أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الفرق كلها هالكة إلا واحدة هي الناجية (٩٨) وهم الصحابة ومن تمسك بهديهم وهذا الوصف لا ينطبق إلا على السلف الذين اتبعوا الصحابة بإحسان .

ويجب أن نلاحظ أن السلف حين تسموا بهذه التسمية لا يقصدون من ورائها الشهادة لأنفسهم بالجنة ولا تزكية أنفسهم وإنما المقصود بها إظهار ما هم عليه من التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الكريم وهما مصدر النجاة ولا يمنع أن تكون التسمية من باب التفاؤل أو من باب إظهار البراءة من المخالفين كما يرى البعض ولا مانع من ملاحظة كل ذلك .

#### ٤- تسميتهم أهل الحديث (٩٩) والسنة

كثير من العلماء يطلق هذه التسمية على السلف أهل السنة كشيخ الإسلام وغيره من رجال العلم .

وإذا أطلقوا في تسميتهم فقالوا أهل الحديث والسنة فإنهم لا يريدون التقسيم إنما هما عندهم بمعنى واحد فالسنة هي الحديث والحديث هو السنة حسب ما يظهر من صنيع المحدثين من السلف .

(٩٦) أخرجه مالك في الموطأ ص ٨٩٩ كتاب القدر .

(٩٧) أخرجه البخاري مع الفتح ج ١٣ ص ٢٩٣ كتاب الاعتصام .

(٩٨) أخرجه ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٢٢ كتاب الفتن .

(٩٩) الحديث : هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة - كما تقدم .

ولكن ينبغي الانتباه إلى أن بعض علماء السلف قد يطلق تسمية أهل السنة احترازاً عن غيرهم من أهل البدع فتكون السنة عامة والحديث أخص ويظهر الافتراق في أبواب الاعتقاد عند هذا الاستعمال.

وعلى هذا فهناك فرق بين مصطلح أهل السنة وأهل الحديث وإن عبر بأحدهما عن الآخر في أبواب الاعتقاد لما بينهما من التقارب في الغالب وإلا فقد يكون المرء من أهل السنة وليس من أهل الحديث من الناحية الصناعية أي ليس بمحدث وقد يكون من أهل الحديث صناعة وليس هو من أهل السنة فقد يكون مبتدعاً (١٠٠).

ولاشك في أن هذه التسمية شرف عظيم لرجال العقيدة الصحيحة الحاملين لواء علم الحديث المنتسبين إليه.

## ٥ - أهل الأثر

أطلقت الأثرية أو أهل الأثر على أهل السنة والجماعة والمراد بهم كل من تمسك بنصوص الكتاب والسنة ويريدون بالأثر ما أثر عن الله تعالى وعن نبيه صلى الله عليه وسلم من تلك النصوص.

وواضح أنهم لا يريدون به ما أصبح معروفاً عند بعض العلماء من تقسيماتهم للحديث إلى أقسام ومنها المأثور أو الأثر وهو ما وقف على الصحابي ولم يرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإن السلف لا ينطبق عليهم هذا الاصطلاح إذ هم من أحرص الناس على التمسك بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ورفع إليه. وإنما يقصدون بالأثر الحديث عموماً فأهل الأثر أي أهل الحديث الملتزمون بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما ورد عن السلف من الصحابة ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان من آثارهم الصحيحة لأن رد الآثار الصحيحة إنما هو من سمة أهل البدع المنتطعين في دينهم الذين لا يقبلون إلا ما يوافق أهواءهم مع أنهم يقدمون كلام مشايخهم وآبائهم على ما تفيده النصوص حمية وعصبية.

ولكنهم يستكبرون عن الآثار التي هي أشرف وأرفع من كلام من جاء بعد الصحابة مهما بلغ في العلم والشرف.

## ٦- تسميتهم الطائفة المنصورة :

هذه التسمية للسلف أخذت من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون" (١٠١) وعن معاوية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (١٠٢) : "ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله" وفي بعض الروايات : "لا تزال طائفة من أمتي منصورين ... " (١٠٣) الحديث وقد فسّر العلماء هذه الطائفة بأنهم كل من تمسك بالكتاب والسنة وعمل الصحابة المجانين البدع وأهلها وهم أصحاب الحديث الذي يعملون به قولاً وعملاً المجاهدون في سبيل الله تعالى.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن النصر سيكون حليفهم إلى أن تقوم الساعة وهي بشارة عظيمة مفرحة لأهل الحق والواقع يشهد بذلك فكم من المؤامرات والخطط تبنت لهم قديماً وحديثاً ولكن الله تعالى بلطفه يخرجهم منها ويجعل لهم منها فرجاً ومخرجاً لأن الله تعالى قد تكفل بحفظ هذا الدين إلى يوم القيامة وهؤلاء هم حفظته بإذن الله تعالى وقد تكفل الله عز وجل بنصرة من ينصر دينه وأن يجعل العقاب الحسنة له في الدنيا والآخرة. وقد يفهم البعض أن هذا الحديث يدل على أن السلطة والحكم لا بد أن يكونا بأيدي العلماء من أهل السنة. وهذا فهم خاطئ إذ لا يلزم من كونهم منصورين إلى قيام الساعة أن يكونوا بشكل حكومات ولا بد فإن الله تعالى ينصرهم بهذا وبغيره بلطفه العظيم كما هو الواقع فأحياناً يكون الحكم بأيديهم وأحياناً بأيدي غيرهم ولا يؤثر ذلك في سلوكهم الإيجابي أبداً.

## ٢ - الأسماء والألقاب الباطلة التي ينبر بها أهل الباطل أهل الحق من السلف الصالح

لم يتورع أهل الباطل في إطلاق مختلف الأسماء الذميمة والألقاب الباطلة على أهل الحق لينفروا الناس عنهم وعن عقيدتهم الصافية.

وهو نفس المسلك الذي كان عليه المشركون تجاه النبي صلى الله عليه وسلم حيث أطلقوا عليه أنه ساحر شاعر مجنون ... الخ.

(١٠١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام ج ١٣ ص ٢٩٣ .

(١٠٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام ج ١٣ ص ٢٩٣ .

(١٠٣) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن ج ٤ ص ٤٨٥ باب ما جاء في الشام .

ورغم تلك الدعايات الكاذبة ضد الرسول صلى الله عليه وسلم وضد أنصاره وأتباعه فإن الحق بقي دائماً يتلألأ فوق رؤوسهم ويجذب الناس إليهم زرافات ووحداناً وبقي الباطل وأهله في تقهقر وذلة.

وسوف لا يزال الأمر كذلك. ولأهل السنة أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وما دام وقد ظهر فضل أهل السنة واضحاً جلياً فإن ذامهم يدل على نقصه على حد ما قيل :

**وإذا أتتكم مذمتي من ناقص\*\*\* فهي الشهادة لي بأبي فاضل**

كما أن سب الصالحين بغير ذنب فيه زيادة لهم في الأجر وفيه رفع لدرجاتهم عند الله تعالى وقد تلمس المخالفون للسلف حججاً واهية وأقوالاً كاذبة لفقوها ضد السلف وجاءوا إلى أحسن الصفات عند السلف وجعلوها ذماً لهم وصدق من قال:

**وكم من عائب قولاً صحيحاً\*\*\* وآفته من الفهم السقيم**

ولهذا فقد أصبح من علامات أهل البدع سبهم لأهل السنة والتشهير بهم واختراع الألقاب الباطلة لهم بل لم يقف نيز أهل الباطل لأهل السنة فحسب بل تعدوا في باطلهم إلى نيز رب العالمين من حيث يشعرون أو لا يشعرون ذلك أن الله تعالى حينما أطلق على نفسه صفات وأوصافاً تمدهح بها فإذا بأهل الأهواء يخترعون لها مفاهيم وأسماء باطلة شنيعة تنفر من يسمعونها من اعتقادها إذا لم يكن على معرفة بأباطيلهم.

والله تعالى وصف نفسه بصفات الكمال المعروفة فجاء هؤلاء وأطلقوا عليها لقب التشبيه والتجسيم والتمثيل { قل أنتم أعلم أم الله } (١٠٤) .

فإذا بتلك الصفات الحميدة في مكان الذم وكذلك وصف الله نفسه بأن له وجهاً ويدين الخ وسمها هؤلاء تركيباً وتبعيضاً لا يليق بالله تعالى بزعمهم فقالوا يجب أن ينزه الله عن التركيب والتبعيض ليصلوا إلى نفي صفاته ووصف الله نفسه بأنه مستو على العرش فسمى هؤلاء هذه الصفة تحيزاً وإثبات جهة محدودة لله تعالى بزعمهم ومن هنا حولوها إلى كلمة "استولى" ووصف الله نفسه بصفات الأفعال من الكلام والنزول ونحو ذلك ويسمى هؤلاء هذه الصفات أفعالاً لا توجد إلا في المخلوق بزعمهم فقالوا للعامة يجب أن ننزه الله عن صفات الأفعال التي هي حوادث

وسموها أعراضاً والأعراض لا تليق بالله تعالى ومن هنا جاءهم مفهوم الإيمان الحقيقي بالله تعالى وبصفاته كما يزعمون فإذا هو أن نزه الله تعالى عن التراكيب والتقسيم والأعراض والأعراض والتحيز والجهة وظن الجاهلون أن هؤلاء على شيء وأن ذلك هو ما يقتضيه تنزيه الله ولم يعلموا أن هؤلاء هم من أشد الناس إعراضاً عن الله تعالى وما يليق به ومن أشدهم محادة لرسوله صلى الله عليه وسلم ولسائر المؤمنين وإتماماً لمحاربتهم أهل السنة وتنفير الناس عنهم رأوا لزماً أن ذلك لا يتم إلا بإطلاق الألقاب الشنيعة والمنفرة على أهل السنة فكان مثلهم كما قيل قديماً "رمتني بدائها وانسلت" فقد ألقوا بالعيوب التي هم أحق بها ألقوا بها على أهل السنة كذباً منهم وزوراً دون رادع من إيمان أو ضمير لكي ينتقص الناس أهل السنة بينما نجدهم قد تعاضوا أنفسهم واستكبروا ولهذا فقد أطروا أنفسهم بأسماء وبألقاب عديدة وزكوا أنفسهم والله تعالى يقول: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ} (١٠٥) ظناً منهم أن الحق وأهله سيندثرون {وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} (١٠٦) وما تكفل الله بحفظه فلن يضيع أبداً.

### فمن الأسماء والألقاب التي أطلقها عليهم أهل الباطل نبزاً لهم:

- ١- المشبهة - النقصانية - المخالفة - الشكاك وتبزههم بهذه الألقاب الجهمية لإثباتهم صفات الله تعالى.
- ٢- الحشوية - النابتة أو النوابت - المجبرة المشبهة وتبزههم بهذه الألقاب المعتزلة والزنادقة وسائر أهل الكلام والخواارج.
- ٣- المجبرة أو الجبرية وتبزههم بهما القدرية.
- ٤- الناصبة أو النواصب - العامة - الجمهور - المشبهة - الحشوية وتبزههم بها الراضية.
- ٥- المشبهة - المجسمة - الحشوية - النوابت - الغشاء - الغثراء وتبزههم بها الأشاعرة والماتريدية.

وبهذا يتضح أن أهل الانحراف قد يتفقون وقد يختلفون في إطلاق بعض الألقاب الباطلة على أهل السنة والهدف بينهم مشترك.

(١٠٥) لنجم: من الآية ٣٢

(١٠٦) يونس: ٨٢

١- فأما إطلاقهم عليهم مشبهة فقد تصور هؤلاء المبطلون أن السلف حينما أثبتوا تلك الصفات لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته لورودها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تصوروا أن هذا الإثبات يقتضي تشبيه الله بخلقه لأنهم لم يدركوا من دلالات هذه الأسماء إلا ما أدركوه من تعلقها بالمخلوق وفاتهم الفرق الذي لا يعلمه إلا الله بين الخالق والمخلوق.

وقد أثبت السلف أن هذا التصور الخاطئ لتلك الطائفة هو الذي جعلهم بحق مشبهة وليس أهل السنة الذين لم يثبتوا فيها أي شبه بين الخالق والمخلوق إلا مجرد التسمية مع معرفة معنى الصفة والتقويض في الكيفية فإن أولئك لم ينفوها عن الله إلا بعد أن شبهوه بخلقه فأى الفريقين أولى بتسمية المشبهة أهل السنة أم أولئك أهل الباطل من الجهمية الذين هم أول من ولج باب التشبيه الخطير ونفى عن الله تعالى ما أثبت لنفسه في كتابه الكريم أو على لسان نبيه العظيم صلى الله عليه وسلم وشبهوه بالمعدومات حين أطلقوا عليه كل صفات السلوب ورموا أنبياء الله تعالى مثل موسى وعيسى ومحمداً عليهم صلوات الله وسلامه بأنهم مشبهة في قول موسى كما حكى الله عنه أنه قال : { إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ }<sup>(١٠٧)</sup> وفي قول عيسى ابن مريم : { تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ }<sup>(١٠٨)</sup> وفي قول محمد صلى الله عليه وسلم : "ينزل ربنا إلى سماء الدنيا"<sup>(١٠٩)</sup> فإن كان الأنبياء مشبهة فمن هم المنزهة؟ لو كان هؤلاء عقول سليمة وفطر مستقيمة لما أقدموا على هذا المعتقد الباطل والذي يكاد أن لا يكون له نظير في جرأته وحماقته.

٢- وأما زعمهم أن أهل السنة نقصانية فلقولهم أن الإيمان يزيد وينقص فلا ريب أنهم يكذبون بهذا النبر قول الله عز وجلّ وقول نبيه صلى الله عليه وسلم في إثبات زيادة الإيمان ولردهم النصوص الواردة في هذا حيث زعموا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وأما أهل السنة فإنهم لا يختلف منهم إثنان في أن الإيمان يزيد وينقص بالطاعات وينقص بالمعاصي كما أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم مثل قوله تعالى: { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا }<sup>(١١٠)</sup>.

(١٠٧) لأعراف: الآية ١٥٥

(١٠٨) المائدة: الآية ١١٦

(١٠٩) انظر صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٩ ومسلم ج ١ ص ٥٢١ .

(١١٠) لأنفال: الآية ٢

وقوله تعالى : { وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى } (١١١) .

وآيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم كلها تثبت أن الإيمان يزيد وما قبل الزيادة قبل النقص حتماً.

ووردت أحاديث كثيرة أيضاً في هذا تؤكد كلها زيادة الإيمان ونقصه قال صلى الله عليه وسلم : "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة وأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان" (١١٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" (١١٣) .

والأحاديث في هذا كثيرة وإنما المقصود التنبيه على صحة عقيدة السلف وبطلان عقائد المخالفين في قضية زيادة الإيمان ونقصه وأن تسمية السلف نقصانية تسمية خاطئة سببها الجهل. والسلف كلهم مطبقون على أن الإيمان يزيد وينقص ووردت عنهم روايات كثيرة تؤكد هذا قال أبو هريرة رضي الله عنه : "الإيمان يزداد وينقص" (١١٤) .

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : "من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه" وكان عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه : "هلموا نزدد إيماناً فيذكرون الله عزّ وجلّ" (١١٥) إلى آخر النصوص المستفيضة عن السلف وعلى هذا فإن السلف أتوا بالكمال المطلوب حسب ما أفادته النصوص فكيف يكونون نقصانية وما النقصانية إلا من نقص عن العمل بالنصوص الشرعية وسرق مدلولاتها الواضحات كالجهمية المشبهة ومن تبعهم وعلى كل حال فلا عبرة بقول أهل البدع أن السلف نقصانية لأنهم يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه فإنهم على الحق في هذا مستندين على ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإجماع سلف هذه الأمة كما ترى أخي القارئ الكريم.

(١١١) مريم: الآية ٧٦

(١١٢) البخاري الفتح ج ١ ص ٥١ ومسلم في باب شعب الإيمان ج ١ ص ٢١٠ .

(١١٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان ج ١ ص ٥٠ .

(١١٤) الشريعة ص ١١١ .

(١١٥) انظر الشريعة للأجري ص ١١٢ .

ولولا أن المخالفين قد كابروا عقولهم وعاندوا ليتيقنوا من أنفسهم أن الإيمان يزيد وينقص كما يجده كل شخص من نفسه في مختلف الحالات فمن زعم أنه على حد سواء دائماً في اتجاهه ورغبته ورهبته إلى الله فقد افتري على نفسه وأراد أن يغالطها فمن ذا الذي يكون على حالة واحدة طوال وقته ثم أليس كذلك أن من المسلمين به أن الناس يتفاوتون في إيمانهم وتصديقهم أيضاً حسب القرائن وما قر في القلب من حب الله عزّ وجلّ وتصديق الأنبياء وهل يحق لأحد أن يزعم أن إيمانه وتصديقه مثل إيمان خير أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر أهل بيعة الرضوان وأهل معركة بدر والمؤمنون الذين اتبعوه في ساعة العسرة. إن من زعم ذلك فقد جانب الصواب.

٣- وأما تسميتهم لأهل السنة مخالفة. فنعم أن أهل السنة مخالفة لأهل الأهواء والبدع بل ومعادية ويكفي أنهم من أشد الناس اتباعاً لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولا قيمة لمخالفتهم أهل الأهواء وما يقصده هؤلاء من أن السلف مخالفة للحق فإنه اتهام باطل هم أحق به وليس أهل السنة فإن القول إذا لم تعضده الأدلة الصريحة الواضحة لا يسمى حقاً ولو زعم قائله أنه حق وهذه المخالفة لأهل البدع هي من أجمل المخالفات بل كانوا يتقربن بها إلى الله تعالى.

٤- أما تسميتهم لأهل السنة بالشكاك من قبل المرجئة فإنها تسمية ظالمة لأن السلف لم يشكوا في دينهم ولا في أخبار ربهم ونبيهم ولا في شيء ثبت بالكتاب والسنة فالمرجئة أولى بهذا النبز لشكهم - بل لردهم - ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه الكريم أو على لسان نبيه العظيم ثم هم لا يملكون أي دليل على أن السلف تطرق إليهم الشك فيما يعتقدونه مما ثبت به النص وأما مجرد دعواهم أن السلف شكاك فليس بدليل كما أن زعمهم أن السلف يشكون في إيمانهم بسبب تجويزهم الاستثناء فيه فهذا بسبب عدم معرفتهم المقصود بكلام السلف حينما أجازوا الاستثناء وذلك أنهم لم يميزوه على سبيل الشك في إيمانهم ولكنهم أجازوه على سبيل التواضع وعدم تزكية النفس المنهي عنه ثم لعلمهم أن الإيمان يشتمل الإيتان بكل الأعمال المأمور بها واجتناب كل الأعمال المنهي عنها وهذا باب واسع فخافوا أن يثبتوه على وجه الجزم ويكونون قد

قصروا في جانب منه وبهذا يتضح أنه لا وجه لتسميتهم بالشكاك وربما يكون تحويرهم الاستثناء على سبيل التواضع لله تعالى ولا مانع من حصول كل ذلك<sup>(١١٦)</sup> .

٥- وأما بالنسبة لنبزههم لأهل السنة بأنهم حشوية:

فهو بمعنى أنهم حشو الناس أي لا قيمة لهم أو بمعنى أنهم يروون الأحاديث لا يميزون بين صحيحها وسقيمها سواء أكانت صحيحة أو ضعيفة أو موضوعة أو متعارضة أو بمعنى أنهم مجسمة لله تعالى بسبب إثباتهم صفات الله تعالى وعدم نفيها أو تأويلها فانظر أخي القارئ إلى هذه الجرأة للمعتزلة ومن شايعهم كيف يفترون الكذب على السلف ثم إذا كان خيرة الناس لا قيمة لهم ولا اعتبار بكلامهم فلماذا تكون القيمة والاعتبار؟ ألمن اتبعوا أهواءهم وحاربوا الله وردوا كلامه بشبهات ملاحدة الفلاسفة وأهل الكلام الباطل؟ أم لمن اتبع هدى الله تعالى وآمن به ظاهراً وباطناً؟ ولكن ما الذي يضير أهل السنة من السلف احتقار هؤلاء لهم بعد أن أكرمهم الله وأثنى عليهم في كتابه الكريم وأثنى عليهم نبيه وصفهم بالطائفة المنصورة القائمة على الحق إلى أن تقوم الساعة.

أما زعمهم أن السلف يروون الأحاديث كيفما اتفق فهي دعوى تدل على ضحالة معرفتهم بطريقة المحدثين وما امتازوا به من خدمة السنة من فحص الأحاديث وغربلتها كما يغربل الدقيق أو أشد.

وفحصهم كذلك لرجال الأسانيد فرداً فرداً حتى ليخيل للقارئ والسامع أنه ما من راوٍ للحديث إلا وكأنه قد عاش مع أهل السنة أهل الحديث في منزل واحد ومن تتبع طريقة السلف في رواية الأحاديث عرف عظم احتياطهم ومدى الجهود المباركة التي خدموا بها سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وأما تجسيم الله تعالى فحاشا أن يكون السلف مجسمة بل هم أعداء المجسمة والمحاربين لهم فإن مذهب السلف هو الابتعاد عن إطلاق مثل هذه العبارات على الله تعالى لا نفيًا ولا إثباتًا حتى يستفسروا من قائلها لأنها تحمل معنى حقاً ومعنى باطلاً وعلى حسب ما يريد المتكلم بهذا يحكم السلف.

وعن تسمية أهل الباطل لأهل السنة حشوية يقول شيخ الإسلام رحمه الله في رده وذبه عنهم.

(١١٦) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق ص ١٣٠ .

فقد تبين أن الذين يسمون هؤلاء وأئمتهم حشوية هم أحق بكل وصف مذموم يذكرونه وأئمة هؤلاء أحق بكل علم نافع وتحقيق وكشف حقائق واختصاص بعلوم لم يقف عليها هؤلاء الجهال المنكرون عليهم المكذبون لله ورسوله.

فإن نبزهم بالحشوية إن كان لأنهم يروون الأحاديث بلا تمييز فالمخالفون لهم أعظم الناس قولاً لحشو الآراء والكلام الذي لا تعرف صحته بل يعلم بطلانه.

وإن كان لأن فيهم عامة لا يميزون. فما من فرقة من تلك الفرق إلا من اتباعها من هو من أجهل الخلق وأكفرهم. وعوام هؤلاء هم عمار المساجد بالصلوات وأهل الذكر والدعوات والحجاج البيت العتيق والمجاهدون في سبيل الله وأهل الصدق والأمانة وكل خير في العالم فقد تبين لك أنهم أحق بوجوه الذم وأن هؤلاء أبعد عنها وإن الواجب على الخلق أن يرجعوا إليهم فيما اختصهم الله به من الوراثة النبوية التي لا توجد إلا عندهم (١١٧).

٦- وأما نبزهم لأهل السنة بأنهم نوابت بمعنى أن أهل السنة يشبهون نوابت الأشجار الصغيرة.

أي أنهم صغار في العلم والمعرفة كصغار النوابت من الأعشاب التي لم تكتمل قوتها ونضجها. أو أنهم نوابت شر نبتوا في الإسلام مبتدعين فيه مغيرين له بزعمهم فإن هذا النبز من الافتراءات الكاذبة على أهل السنة الذين هم أساس العقيدة وحماتها الذين تربوا على فهمها والعمل بها ولم يعرفوا أو يعملوا بغيرها مما جاءت به الفلسفات الإلحادية وعلم الكلام الباطل والحقيقة أن نبزهم لأهل السنة بهذا الاسم يصدق عليه أنه من باب قلب الحقائق والمغالطات المكشوفة.

فإن الأحق بتسمية النوابت هم أهل الكلام المذموم والفلسفات الباطلة الذين نبتوا دون علم مسبق بالكتاب والسنة وإنما نبتوا على علم الكلام وأنواع الفلسفات المنحرفة التي لم تعرف عند المسلمين إلا بعد أن نبت هؤلاء فيهم.

وتسلطوا على معاني النصوص فعطلوها عن مدلولاتها وقالوا إن الله ليس له سمع ولا بصر ولا علم ولا استواء، إلى آخر أوصافهم السلوية التي مفادها في النهاية إنكار وجود الله تعالى الذي

تضمنه قولهم أن الله ليس فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا يحس ولا يشم ولا يشار إليه .. الخ.

مما جرأ الملاحدة على القول بأنه لا فرق بين المنكرين لوجود الله تعالى والواصفين له بتلك الصفات الجهمية الاعتزالية التي تدل أخيراً على إنكار وجوده سبحانه وأنه لا مكان له إلا في الذهن وافتراضاته الخيالية إذ أن شيئاً ليس هو فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا يحس ولا يشم ولا يشار إليه أمر لا يقبله عقل ولا يقره منطوق.

٧- أما نبزهم لأهل السنة بأنهم جبرية أو مجبرة أو قدرية فإنه بالتأمل في مذهب القدرية والجبرية وأهل السنة يتبين الحق من يستحق اسم الجبرية أهل السنة أم المبتدعة من خلال معرفة ما يلي :

١- مذهب القدرية المحتجون بالقدر على الله تعالى وهم المشركون.

٢- مذهب الجبرية.

٣- مذهب أهل السنة.

- فالقدرية المحتجون بالقدر هم الذين يزعمون رضى الله عن كل عمل يعملونه ويحتجون على الله بالقدر والمشية فيقولون قدر الله علينا فكيف يعاقبنا؟.

قال تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ }<sup>(١١٨)</sup> الآية.

ومقصودهم أن الله تعالى لو كان يكره ما هم عليه من الشرك والسلوك لغير ذلك وعاقبهم ولكنه قد شاءه ورضيه وبذلك فلا عقوبة عليهم لأن الله قدره عليهم وجبرهم عليه لمشيئته النافذة له.

وفي مقابل هؤلاء جاءت فرقة أخرى تنفي أن يكون لله تعالى أي أثر في فعل الإنسان تركاً أو فعلاً بل الإنسان هو الذي يخلق فعله كما يريد.

وقد وصل الغلو هؤلاء إلى القول : "بأن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها وإن ما يفعله العباد أيضاً" لا يعلم به إلا بعد وقوعه فلا تأثير له في أي فعل يفعله العبد وهذا مذهب غلاة

القدرية وقد انقضوا فيما يذكره عنهم العلماء إلا أن المتأخرين منهم يثبتون علم الله بالأشياء قبل وقوعها ولكنه لا يتدخل في أعمال البشر بل هم الذين يخلقونها كما يريدون فهؤلاء القدرية (المعتزلة) هم نفاة القدر عن الله تعالى وهم ومن سبقهم على ضلال.

وأما الجبرية: فهم على النقيض من مذهب القدرية في أفعال العباد لأن المعتزلة القدرية لا يقولون بأن الله قدر على العبد فعله ولا جبره عليه فسلبوا عنه القدرة.

بينما الجبرية على النقيض من ذلك يقولون كل عمل يعمله العبد فإنه مقدر عليه من الله ومجبور على فعله فهو كالريشة في مهب الريح فإن الله هو الفاعل الحقيقي بقوته وليس للعبد إلا نسبة الفعل إليه عن طريق المجاز، كما يقال تحركت الشجرة ونحو ذلك فسلبوا عن العبد القدرة والمشية التي أخبر الله تعالى عنها وجعلوا العبد أشبه ما يكون بالجماد المسير من غيره وإذا كان مذهب القدرية والجبرية هو ما تقدم فإن مذهب السلف بخلاف ذلك كله ومعنى هذا أنهم لا تصح تسميتهم لا قدرية ولا جبرية.

فإن معتقد أهل الحق أهل السنة والجماعة أن أفعال العباد تنسب إليهم حقيقة فإذا صلى أو صام أو سرق أو زنى فهو فعلة حقيقة وأيضاً بمشيئته التي لا تخرج عن إطارها العام عن مشيئة الله تعالى لها وخلقها لها كوناً ولو شاء الله لما تمكن العبد من أي فعل فالله هو الخالق الحقيقي لها والعبد هو الفاعل الحقيقي لها بتمكين الله له مع ملاحظة الفرق بين مشيئة الله الكونية والشرعية. ويتضح من خلال ما تقدم ما يذكره أهل السنة من أن الجبرية أصابوا في قولهم أن الله هو الخالق لأفعال العباد بقدرته الكونية وأن القدرية أصابوا أيضاً في قولهم أن العبد هو المتسبب في فعله وبقدرته وهو مسؤول عنه ولكن الخطأ في قول الجبرية يكمن في زعمهم أن العبد لا فعل له ولا قدرة له وإنما هو مجبور والفاعل هو الله تعالى وأما الخطأ في قول القدرية فيكمن في قولهم أن العبد هو الذي يخلق فعله بقدرته وإرادته دون أن يكون لله تعالى تدخل في ذلك والحق في ذلك كله هو ما هدى الله إليه أهل طاعته كما سبق مستدلين بقوله تعالى : { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ }<sup>(١١٩)</sup> وقوله تعالى : { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ }<sup>(١٢٠)</sup> وغير ذلك من الآيات.

٨- وأما نبزهم للسلف بأنهم ناصبة فقد كذب الرافضة وافتروا أن يكون أي شخص من السلف قد نصب العداوة لأهل البيت أو للرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ابتداءً بعلي رضي الله عنه ثم جميع أهل البيت وهذا النبز دلالة قاطعة على جهل الرافضة بمذهب السلف في أهل البيت لأنهم لم يقرؤوا لهم ولم يطلعوا على كلامهم ومعتقدهم فيهم فأيهما أولى بهذا النبز الرافضة الذين نصبوا العداوة لكل المسلمين ابتداءً بالصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان وبأهل البيت الذين لا قوا المصائب المتتالية عليهم بسبب مؤامرات الرافضة وخذلانهم لهم في أكثر من موقف والشواهد على هذا أكثر من أن تحصر.

أيهما أولى بهذا النبز هؤلاء أم السلف الذين يترضون عن كل واحد من أهل البيت ما دام صالحاً ويفضلونه على غيره بتلك الصفة ويقدمونه ولا يتبرؤون من أحد من المسلمين ما دام على الإسلام والتزام القرآن والسنة وقاعدة الرافضة "لا ولاء إلا لبراء" من أكبر الأدلة على بغضهم خيرة الصحابة الكرام وجرأتهم على تكفيرهم مخالفة لما ثبت من فضلهم في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٩- وأما نبزهم لمن عداهم من السلف وسائر المسلمين بالعامية فهو لقب تشنيع في مقابل تسميتهم لأنفسهم الخاصة وهذه التزكية الكاذبة لأنفسهم شابهوا فيها اليهود الذين سموا أنفسهم شعب الله المختار وسموا من عداهم بالجوييم فهل هؤلاء الباطنية هم خاصة الله بينما أحبائه ومتبعي أمره ونهيه هم العامة؟ الذين لا اعتبار بهم ولا قيمة لهم؟ بل أيهما العامل رجل متبع للنصوص الثابتة الموافقة للحق والعقل أم رجل متبع لهواه متدين بالخرافة يصدق ما لا يصدقه عاقل من الغلو في أشخاص مثلهم مثل غيرهم من البشر الذين قال الله فيهم: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}.

وهذه التسمية لمن عداهم بالعامية هي مثل تسميتهم لمن عداهم بالجمهور ومن العجيب أن يحكموا على كل المسلمين بصفة واحدة بينما يقابل تلك التسمية تسمية واحدة لهم "الخاصة" الدالة على تعاليهم وغرورهم وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته لا تجتمع على ضلالة فكيف اجتمع المسلمون كلهم على الضلالة ولم يخرج عنها إلا هؤلاء الروافض الذين يكفرون

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويتهمون أم المؤمنين وينتظرون مهدياً خرافياً يأتي بقرآن غير القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ويزعمون أن الأئمة يعلمون الغيب ولا يموتون إلا باختيارهم إلى غير ذلك من العقائد التي جمعها الكليني في كتابه الذي يقدسه "الكافي" وغيره من كتبهم التي تدل على تطاولهم على سائر المسلمين دون أي دليل من عقل أو نقل غير ما زين لهم من سوء معتقداتهم المعبرة عن جهلهم وبعدهم عن سبيل المؤمنين {وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا} (١٢١).

١٠- وأما نبزهم لأهل السنة بأنهم مجسمة لإثباتهم صفات الله تعالى كما جاءت في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة.

فهو نبز أبان عن جهلهم بحقيقة عقيدة السلف وأبان عن قصورهم في الفهم السليم لنصوص الوحيين فإن لفظ التجسيم عند السلف هو من الألفاظ التي يجب التحرز منها عند إطلاقها على الله تعالى ولا بد أن نسأل من أطلقها عن مراده بالجسم فإن أراد بإطلاق الجسم على الله معناه في لغة العرب من أنه يوصف بصفات ويرى بالأبصار ويتكلم ويسمع ويبصر ويرضى ويغضب وأنه مستو وأنه تصح الإشارة إليه ويصح أن يسأل عنه بأين وأن له وجهاً ويدين في إطلاق الجسم بهذا المعنى صواب مع أن القائل مخطئ في إطلاق هذه العبارة التي أحدثها علماء الكلام وليكتف بالألفاظ الشرعية مثل ليس كمثله شيء وله المثل الأعلى وقل هو الله أحد وغير ذلك.

وإن أراد بإطلاقه نفي الجسم عن الله تعالى أنه ليس جسماً مثل سائر الأجسام التي تتكون من أجزاء متفرقة فهو صواب فإن الله تعالى ليس كمثله شيء ومع تصويبه فإنه مخطئ في إطلاق هذه العبارة التي أحدثها علماء الكلام فإنه لم يعهد عن السلف أن أطلقوا لفظ الجسم على الله لا نفيًا ولا إثباتًا فإن كان ولا بد من إطلاقها فلتكن بالألفاظ الشرعية التي تدل على تنزيه الله تعالى على الإطلاق مثل ليس كمثله شيء وقل هو الله أحد وله المثل الأعلى وغير ذلك من الألفاظ العامة المشتملة على التنزيه الصحيح كما تقدم وأما إن أريد بهذا الإطلاق نفي الجسمية عن الله تعالى بمعنى نفي صفاته الثابتة بالكتاب والسنة كالاستواء والنزول والوجه والسمع والبصر إلى آخر صفاته عز وجل - وهو ما يهدف إليه علماء الكلام فهذا النفي باطل بهذا المعنى لأن إثبات

هذه الصفات لا يلزم منه وقوع التشبيه الذي حذره هؤلاء المبطلون بزعمهم فإن تصور إثبات الصفات أنه يقتضي التشبيه هو نفس التشبيه المذموم فإن النافي للصفات لم ينفها إلا بعد أن أصبح مشبهاً فيها فوقع في الخطأ الذي جره إلى خطأ أكبر منه وهو إثبات ذات خالية عن الصفات وهو أمر لا يمكن وقوعه إلا في تخيلات الذهن وهي تخيلات فاسدة وأما في خارج الذهن فلا يمكن وجودها.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "فمن قال أنه جسم وأراد أنه مركب من الأجزاء فهذا قوله باطل وكذلك إن أراد أنه يماثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع والعقل أن الله ليس كمثل شيء في شيء من صفاته، فمن أثبت لله مثلاً في شيء من صفاته فهو مبطل ومن قال أنه جسم بهذا المعنى فهو مبطل ومن قال أنه ليس بجسم بمعنى أنه لا يرى في الآخرة ولا يتكلم بالقرآن وغيره من الكلام ولا يقوم به العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ولا ترفع الأيدي إليه في الدعاء ولا عرج بالرسول صلى الله عليه وسلم إليه ولا يصعد إليه الكلم الطيب ولا تعرج الملائكة والروح إليه فهذا قوله باطل وكذلك كل من نفى ما أثبتته الله ورسوله وقال إن هذا تجسيم فنفيه باطل وتسمية ذلك تجسيماً تلبس منه فله إن أراد أن هذا في اللغة يسمى جسماً فقد أبطل وإن أراد أن هذا يقتضي أن يكون جسماً مركباً من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة أو إن هذا يقتضي أن يكون جسماً والأجسام متماثلة قيل له أكثر العقلاء يخالفونك في تماثل الأجسام المخلوقة وفي أنها مركبة فلا يقولون أن الهواء مثل الماء ولا أن الحيوان مثل الحديد والجبال فكيف يوافقونك على أن الرب تعالى يكون مماثلاً لخلقه إذا أثبتوا له ما أثبت له الكتاب والسنة والله تعالى قد نفى المماثلات في بعض المخلوقات وكلاهما جسم كقوله تعالى: {وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} (١٢٢).

مع أن كلاهما بشر فكيف يجوز أن يقال إذا كان لرب السماوات علم وقدرة أن يكون مماثلاً لخلقه والله تعالى ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله (١٢٣).

(١٢٢) محمد: من الآية ٣٨

(١٢٣) انظر مجموع الفتاوى ج ١٧ ص ٣١٧ .

ومن قال إن السلف مجسمة فقد افتري عليهم لأنهم من أبعد الناس ومن أشدهم تحذيراً من إطلاق العبارات التي فيها حق وصواب وانحراف وبطلان ومنها إطلاق الجسمية على الله تعالى فإن السلف يمنعون منعاً قاطعاً من إطلاقها على الله تعالى ولكن في حال إطلاقها يقيدونها بما سبق أن عرفته فكيف يصح وصفهم بعد هذا بأنهم مجسمة؟ وهل يصح أن يوصف النافي للشيء بأنه مثبت له؟.

١١- وأما نبزهم لهم بأنهم غثاء وغثراء فهو بمعنى أن أهل السنة هم كالغثاء الذي يحمله السيل عند انحداره وكما ورد في الحديث "ولكنكم غثاء كغثاء السيل" (١٢٤).

والغثاء بمعنى سفلة الناس وأرادهم والمعنى بهذا النبز الباطل أن أهل السنة هم سفلة الناس الذين هم كزبد السيل أي لا خير فيهم ولا نفع.

وهذه مغالطة ظاهرة وظلم واضح ويستطيع أي شخص أن يتبين صحة هذا حينما يتصور أن الناس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ظلوا على الهدى الذي تركهم عليه المصطفى إلى أن نبتت الدعوات الهدامة والآراء الضالة بسبب ترجمة كتب اليونان واستعلاء الأهواء فأى الفريقين يستحق هذا اللقب الذين بقوا على الحق ولا يزالون عليه وهو الأصل في المسلمين أم الذين انحرفوا وأخذوا بآراء اليونان وفلاسفتهم؟ وقد دخل الصحابي عائد بن عمرو على عبيد الله بن زياد فقال أي بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن شر الرعاء الحطمة فأياك أن تكون منهم فقال له اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال عائد رضي الله عنه وهل كانت لهم نخالة إنما النخالة كانت بعدهم وفي غيرهم (١٢٥).

١٢- وقد نبزهم أيضاً بتسميتهم "زوامل أسفار" تشبيهاً لهم بالجمال التي يحمل عليها و أصحاب أقاصيص وحكايات وأخبار" وكل هذه الأوصاف هم منها براء.

**وإذا أتتك مذمتي من ناقص\*\*\* فهي الشهادة لي بأبي فاضل**

وفي الرد عليهم يقول أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني رحمه الله "وفي الحقيقة ما ثلموا إلا دينهم ولا سعوا إلا في هلاك أنفسهم وما للأساكفة (١٢٦) وصوغ الحلبي وصناعة البر وما

(١٢٤) أخرجه أبو ١١١/٤ وأحمد ٥/ ٢٧٨ من حديث ثوبان رضي الله عنه .

(١٢٥) انظر أبو داود ٤/ ٢٠٠ الترمذي ٥/ ٤٤ وابن ماجه ١٥/١ وأحمد ٤/ ١٢٦ .

(١٢٦) الخرازون الذين يصنعون الخفاف .

للحدادين وتقليب العطر والنظر في الجواهر أما يكفيهم صدأ الحديد ونفخ في الكير وشواظ<sup>(١٢٧)</sup> الذيل والوجه وغيره في الحدقة وما لأهل الكلام ونقض حملة الأخبار<sup>(١٢٨)</sup> . وهذا النقد يذكر القارئ بالمقالة المشهورة بين عامة الناس "رحم الله امرأ عرف قدره فوقف عنده".

ويصدق كلام السمعاني في اقتحام هؤلاء لما لا يحسنونه ما قرروه في عقائدهم من المتناقضات والجهل الشنيع من حيث ظنوا أنهم وصلوا إلى العلم الغزير فكانوا مثل التي نقضت غزلها بعد إحكامه في كل مرة أو من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وقد قال عنهم من تبين له خطر ما هم عليه من العقائد الفاسدة يا ليتني أموت على دين أمي أو نحوه من الكلام الذي يتحسر فيه على ما فات من سنين عمره التي قضاها في الاشتغال بعلم الكلام وفلسفة اليونان.

\* \* \* \* \*

---

(١٢٧) اللهب الذي لا دخان له .  
(١٢٨) الانتصار لأصحاب الحديث ص ٢

## الفصل الخامس

### ما هي عقيدة السلف

وما هو منهجهم في مسائل الاعتقاد والاستدلال لها؟

### وما معنى كلمة عقيدة

العقيدة هي ما يعتقد الشخص في قرارة نفسه ويعقد العزم عليه ويراه صحيحاً سواء أكان صحيحاً في حقيقة الأمر أم باطلاً.

ومن هنا فإن عقيدة السلف التي يعتقدونها في قرارة أنفسهم وقد عقدوا العزم على العمل بها هي جملة ما أخذوه عن كتاب الله وسنة نبيه وهو الاعتقاد الصحيح والواقع الحق الذي لا يزيغ عنه إلا هالك بخلاف عقائد غيرهم الذين خلطوا بعلم الكلام وآراء الفلاسفة فجاءت نتاجاً مشوهاً خصوصاً في ما يتعلق بأسماء الله وصفاته وبعضهم لم يقف عند هذا الحد بل تعدى هذا الخطأ إلى أخطاء أخرى تتعلق بالنبوات وبالسمعيات بسبب تأثرهم بالأفكار المنحرفة فإذا بعقائدهم تقوم على خليط من الآراء والأفكار المنحرفة بأدلة متنوعة إما من القرآن الكريم الذي حرفوا معانيه وأولوها لتوافق أهواءهم أو من السنة النبوية التي لا يميزون في قبولها بين الصحيح والضعيف والمكذوب وغيره سواء أكان بسند أم بغير سند ولا يهمهم من الراوي إلا أن يكون على وفق معتقدتهم أو من المكاشفات التي يزعمون أن الله يخاطبهم بها أو من الأحلام المنامية أو من التقائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً كما يدعون كذباً وزوراً أو من العلم اللدني الذي يقذفه الله في قلوبهم كما يدعون أو من الخرافات والأساطير التي لا تصلح إلا في سمر العجائز بالليل لأن تلك كلها في ميزان السلف أمور مرفوضة لانقطاع التشريع بموت الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يبق في مفهوم السلف إلا الاجتهاد حول فهم النصوص واستخراج الحق منها.

وقد ذكر بعض العلماء أن أهل الأهواء إزاء السنة النبوية ينقسمون إلى فريقين:

فريق لا يتورع عن ردها وإنكارها إذا خالفت مذهبه وما ألفه من أقوال وأفعال ثم يخلق لردها

شتى الأعذار الباطلة.

ومنهم فريق آخر يثبتون السنة في ظاهرها ويعتقدون بصحة النصوص ولكنهم يشتغلون بتأويلها إلى ما يوافق هواهم وينصر معتقداتهم وهؤلاء الحقيقة ماكرون فإن عملهم هذا هو رد للسنة ولكنه بطريق قد تخفى على غير طلاب العلم.

وأحياناً يضرب هؤلاء بالنصوص جانباً بحجة أنها متعارضة مع أنه في الواقع لا يوجد بين النصوص الصحيحة أي تعارض إذا تبين الناسخ والمنسوخ والمتقدم والمتأخر منها فإن لم يتبين ذلك فإنه يمكن الجمع بينها ولا محالة إلا إذا كانت أحاديث موضوعة وصحيحة فحينئذٍ طريقة أهل السنة أنه لا تعارض بين الصحيح والموضوع إذ لا قيمة للموضوع وشبهه إزاء الصحيح لأن عدم فهم النصوص هو الذي أدى إلى تفرق الأمة وسفك دماء بعضهم بعضاً وما نشأ عنه من الاستكبار والبغي والعدوان واستحكام العداوات وكل هذا لا تحتمله الشريعة الإسلامية التي تركنا عليها الرسول صلى الله عليه وسلم ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

إن منهج السلف في مسائل الاعتقاد والاستدلال لها يقوم على إيمانهم بكل ما ثبت دليلاً من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم إيماناً راسخاً ظاهراً وباطناً.

سواء كان ذلك الأمر الذي يعتقدونه من الأمور الغيبية كالإيمان بكل ما أخبر الله به أو أخبر عنه رسوله بأنه قد وقع كالإيمان بخلق الله لآدم من طين وخلق زوجه منه وإهباط الله لهما إلى الأرض بسبب معصيتهما ثم توبة الله عليهما وإنزال الكتب وإرسال الرسل وجميع ما جاء بإثباته النص في سائر الأمور التي قد وقعت من قبلنا أو كان من الأمور التي أخبر الله ورسوله أنها ستقع كالإيمان باليوم الآخر وما يقع فيه من الثواب والعقاب في الحساب والجنة والنار وما فيهما وغير ذلك من أمور العالم الآخر أو كان من الأمور التي تقع في الدنيا التي جاء النص بوقوعها فيها قبل يوم القيامة مثل ما أشار إليه الله في القرآن الكريم أو أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم مثل موقعة بدر وفتح مكة وظهور الدجال ونزول المسيح وغير ذلك.

وبصفة عامة الإيمان بكل الأخبار الغيبية التي وقعت أو التي ستقع على حد سواء هي مزية عظيمة تدل على قوة إيمانهم وطمأنينة نفوسهم غير متأولين بعقولهم لرد النصوص كما تفعل الفرق الباطلة الذين لا يؤمنون إلا بما تراه عقولهم مقدمينها على النصوص كالمعتزلة وغيرهم غير ناظرين إلى نقص العقول عن إدراك المغيبات عنها واضطرابها في معرفة الحقائق حينما لا تستند إلى

النصوص الشرعية وإلى الوحي الإلهي الذي يخرج الله به من يشاء من الظلمات إلى النور لأن السلف يعلمون تمام العلم أن الدين لا يؤخذ إلا من مصدره ومصدره الشرع الشريف وليس العقول ومختلف الآراء القاصرة.

ويعلمون كذلك أنه من الحمق والغباء والضلال البعيد أن يتركوا الطرق الواضحة البينة إلى الطرق المظلمة المحفوفة بالمخاطر.

وأن الطريق الواضح هو ما جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عن ربه تاماً كاملاً الذي لا يقبل الله ديناً سواه { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً }<sup>(١٢٩)</sup> وقوله : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً }<sup>(١٣٠)</sup>.

ولقد جعلوا هذه الآية هي أساس منهجهم وأبرز صفاتهم فكانوا المثل الأول في التسليم لنصوص الشرع لا اعتقادهم أن التسليم هو الطريق الذي فيه النجاة وأنه ثمرة الإيمان الحقيقي لحب الله له والثناء على أهله وقد توأصى السلف بالتزام ذلك قولاً وعملاً وصرحوا به ورغبوا فيه الناس نصحاً منهم لله ولرسوله ولعامة المسلمين لمعرفة أنهم أساس بناء الإسلام لأن من لم يسلم للشرع أمره سلمه إلى الشيطان والبدع والخرافات وشاق الله ورسوله وخالف سبيل المؤمنين وحال المخالفين أقوى شاهد على ما هم فيه من التخبط والاضطراب والضعف.

**وهكذا نجد أن منهج أهل السنة في تقرير العقيدة يتمثل في الأمور التالية :**

١- التمسك بالكتاب والسنة وعدم التفريق بينهما وتحكيمهما والعمل بهما في كل ما يعرض لهم من قضايا العبادة وغيرها دون رد أو تأويل سواء كانت الأخبار الواردة عن الرسول متواترة أو آحاداً لا فرق فيها بعد صحتها وثبوتها إذ التفريق بينهما إنما هو من سمات أهل البدع.

٢- العمل بما ورد عن الصحابة في قضايا العقيدة والدين وغيرها والسير على نهجهم وسننهم لأنهم أعرف بالحق من غيرهم.

(١٢٩) المائدة: الآية ٣

(١٣٠) النساء: ٦٥

٣- الوقوف عند مفاهيم النصوص وفهم دلالاتها وعدم الخوض فيما لا مجال للعقل فيه مع الاستفادة من دلالة العقل في حدوده وعدم الخوض فيها بالتأويلات الباطلة.

٤- الإعراض عن البدع وعن أهلها فلا يجالسونهم ولا يسمعون كلامهم ولا شبههم بل يحدرون منهم أشد تحذير خصوصاً من عرف منهم بعناده واتباعه الهوى.

٥- لزوم جماعة المسلمين ونبذ التفرق والتحذير منه.

**هذا هو منهجهم وكان لهذا المنهج مزايا قيمة من أهمها:**

١- أن هذا المنهج هو ما دل عليه كتاب الله تعالى ودلت عليه سنة نبيه عليه الصلاة والسلام ودل عليه عمل الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

٢- أن هذا المنهج الذي ساروا عليه كان من أقوى أسباب بقاء عقيدتهم صافية نقية لا تشوبها شوائب الضلال وهي نعمة من الله عليهم لما علمه من حسن نياتهم وصدق عزائمهم.

**أما أدلتهم على وجوب لزوم ذلك المنهج فهو ما نعرض بعضه فيما يلي :**

استدلال أهل السنة على وجوب التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ويشتمل على مبحثين هما:

**١- استدلالهم من القرآن الكريم:**

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على وجوب التمسك بالقرآن الكريم وأنه لا يخرج عنه مؤمن وأن الدين لا يؤخذ إلا منه ومن سنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم فمن زاغ عنهما خرج إلى الضلالة وفارق هدى الإسلام ومن تلك الآيات البينات:

- قوله تعالى : {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (١٣١) ..

- وقوله تعالى : {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} (١٣٢).

- وقوله تعالى : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ } (١٣٣).

(١٣١) النساء: ٦٥

(١٣٢) آل عمران: الآية ١٠٣

(١٣٣) الأنعام: الآية ١٥٣

- وقوله تعالى : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ } (١٣٤). وهذه الآيات واضحة الدلالة على أن الهدى كله في كتاب الله تعالى وفي هدي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن الواجب على كل مسلم الانقياد والإذعان والتسليم التام دون أي تردد أو شك وذلك لأن كل أمر بان رشده لا يتردد العاقل في قبوله والاعتماد عليه.

## ٢- استدلالهم من السنة النبوية:

وقد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة يحث فيها على وجوب التمسك بكتاب الله تعالى وأن من فارقه فلا حظ له من الإسلام.

قال صلى الله عليه وسلم : " مثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثله الحنظلة ليس لها ربح وطعمها مر " (١٣٥).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين " (١٣٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب " (١٣٧).

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مرعوب فقال أطيعوني ما كنت بين أظهركم وعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه (١٣٨).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال إن هذا القرآن شافع مشفع من اتبعه قاده إلى الجنة ومن تركه أو أعرض عنه (أو كلمة نحوها) زج في قفاه إلى النار. (١٣٩)

- وجاء في موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم بغدير خم قوله : " أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به " ثم قال : " وأهل بيتي أذكركم الله في أهل

(١٣٤) السجدة: ٢٢

(١٣٥) البخاري مع الفتح ج ٩ ص ٥٨-٥٩ ومسلم رقم ٧٩٧.

(١٣٦) مسلم ٨١٧.

(١٣٧) الترمذي رقم ٢٩١٤.

(١٣٨) رواه الطبراني في الكبير ورواه الترغيب والترهيب ج ١ ص ٨٠.

(١٣٩) الترغيب والترهيب ج ١ ص ٨٠ وقال المنذري رواه النزاري وهكذا موقوفاً على ابن مسعود ورواه موقوفاً من حديث جابر وإسناد المرفوع جيد

بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي" (١٤٠) وفي رواية أخرى "كتاب الله وسنتي".

- ومن حديث يرويه العرياض بن ساريه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
"وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات  
الأمور فإن كل بدعة ضلالة" (١٤١).

- وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إن مثلي ومثل ما  
بعثني به مثل رجل أتى قومه فقال إني رأيت جيشاً بعيني وإني النذير العريان فالنجاة فأطاعه  
طائفة من قومه فأدجلوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا على  
مكائنتهم فصباحهم الجيش واستباحهم فذلك مثلي ومثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل  
من عصاني وكذب ما جئت به من الحق" (١٤٢).

- وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من رغب عن سنتي  
فليس مني" (١٤٣).

والأحاديث في هذا كثيرة كلها تؤكد وجوب التمسك والعمل بكتاب الله تعالى وأنه هو  
الصراط المستقيم الذي أوله في الدنيا وآخره في الجنة.

\* \* \* \* \*

(١٤٠) أخرجه مسلم في صحيحه رقم الحديث ٢٤٠٨ .

(١٤١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج ١ ص ٧٥ .

(١٤٢) أخرجه البخاري رقم الحديث ٦٤٧٢ و ٧٤٨٣ ومسلم ٢٢٨٣ .

(١٤٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ص ٩٧ ج ١ .

## الفصل السادس

### أقوال السلف

#### في وجوب التمسك بالسنة والحذر من البدع

كما وردت عن السلف الكرام أقوال كثيرة في الحث على التمسك بكتاب الله تعالى وأن الهدى والخير والفلاح كله في ذلك وأنه يجب على كل المسلمين الرجوع إلى كتاب الله والتمسك به في كل أحوالهم واختلافاتهم كما قال الله سبحانه وتعالى : { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ } (١٤٤).

وهذا هو منهج كل من جاء بعد السلف الكرام من التابعين ومن تبعهم من علماء المسلمين وعامتهم وفي كتب شيخ الإسلام رحمه الله وتلميذه ابن القيم وغيرهما كالطبري وابن كثير وأهل الحديث كالشيخين وغيرهما ممن تزخر بأقوالهم المكتبات الإسلامية في كتبهم من الأقوال والشروحات ما لا مزيد عليه في وجوب التمسك بكتاب الله والعمل به والرجوع إليه.

وعلى هذا "فقد اتفق المسلمون سلفهم وخلفهم من عصر الصحابة إلى عصرنا هذا أن الواجب عند الاختلاف في أي أمر من أمور الدين بين الأئمة والمجتهدين هو الرد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام الناطق بذلك الكتاب العزيز { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ } ومعنى الرد إلى الله سبحانه الرد إلى كتابه ومعنى الرد إلى رسوله صلى الله عليه وسلم الرد إلى سنته بعد وفاته وهذا مما لا خلاف فيه بين جميع المسلمين" (١٤٥).

- وهم يؤكدون أن الخير كله فيها وأن الشر كله في الابتعاد عنها وفي الابتداع الذي يسببه اتباع الهوى والبعد عن السنة والسير خلف التأويلات الباطلة التي هلك بسببها الكثير ممن جرفتهم التيارات المنحرفة ومن تلك الأقوال.

- قال عبد الله بن مسعود "اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم" (١٤٦).

(١٤٤) النساء: الآية ٥٩

(١٤٥) شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص ٥٩٦ من الجامع الفريد .

(١٤٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج ١ ص ٨٦ .

- وعن معاذ بن جبل من كلام له رضي الله عنه قال : "فإياكم وما ابتدع فإنما ابتدع ضلالة" (١٤٧) .

- وقال حذيفة اتقوا الله يا معشر القراء خذوا طريق من قبلكم فوالله لعن سبقتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً وإن تركتموه يميناً وشمالاً فقد ضللتهم ضلالاً بعيداً" (١٤٨) .

- وعن عبد الله بن مسعود قال يجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا يعني الإصبع فإن تركتموهم جاؤوا بالطامة الكبرى وإنه لم يكن أهل كتاب قط إلا كان أول ما يتركون "السنة" وإن آخر ما يتركون الصلاة ولولا أنهم يستحيون لتركوا الصلاة (١٤٩) ..

- وعن عبد الله بن الديلمي قال : "إن أول ذهاب الدين ترك السنة يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة" (١٥٠)

- وعن حسان بن عطية قال: "ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة" (١٥١) .

- وعن عمر بن عبد العزيز قال : " سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله عزّ وجلّ واستكمال لطاعته وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها فمن اقتدى بما سنوا فقد اهتدى ومن استبصر بها بصر ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله عزّ وجلّ ما تولاه وأصلاه جهنم وساءت مصيراً" (١٥٢) .

- وأقوالهم في هذا الصدد كثيرة وإنما تلك أمثلة يكفي بها طالب الحق الحريص على سلامة دينه من غوائل أقوال أهل الباطل الذين يقدمون البدع على السنة ويحلونها محلها ويعتبرونها ديناً يجب اتباعه .

(١٤٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص٨٩ .  
(١٤٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص٩٠ .  
(١٤٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص٩١ .  
(١٥٠) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص٩٣ .  
(١٥١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص٩٣ .  
(١٥٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص٩٣ .

استدلّاهم على وجوب العمل بما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم:

يعمل السلف بما ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم امتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم فإن الصحابة أفقه وأعرف بما يقولون وقد زكاهم الله ورسوله وبذلك تعتبر أقوالهم وأفعالهم سنة يجب العمل بها وخصوصاً الخلفاء الراشدين منهم.

ومما ورد في وجوب العمل بما صح عن الصحابة:

- جاء عن العرياض بن سارية رضي الله عنه من حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "فعليناكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها عضوا عليها بالنواجذ" (١٥٣).

- وعن خصوص أبي بكر وعمر رضي الله عنهما جاء قوله صلى الله عليه وسلم: "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر" (١٥٤) وهذا يدل على مزيد فضلها ووجوب الاقتداء بهما. وعلى هذا أجمع السلف وهو من أسس عقائدهم وقد مدح الله السلف الكرام من الصحابة ومن سار على نهجهم بقوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} (١٥٥) فهم السابقون الأولون وأصحاب الشرف العظيم في وقوفهم إلى جانب نبيهم في ساعة العسرة وفدائهم له بأموالهم وأنفسهم وهم أول المجاهدين في سبيل الله من هذه الأمة.

وكانت نسبتهم في البداية بالنسبة إلى نسبة الكفار كنسبة الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود فإن الأرض كلها على الشرك وعبادة الأصنام.

فاستعذبوا العذاب في سبيل نشر النور إرضاءً لله تعالى وقرباً إليه ولا يوجد مسلم على ظهر الأرض إلا وهو مدين للصحابة بالشكر والتقدير على نصرتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى فتوحاتهم التي عمت أكثر البقاع في عهودهم المجيدة.

وتلك الحقيقة يعيها كل مسلم إلا من فسدت فطرته وانحرف واتبع هواه كالرافضة الذين ذهبوا يسبونهم ويكفروهم مضادة للآية الكريمة: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

(١٥٣) أبو داود ٢٠٠/٤ الترمذي ٤٤/٥ .

(١٥٤) أخرجه الترمذي ٦٠٩/٥ .

(١٥٥) التوبة: الآية ١٠٠

وَلَا حُورَانَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ {<sup>(١٥٦)</sup> ولهذا فقد كان ابن حزم رحمه الله حينما يدحض النصرانية ويثبت لهم تحريف كتابهم يستدلون عليه أن المسلمين أيضاً أثبتوا أن في القرآن تحريفاً وزيادة ونقصاً فيقول لهم لا تحتجوا بكلام الرافضة واحتجوا بكلام المسلمين أو نحو ذلك لمعرفة التامة بأنه لا يمكن أن يقدم مسلم يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً أن يدعي بأن هذا القرآن الموجود بين أيدينا قد تخلى الله عن وعده بحفظه أو أنه سلط عليه من غيره ويبدله فإن من اعتقد حدوث هذا فقد خرج عن الإسلام إن كان يدعيه وكفر به.

### وقوف السلف عند حدود النص

أما بالنسبة لوقوف السلف عند حدود النص وعدم الخوض فيما لا مجال للعقل فيه فهذا دليل من أقوى الأدلة على عمق فهمهم وقوة ذكائهم وحرصهم على ما ينفعهم في دينهم به يظهر صدق متابعتهم لنبيهم عليه الصلاة والسلام وحرصهم على إقامة سنته والبعد عن ما يكدرها فقد علموا أن العقل من أكبر نعم الله على عباده وأن الله جعله عوناً لصاحبه وربط الله به كثيراً من القضايا ونوّه به وبعلو شأنه ولكن السلف مع هذا يعلمون علم اليقين أن العقل له حد ينتهي إليه فإذا تجاوزه انقلب إلى الجهل والحمق سنة الله في خلقه وإن تكلف الأمور التي لا سبيل لمعرفة إلا عن طريق النص يعتبر تعدياً وظلماً وقد يجر إلى القول على الله بغير علم والكذب عليه مع أنهم ليسوا في حاجة إلى ذلك فإن السنة واضحة ونهج من سبقهم فيها واضح وقد يجر كذلك إلى إحداث البدع وهو الأمر الذي ينفر منه السلف أشد نفور ويحذرون منه أشد تحذير فطالما جر عدم الوقوف عند النصوص إلى إحداث البدع والخرافات بل وإماتة كثير من السنن كما هو الحال عند أصحاب الأهواء وعباد العقول وتقديهم لها على النصوص وكم من الفظائع والمآسي ارتكبت بسبب عدم فهم النصوص كما يحدثنا عنها التاريخ بل وإن تكفير أهل البدع بعضهم بعضاً ودليلهم واحد هو أقوى الأدلة على مضار عدم فهم النصوص إذ إنه لا يوجد أي نص يؤدي إلى تكفير العاملين به بعضهم بعضاً وهو أمر معروف بداهة.

### إعراض السلف عن أهل البدع

أما إعراضهم عن أهل البدع وعن مخالطتهم فقد أصبح أمراً معلوماً بالضرورة عند أهل السنة فقد حذروا من مجالسة أهل البدع والاستماع إليهم لعلمهم أن أصحاب البدع يوردون شبهات يضللون بها العامة قال تعالى : {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} (١٥٧).

وقال تعالى : {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ} (١٥٨).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث : "إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة" (١٥٩).

وفي رواية : "وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة" (١٦٠).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (١٦١).

وقال صلى الله عليه وسلم : "من رغب عن سنتي فليس مني" (١٦٢).

وهذه الآيات والأحاديث كلها تدل على وجوب الإعراض عن المبتدعين وعن أقوالهم وما يحدثونه في دينهم بأهوائهم التي يقدمونها على السنة ومن هنا كانت نفرة أهل السنة عن أهل البدع اتباعاً لأمر الله وأمر المصطفى صلى الله عليه وسلم ونصحاً لأنفسهم ولغيرهم.

وقد أكد السلف التحذير من أهل البدع ووجوب البعد عنهم.

- قال ابن مسعود رضي الله عنه : "وستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله

وقد نبذوه وراء ظهورهم عليكم بالعلم وإياكم والبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق" (١٦٣).

- عن مجاهد قال قيل لابن عمر : "إن نجده يقول كذا وكذا فجعل لا يسمع منه كراهية

أن يقع في قلبه منه شيء" (١٦٤). وعن تحذيرهم من سماع كلام القدرية جاء عن أبي أمامة

(١٥٧) الأنعام: الآية ٦٨

(١٥٨) النساء: من الآية ١٤٠

(١٥٩) من حديث أخرجه أبو داود ٢٠٠ / ٤ .

(١٦٠) مسلم ٨٦٧ كتاب الجمعة ج ٢ ص ١٥٩٢

(١٦١) البخاري كتاب الصلح مع الفتح ج ٥ ص ٣٠١ ومسلم كتاب الأفضية ج ٣ ص ٣٤٣ .

(١٦٢) باب نقض الأحكام الباطلة ترد محدثات الأمور المسند ج ٢ ص ١٥٨ .

(١٦٣) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص ٥٩ .

الباهلي قال : "ما كان شرك قط إلا كان بدؤه تكذيب بالقدر ولا أشركت أمة قط إلا بدؤه تكذيب بالقدر وإنكم ستبلون بهم أيتها الأمة فإن لقيتموهم فلا تمكثوهم من المسألة فيدخلوا عليكم الشبهات" (١٦٥).

- وعن تحذيرهم من الدخول في الخصومات مع أهل الأهواء جاء رجل إلى الحسن البصري فقال : "يا أبا سعيد إني أريد أن أخاصمك. فقال الحسن: إليك عني فإني قد عرفت ديني إنما يخاصمك الشاك في دينه" (١٦٦).

- وعن بغض أهل الأهواء وحب الابتعاد عنهم قال أبو الجوزاء : "لئن يجاورني قردة وخنازير أحب إلي من أن يجاورني أحد منهم" (١٦٧). يعني أهل الأهواء.

- وكان الحسن يقول : "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم" (١٦٨).

وكان ابن طاوس جالساً فجاء رجل من المعتزلة قال فجعل يتكلم قال فأدخل ابن طاوس إصبعيه في أذنيه وقال لابنه أي بني أدخل إصبعيك في أذنيك واشدد ولا تسمع من كلامه شيئاً. قال معمر راوي الخبر يعني أن القلب ضعيف (١٦٩).

وروى الدارمي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال : "إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة" (١٧٠).

وكان الشافعي ينهى النهي الشديد عن الكلام في الأهواء ويقول : "أحدهم إذا خالف صاحبه قال كفرت والعلم فيه إنما يقول أخطأت" (١٧١).

وقال علي بن المديني : "من قال فلان مشبه علمنا أنه جهمي ومن قال فلان مجبر علمنا أنه قدرني ومن قال فلان ناصبي علمنا أنه رافضي" (١٧٢).

(١٦٤) انظر شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ص ١٢٨ .

(١٦٥) انظر شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ص ١٢٨ .

(١٦٦) اللالكائي ١/١٢٨ .

(١٦٧) ابن سعد في الطبقات ٧/٢٢٤ .

(١٦٨) اللالكائي ص ١٣٣ .

(١٦٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج ١ ص ١٣٥ .

(١٧٠) أخرجه اللالكائي ص ١٣٥ .

(١٧١) أخرجه اللالكائي ج ١ ص ١٤٦ .

(١٧٢) شرح السنة اللالكائي ج ١ ص ١٤٧ .

وقد رويت عن السلف من النصوص الكثيرة ما لا يحتمل المقام ذكرها هنا وكلها تهدف إلى أمر واحد هو اجتناب أهل البدع والتحذير منهم امثالاً لقول الله تعالى : { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (١٧٣).

وقوله تعالى : { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا } (١٧٤) .

وفي عدم مجالستهم حماية للعقيدة وحماية لقلوبهم لئلا تميل إلى شيء من شبهات أهل الباطل وحتى لا تنتشر أفكارهم بين الناس وفيه كذلك قيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أهل البدع إن لم يجدوا من يرد عليهم تمادوا في باطلهم وضعف في نفوس الناس الإحساس بوجوب تغيير المنكر بل يستمرئون بعد ذلك وقد يعترض البعض فيقول إن مجالستهم ومناظرتهم فيها إقامة للحجة عليهم ودعوة لهم للرجوع أو يقول قد ناظر بعض السلف أهل الباطل كما فعل ابن عباس مع الخوارج وعمر بن عبد العزيز معهم أيضاً والمناظرة المشهورة لعبد العزيز الكناني مع بشر المريسي وغير ذلك والجواب والله أعلم أن مناظرة السلف لأهل البدع تعتبر بالجملة قليلة ولا يناظروهم إلا إذا رأوا أن المصلحة تقتضي ذلك وفي مجامع عامة وعلنية.

وهي أيضاً لا تكون إلا مع من يرجى منه الرجوع أما المعاندين منهم المصرين على بدعهم الداعين إليهم فإنهم كانوا يحذروهم ويحذرون منهم وهذا من باب الحزم وإنكار المنكر والبعد عن الشر قبل الوقوع فيه فإن مجالسة أهل البدع والاستماع لكلامهم قد يجذب الشخص إليهم وقد يتشوش فكره بكلامهم فإذا حسم الشر من أوله كان أضمن لسلامته ومن هنا فإنه يجب الحذر من قراءة كتب المخالفين والاستماع لخطبهم وكلامهم قبل أن يحصن الشخص نفسه بالقراءة عنهم ومرد شبهاتهم.

(١٧٣) سورة الأنعام : ٦٨ .

(١٧٤) سورة النساء : ١٤٠ .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم : " أن من وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام  
كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه" (١٧٤) .

\* \* \* \* \*

## الفصل السابع

### لزوم السلف جماعة المسلمين

#### وتحذيرهم من التفرق وأدلتهم على ذلك

أما لزومهم جماعة المسلمين وتحذيرهم من التفرق فهذا أحد الأسس التي قامت عليها عقيدتهم امتثالاً لأمر الله تعالى وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم فقد استفاضت الأدلة من كتاب الله عز وجل ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم على وجوب لزوم الجماعة والحذر من التفرق وما يؤدي إليه مهما كان نوعه.

وفي كتاب الله تعالى وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ما يوضح ويؤكد هذا الجانب بمزيد من العناية والبيان .

١- الأدلة من كتاب الله تعالى :

- قال الله تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } (١٧٥) .
- وقال الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } (١٧٦) .
- وقال الله تعالى : { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } (١٧٧) .
- قال الله تعالى : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ } (١٧٨) .

وهذه الآيات وغيرها مما جاء في معناها واضحة الدلالة والمراد وكلها تهدف إلى منع التفرق في الآراء والمعتقدات التي لا يتصف بها قوم إلا كانوا في طريقهم إلى الفضل رغم وضوح هذه الأدلة ورغم حاجة الأمة الإسلامية إلى العمل بمفهوم هذه الآيات البينات إلا أن المسلمين في عصرنا هذا لم يستفيدوا منها بل كان بعضهم قريباً من حال الذين أخبر الله عنهم أنهم ازدادوا بمجيء البينات اختلافاً وفرقة وبعداً عن منهج الله تعالى . قال تعالى : { وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

(١٧٥) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(١٧٦) سورة الأنعام : ١٥٩ .

(١٧٧) سورة آل عمران : ١٠٥ .

(١٧٨) سورة الأنعام : ١٥٣ .

إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ { (١٧٩) . فما أكثر ما يجتمع المسلمون في شكل مؤتمرات وندوات ولقاءات ويكون شعارهم هو العمل بهذه الآية : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } ولكنهم يخرجون وهم على أشد ما يكونون من الاختلاف والتنافر وما أكثر ما يقرأ المسلمون هذه النصيحة الإلهية: { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } .

وما أكثر ما يقرؤون غيرها من الآيات ولكن لماذا لم يستفيدوا منها؟

**والجواب :** أنهم حينما يجتمعون يكون كل فريق وحزب في غاية الإصرار على أن حبل الله الذي يجب التمسك به هو ما هو عليه وحزبه ويجب على الآخرين الانضواء تحت رايتهم والسير على نهجهم وكل يرى نفس هذا الرأي وبالتالي يكون اجتماعهم لتعميق هذه الفرقة فلا يستفيدون من تلاوة هذه الآيات شيئاً لعدم إخضاع رغباتهم وأهوائهم لتحكيمها ولعدم رضاهم بالرجوع إلى الحق الذي هدى الله إليه سلف هذه الأمة وصلاح عليه أمرهم وما دام كل حزب وكل فرقة تستدل بالآيات على أن الآخرين مفارقين للحق وأن الحق هو بأيديهم فقط وما داموا كذلك فلا أمل في عودة الوحدة الإسلامية . ومن عجيب أمر أهل الأهواء أن البيئات التي تفصل النزاعات أصبحت هي بمفاهيم هؤلاء البدعية مصدر الاختلاف والنزاع بسبب عدم التسليم لمفهومها الصحيح وإلا فهي ليست كذلك وحبل الله وصراطه المستقيم واحد لا تعدد فيه { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } فكيف يتعدد الحق وكيف تصبح كل تلك الفرق والطوائف المبتعدة عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وعن سبيل المؤمنين كيف يصبحون كلهم على حق .

## ٢- الأدلة من السنة النبوية

وكما تعددت الأدلة من كتاب الله تعالى على النهي عن التفرق وعلى وجوب التمسك بالجماعة تعددت الأدلة كذلك من السنة النبوية على هذا الجانب الهام في العقيدة الإسلامية .

ومما ورد في ذلك:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم" (١٨٠).

٢- عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم قلت وهل بعد هذا الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر قلت فهل بعد الخير من شر قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه فيها قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلت فما تأمري إن أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك (١٨١).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية .. الحديث (١٨٢).

- وعن عرفجة بن شريح الأشجعي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان" (١٨٣).

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله إلا باحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمارق من الدين التارك للجماعة" (١٨٤).

- وهذه الأحاديث وغيرها مما وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم كلها تؤكد على وجوب لزوم الجماعة والتحذير من التفرق ولو تمسك بها المسلمون وحققوها لكانوا على الخير الذي

(١٨٠) أخرجه مسلم ج ٣ ص ١٣٤٠ .

(١٨١) البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة الفتح ج ٦ ص ٦١٥ ورواه مسلم .

(١٨٢) أخرجه مسلم ج ٣ ص ١٤٧٦ .

(١٨٣) مسلم في كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ج ١ ص ١٤٧٩ .

(١٨٤) البخاري كتاب الديات الفتح ج ١٢ ص ٢٠١ وأخرجه مسلم أيضاً .

مضى عليه السلف الكرام من الصحابة ومن تبعهم بإحسان ولعاد للمسلمين سؤددهم وكرامتهم التي فقدت في عصرنا الحاضر بسبب التفرق وعدم الإذعان لتعاليم الشريعة السمحاء ومع ذلك لا يزال الخير إن شاء الله في أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة ما داموا متمسكين بالحق قولاً وعملاً والله تعالى يقول : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (١٨٥) .

\* \* \* \* \*

## الفصل الثامن

### الثناء على السلف رحمهم الله تعالى

١- الثناء على الصحابة الكرام من كتاب الله تعالى :

أثنى الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم وأثنى رسوله صلى الله عليه وسلم على الصحابة الكرام وأن لهم محاسن وفضائل لا يمكن أن يلحقهم فيها من جاء بعدهم فهم خير البشر بعد الأنبياء والمرسلين وزمنهم أفضل الأزمان ورضي الله عنهم فوق كل اعتبار لا ينتقصهم إلا ضال منافق لا يعرف الإسلام وكلهم عدول.

وينقسمون إلى قسمين إلى مهاجرين وإلى أنصار رضي الله عنهم جميعاً هذا هو تقسيم أهل الحق لهم أما غيرهم من أهل الباطل فيقسمونهم إلى قسمين مرتدين وهم سائر الصحابة وغير مرتدين وهم عدد لا يتجاوز أصابع اليد.

- ومن ثناء الله سبحانه وتعالى على الصحابة في كتابه العزيز .

قوله تعالى : { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (١٨٦) .

- و قوله تعالى : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا } (١٨٧) .

- وقوله تعالى : { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } (١٨٨) .

- وقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } (١٨٩) .

- وقوله تعالى : { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } (١٩٠) .

(١٨٦) سورة التوبة: ١٠٠

(١٨٧) سورة الفتح: ٢٩ .

(١٨٨) سورة الفتح: ١٨ .

(١٨٩) سورة الأنفال: ٧٢ .

- وقوله تعالى : { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } { ٨ } وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } { ٩ } وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } { ١٩١ } .

وهذه الآيات الكريمة كلها تدل على فضل الصحابة رضوان الله عليهم من المهاجرين والأنصار ومن السابقين إلى الإسلام قبل الفتح ومن جاء بعدهم على طريقتهم مع تفضيل السابقين بمزيد فضل - وكلهم على فضل - وفيها بيان ما أعد الله لهم من ثواب ونعيم في الآخرة وبيان ما امتازوا به من الشدة على الكفار والرحمة فيما بينهم بل أن شدتهم هي في حقيقتها رحمة بالكفار لكي يدخلوا في الإسلام ويخرجوا من الظلمات إلى النور وهي صفات عظيمة المسلمون اليوم في أحوج ما يكونون للإنصاف بها بعد أن انعكس الأمر لدى الكثير منهم حيث صاروا أشداء فيما بينهم رحماء مع مخالفينهم وقد أخبر سبحانه عن رضاه عن الصحابة جميعاً وبالأخص أصحاب بيعة الرضوان وأثنى على الأنصار وبين صفتهم التي لا يصل إليها إلا الموفق في الكرم والإيثار.

وبين أن فريقاً من المؤمنين جاءوا من بعدهم دائماً يتوسلون إلى الله تعالى أن يغفر لهم وإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان وهي صفة عظيمة تدل على فطر سليمة ونفوس طاهرة وقد اتصف السلف بهذه الصفة الطيبة وحققوها في أكمل صورها كما اتصف مبغضوهم بعكسها تماماً فقد ظهر حثالة البشر من الرافضة النواصب والخوارج وسائر من ألد وخرج عن هدى السلف ظهر هؤلاء يسبون الصحابة ويفترون عليهم وعلى سائر السلف مما يدل على أنهم ليسوا على طريق هؤلاء الكرام الذي يقولون ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وبدلاً من

(١٩٠) سورة الحديد : ١٠ .

(١٩١) سورة الحشر : ٨ - ١٠ .

قيامهم بهذا الواجب من الاستغفار لهم ذهبوا يكيلون التهم ويدعون عليهم ويستهزئون بهم محاده لله تعالى وهذه دلالة قاطعة على جهل هؤلاء بسيرة السلف الصالح بل وبأمر الله تعالى في هذا.

## ٢- ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم :

أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم ثناءً عاطراً على الصحابة الكرام ويكفيهم فخراً أنه كان راضياً عنهم محباً لأخلاقهم خصوصاً أولئك الذين نصره في ساعة العسرة باذلين أموالهم وأنفسهم وأولادهم حباً فيه وفي رفع هذا الدين العظيم حتى أتم الله لهم ودخل الناس في دين الله أفواجاً فلهم الفضل بعد الله على سائر البشر وسائر الناس مدينون لهم بالشكر والتقدير إذ لولا فضل الله ثم قيام أولئك بنصرة الإسلام لما وصل إلى ما وصل إليه ولهذا فكل منتسب إلى الإسلام مدين لهم بالشكر والتقدير ومن ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم:

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه" (١٩٢) وذلك لامتياز عبد الرحمن بن عوف بالأسبقية إلى الإسلام وتأخر خالد إلى ما بعد بيعة الرضوان فإن حال الذين أسلموا بعد الحديبية وإن كان قبل فتح مكة لكنهم ليسوا على درجة من سبقهم في الفضل وفي مضاعفة الحسنات لهم فإن نصف مد منهم أجره أعظم من أجر من تصدق بمثل أحد ذهباً لو حصل ذلك فكيف بحال من ظهر في قرون الشر وصار ينتقص كل أولئك الصحابة.

- وورد في الصحيحين عن عمران بن حصين وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة (١٩٣).

- وفي صحيح مسلم عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها (١٩٤).

(١٩٢) أخرجه البخاري ج ٧ ص ٢١ ومسلم ج ٤ ص ١٩٦٧ .

(١٩٣) أخرجه البخاري ج ٥ ص ٢٥٨ ومسلم ج ٤ ص ١٩٦٣ .

(١٩٤) مسلم ج ٤ ص ١٩٤٢ .

- وروى الترمذي عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله تعالى فيوشك أن يأخذه" (١٩٥) .

كما أثنى الله تعالى وأثنى رسوله صلى الله عليه وسلم على بعض الصحابة بخصوصهم مثل أبي بكر وعمر وعلي وعثمان وابن مسعود وأبو عبيدة وأبو ذر ومعاذ بن جبل وغيرهم ممن صحت فيه النصوص .

وأجمع علماء الإسلام على عدالتهم وفضلهم والمفاضلة بينهم من دون انتقاص أحد منهم وإنما هو تفضيل كتفضيل بعض الأعضاء على البعض الآخر منها وتلك المفاضلة بين الصحابة تعود إلى الأسبقية في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الإيمان والبذل في سبيل الله إرضاء الله ثم لنبيه الكريم في الدفاع عنه وعن ما جاء به من الحق وإذا كان هذا حال الصحابة فما هو حال من لا يساوي شيئاً بالنسبة لهم .

### ٣- ثناء السلف عليهم :

- وبهذا المعنى ورد أنه قيل لعائشة رضي الله عنها أن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبا بكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر (١٩٦) .

- وعن ابن عباس أنه قال لا تسبوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلمقام أحدهم ساعة يعني مع النبي صلى الله عليه وسلم خير من عمل أحدكم أربعين سنة وفي رواية وكيع : "خير من عبادة أحدكم عمره" (١٩٧) .

- وقد وصفهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد

(١٩٥) سنن الترمذي ج ٥ ص ٦٩٦ وقد ضعفه الألباني انظر تعليقه على الطحاوي ص ٤٧١ وأحال إلى سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٢٩٠١ .  
(١٩٦) انظر الطحاوية ص ٥٣٠ .  
(١٩٧) أخرجه أحمد ج ٢ ص ٩٠٧ .

قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيئاً" (١٩٨) .

- وفي رواية عنه أنه قال: " من كان منكم مستنأً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم" (١٩٩) .

---

(١٩٨) انظر الطحاوية ص ٤٣٢ .

(١٩٩) المصدر السابق .

## الفصل التاسع

### جهودهم في خدمة الإسلام

تنوعت جهود السلف في خدمة الإسلام وأهمها :

١- جهودهم الحربية.

٢- جهودهم في بيان العقيدة الإسلامية.

أما جهودهم الحربية فإن التاريخ مليء بذكرها غني بأحداثها لا يجهل أي مسلم ذلك ابتداءً بجهودهم الحربية بين يدي نبيهم صلى الله عليه وسلم في معارك عديدة كبدر وأحد والخندق وسائر الغزوات التي خاضوا غمارها لا يطلبون منها إلا رضى ربهم ونبيهم ولم ينتقل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه إلا وقد قرت عينه وانشرح صدره ومات وهو عنهم راض. ولم تنقطع المعارك الحربية والفتوحات بوفاته صلى الله عليه وسلم بل اشتدت وتعددت على يد خلفائه الميامين ابتداءً بأبي بكر رضي الله عنه وما قام به من جهود عظيمة في محاربة المرتدين ومن بعدهم من الكفار وجعل الله في أيامه خيراً عظيماً ونفعاً بليغاً أعاد الجزيرة إلى دولة إسلامية واحدة ثم انتقل إلى البلاد الأخرى يفتحها البلد تلو البلد.

وبعد وفاته وانتقال الخلافة إلى عمر رضي الله عنه ازدادت رقعة الدولة الإسلامية وأوصلها بجهوده بعد نصر الله إلى ما يسمى في عصرنا الحاضر بالامبراطورية وكذا في عهد الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه ثم تتابعت الفتوحات على يد معاوية رضي الله عنه وبلغت الدولة الإسلامية قمة مجدها وازدهارها وجاءت الدولة العباسية وسلكت نفس الاتجاه إلى أن جاءت أيضاً الدولة العثمانية وكانت لها جهود رائعة في انتشار الإسلام ونشره وكان علماء السلف هم المحركون لتلك الأحداث بخطبهم الحماسية وإثارة روح التضحية في سبيل الله تعالى بل والمشاركة الجادة في خوض المعارك ولا يغيب عن ذهن القارئ ما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره في وقوفهم ضد التتار وانتصارهم عليهم فحفظ الله بهم الدين لما ادخره لهم من جزيل الأجر والثواب.

٢- جهودهم في خدمة العقيدة:

ولا ريب أن العقيدة الإسلامية صافية نقية محجة بيضاء ولهذا ما إن ظهرت البدع والفتن التي أراد أهلها - بسوء نية - التشويش على صفاتها وطمس نورها إلا ووقف السلف بكل حزم وشجاعة ويقين لردها والإنكار عليها وعلى أهلها لا تأخذهم في الله لومة لائم فحفظ الله بهم الدين وأتم بهم النعمة ولولا فضل الله ثم تلك الجهود التي بذلوها لا اختلط الحق بالباطل وقال من شاء في الدين بما شاء ولا انتشرت البدع والخرافات الباطلة إلى أن يصبح المسلمون في دينهم كما أصبح عليه من قبلهم ولكن الله لم يرض بهذا فقد تكفل بحفظ دينه الذي ارتضاه إلى يوم القيامة وسخر له رجالاً خدموه يبتغون فضل الله ورضوانه ما كانت تأخذهم في الله لومة لائم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته.

فقد كان السلف من الرعييل الأول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخلص الناس وأشدهم حفاظاً على شعائر الإسلام كانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم يتناصحون ويرشدون لا يقر لأحد منهم قرار إذا رأى منكراً أو بدعة من قريب أو من بعيد لا يداهنون أحداً ولا يرهبون إلا ربهم.

ولو بدأنا التعرف على جهودهم في زمن الخليفة الراشد أبي بكر رضي الله عنه لرأينا مدى اهتمامه بالحفاظ على العقيدة الإسلامية صافية نقية وما محاربتة لأهل الردة وإرجاعهم إلى الدين إلا مظهر من مظاهر اهتمامه بخدمة العقيدة بل وما كانت هجرته إلى المدينة مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا أحد الشواهد على ذلك فلقد ترك المال والبنين والأهل والأحبة ليفر إلى البلد الذي يأمن فيه على عقيدته وما إنفاقه في سبيل الله وإعتاقه الرقاب إلا لوجه الله وخدمة عقيدته الحنيفية ولقد أسلم على يده أفذاذ كانوا مفخرة الإسلام والمسلمين ويطول الشرح لو أردنا استقصاء أعماله التي قدمها مبتغياً بها وجه الله وخدمة دينه.

وكذلك الحال مع الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي اقض مضاجع أعداء الإسلام وأعلى الله به كلمة الحق وظهر المسلمون على أعدائهم ودخل الناس في دين الله أفواجاً وكانت درته سيفاً مسلطاً على رقاب أهل البدع وكانت سيرته العطرة وأخباره المشرقة مثار دهشة وإعجاب العالم أجمع كان شديداً في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم شديد على أهل البدع يضربهم بالدرة مؤدباً لرعيته بأقواله وأفعاله. دخل عليه شاب طويل الثوب وعمر يجود بنفسه

فسلم عليه فلما خرج ناداه عمر فرجع إليه الشاب فقال له يا بني أقصر من ثوبك فإنه أنقى لثوبك واتقى لربك أو كلاماً نحو هذا ولم يشغله ما هو فيه من سكرات الموت حتى عن التنبية على هذه المسألة فما الظن بغيرها؟

وقد ضرب رجلاً اسمه صبيغ حتى أدمى رأسه لأنه كان مغرماً بالسؤال عن المتشابهات وهدد أبا موسى الأشعري حين استأذن ثلاثاً وانصرف قائلاً له لماذا استأذنت ثلاثاً وانصرفت فقال له هكذا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: وكان أبو موسى صادقاً وعمر يعرفه بالصدق ولكنه أراد أن يجد ويؤدب من عسى أن تسول له نفسه التقول على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له هات شاهداً وإلا فعلت وفعلت بك وكان مهاباً رغم تواضعه الجم تهابه الناس وتهابه الشياطين كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يسلك وادياً أو فجاً إلا وسلك الشيطان فجاً آخر وأخبره لا تستقصيها هذه العجالة رضي الله عنه.

وبعد وفاته واستشهاده خلفه عثمان رضي الله عنه فأبلى في الإسلام وفي خدمته وفي الفتوحات ونشر الإسلام وخدمة العقيدة الحنيفية ما طفحت به المراجع التاريخية.

ومن أجل خدماته للإسلام كرمه الواسع ابتغاء مرضات الله تعالى وإنفاقه الذي فاق التصور ثم فتوحاته ونشر الإسلام ولا ينسى القارئ أجل خدمة قام بها عثمان في شأن كتاب الله تعالى إلى أن استشهد على يد البغاة عاقبهم الله بما يستحقون.

ثم خلفه علي رضي الله عنه على نفس الأهداف في خدمة الدين ورفع رايته ومحاربة أهل الكفر وأهل البدع بأقواله وأفعاله حتى لقي ربه ثم جاءت الدولة الأموية وكان لأول ملوكهم معاوية رضي الله عنه وهو من خير البشر بعد الأنبياء والمرسلين خدماته الجليلة للإسلام والمسلمين فقد فُتحت البلدان الكثيرة في عهده وعهد خلفائه وانتشر الإسلام انتشاراً واسعاً وكان رضي الله عنه محارباً لكل محدث في الدين حماية للعقيدة الإسلامية أن تدنس بالشبهات.

ونبع في عهد الدولة الأموية ثم العباسية علماء أجلاء خدموا الدين وقدموا أنفسهم في سبيل الحفاظ على صفائه ونقاؤه.

ولم يخل عهد من العهود إلا وفيه جهابذة من علماء السنة ومن المحافظين على بقاء ونقاء الإسلام إلى يومنا الحاضر والله الحمد فلا ننسى تلك المواقف المشرفة لعلماء السلف في خدمة

الدين الإسلامي. أمثال الإمام المجلد إمام أهل السنة أحمد بن حنبل والعز بن عبد السلام وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى أن جاء في العهد القريب الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي جدد الله به كثيراً من السنن التي كادت أن تندثر وأذل به كثيراً من أهل البدع التي انتشرت وأخذت حيزاً واسعاً في عقول المسلمين ويطول جداً ذكر علماء السنة وذكر جهودهم في خدمة العقيدة فقد كتبت المطولات العديدة في هذا الشأن ومن الصعوبة حصرها جميعاً أو حصر جهود مؤلفيها في وقفاتهم التي أصبحت نموذجاً يحتذى به ومشعلاً يستضاء به تلك الجهود التي قمع بها فتن المارقين أصحاب البدع ومختلف الفرق من جهمية ومعتزلة أشعرية و ما تريديّة وخوارج ومرجئة من بدء ظهورهم إلى يومنا الحاضر فأدوا الأمانة الملقاة على عواتقهم وابرؤوا ذمهم ونصحوا الأمة فحذروا وبينوا وألفوا الكتب والمقالات وكم لهم من محاضرات ومناظرات دحضوا فيها شبه الضالين وأقاموا الحجة على كل السامعين فانقلبوا بنعمة من الله تعالى وما هذه المؤلفات العديدة التي تزخر بها المكتبات الإسلامية إلا ثمرة من ثمار جهودهم وأقوى الشواهد على بلائهم.

### بيان مجمل اعتقادات السلف في سائر أبواب الاعتقاد

لقد تميزت عقيدة السلف بقيامها على الكتاب والسنة في كل جزئية منها فكانت تلك العقيدة هي المحجة البيضاء التي تركنا عليها المصطفى صلى الله عليه وسلم سهلة في تطبيقها واضحة في دلالاتها لا يزيغ عنها إلا المبتدعون أصحاب الأهواء الباطلة والاتجاهات الفاسدة. ومما أود التنبيه عليه أن عقيدة السلف قد دونها العلماء بمؤلفات كثيرة بل كتبوا في كل جزئية مجلدات ضخمة كما سبق بيانه.

ولذلك فمن غير السهولة أن أذكرها هنا مفصلة وإنما أكتفي بذكرها على طريق الإجمال والإيجاز بحيث يكفي المستعجل فينال بغيته في التعرف على عقيدة السلف إن لم يتمكن من الاطلاع عليها بالتفصيل في مراجعها.

وقد عبر عن ذلك الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) بعد أن رجع إلى مذهب السلف ودان الله به كما عبر عنه أيضاً في كتابه (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) ففي كتابه (الإبانة) قال رحمه الله تعالى: فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة

والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون. وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته وأجزل مثوبته، قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين وزيع الزائغين وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفخم وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نريد من ذلك شيئاً وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق وأن الجنة حق والنار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور وأن الله استوى على عرشه كما قال: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (٢٠٠) وأن له وجهاً بلا كيف كما قال: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} (٢٠١) وأن له يدين بلا كيف، كما قال: {خَلَقْتُ يَدَيَّ} (٢٠٢) . وكما قال: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} (٢٠٣) وأن له عيناً بلا كيف، كما قال: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} (٢٠٤) وأن من زعم أن أسماء الله غيرة كان ضالاً وأن لله علماً كما قال: {أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} (٢٠٥).

وكما قال: {وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} (٢٠٦). ونثبت لله السمع والبصر ولا ننفي ذلك، كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج ونثبت أن لله قوة كما قال: {أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} (٢٠٧) نقول: إن كلام الله غير مخلوق وإنه لم يخلق شيئاً إلا

(٢٠٠) سورة طه: ٥

(٢٠١) سورة الرحمن: ٢٧ .

(٢٠٢) سورة ص: ٧٥ .

(٢٠٣) سورة المائدة: ٦٤ .

(٢٠٤) سورة القمر: ١٤ .

(٢٠٥) سورة النساء: ١٦٦ .

(٢٠٦) سورة فاطر: ١١ .

(٢٠٧) سورة فصلت: ١٥ .

وقد قال له : كن فيكون، كما قال : {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (٢٠٨) .

وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عزّ وجلّ وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله الله (٢٠٩) .

ولا نستغني عن الله، ولا نقدر على الخروج من علم الله عزّ وجلّ وأنه لا خالق إلا الله (٢١٠)

وأن أعمال العبد مخلوقة لله مقدورة، كما قال: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} (٢١١) وأن العباد لا

يقدرّون أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون، كما قال: { هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ } (٢١٢) وكما قال: { لا

يُخْلِقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ} (٢١٣) وكما قال: { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ } (٢١٤)، وكما قال: { أَمْ

خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} (٢١٥). وهذا في كتاب الله كثير وأن الله وفق المؤمنين

لطاعته، ولطف بهم، ونظر إليهم، وأصلحهم، وهداهم، وأضل الكافرين، ولم يهدهم، ولم يلطف

بهم بالإيمان، كما زعم أهل الزيغ والطغيان، ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم

لكانوا مهتدين، كما قال تبارك وتعالى: { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْخَاسِرُونَ} (٢١٦) وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين، ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد

أن يكونوا كافرين كما علم، وأنه خذلهم وطبع على قلوبهم (٢١٧) وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره،

وأنا نؤمن بقضاء الله وقدره، خيره وشره، حلوه ومره، ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأن ما

أصابنا لم يكن ليخطئنا، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله وأنا نلجأ في

أمورنا إلى الله، ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه ونقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن

من قال بخلق القرآن فهو كافر—وندين بأن الله تعالى يُرى في الآخرة بالأبصار كما يُرى القمر

ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن الكافرين

(٢٠٨) سورة النحل : ٤٠ .

(٢٠٩) أي قيل أن يريد الله ويمكنه من الفعل .

(٢١٠) هذا هو تحقيق الاعتقاد بتوحيد الربوبية .

(٢١١) سورة الصافات : ٩٦ .

(٢١٢) سورة فاطر : ٣ .

(٢١٣) سورة النحل : ٢٠ .

(٢١٤) سورة النحل : ١٧ .

(٢١٥) سورة الطور : ٣٥ .

(٢١٦) سورة الأعراف : ١٧٨ .

(٢١٧) ولو عذب الله أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم كما ورد النص بذلك .

محبوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة كما قال الله عزّ وجلّ: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ} (٢١٨) وأن موسى عليه السلام سأل الله عزّ وجلّ الرؤية في الدنيا، وأن الله تعالى تجلّى للجبل، فجعله ذكاً، فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا، ونرى بأن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنوب (٢١٩) يرتكبه كالزنا والسرقه وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون ونقول: إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقه وما أشبههما مستحلاً لها غير معتقد لتحريمها كان كافراً.

ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيماناً. وندين بأن الله تعالى يقرب القلوب: ((وَأَنْ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعِينَ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٢٢٠)، وأنه سبحانه يضع السماوات على إصبع والأرضين على إصبع)) (٢٢١).

كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف. وندين بأن لا ننزل أحداً من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنّة ولا ناراً إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، ونرجوا الجنة للمذنبين، ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين.

ونقول: إن الله عزّ وجلّ يخرج قوماً من النار بشفاعه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديقاً لما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى تنتهي الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض، وإن الميزان حق، والصراف حق، والبعث بعد الموت حق وأن الله عزّ وجلّ يوقف العباد في الموقف ويحاسب المؤمنين وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وندين بحب السلف الذين اختارهم الله عزّ وجلّ لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، ونثني عليهم بما أثنى به عليهم، ونتولاهم أجمعين ونقول: إن الإمام الفاضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضوان الله عليه، وأن الله أعز به الدين وأظهره على المرتدين وقدمه المسلمون للإمامة كما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة،

(٢١٨) سورة المطففين : ١٥ .

(٢١٩) يرى بعض العلماء ومنهم ابن أبي العز أن الأنسب أن يقال لا نكفر أحداً من أهل القبلة بكل ذنب .

(٢٢٠) رواه مسلم في القدر ج ٥ ص ٥٠٩ و أحمد ج ٢ ص ١٧٣ و ص ١٦٨ .

(٢٢١) أخرجه البخاري ج ١٣ ص ٣٩٣ و مسلم ج ٥ ص ٦٥٤ .

وسمّوه بأجمعهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه وأن الذين قتلوه ظلماً وعدواناً، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافتهم خلافة النبوة ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، ونتولى سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ونكف عما شجر بينهم. وندين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون فضلاء لا يوازهم في الفضل غيرهم.

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا وأن ((الرب عزّ وجلّ يقول: هل من سائل، هل من مستغفر))<sup>(٢٢٢)</sup> وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قاله أهل الزيغ والتضليل ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا تبارك وتعالى وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وإجماع المسلمين، وما كان في معناه. ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها، ولا نقول على الله ما لا نعلم ونقول: إن الله عزّ وجلّ يجيء يوم القيامة كما قال: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} وأن الله عزّ وجلّ يقرب من عباده كيف شاء كما قال: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} وكما قال: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وفاجر، كما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يصلي خلف الحجاج وأن المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر خلافاً لقوله من أنكر ذلك. ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم، إذا ظهر منهم ترك الاستقامة وندين بإنكار الخروج عليهم بالسيف، وترك القتال في الفتنة ونقر بخروج الدجال<sup>(٢٢٣)</sup> كما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير ومساءلتهما المدفونين في قبورهم ونصدق بحديث المعراج<sup>(٢٢٤)</sup> ونصحح كثيراً من الرؤيا في المنام ونقر أن لذلك تفسيراً ونرى الصدقة عن موتى المسلمين، والدعاء لهم ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك ونصدق بأن في الدنيا سحراً وسحرة، وأن السحر كائن

(٢٢٢) رواه مسلم ج ٢ ص ٤٠٨ وأبو داود في سننه ج ٢ ص ٥٣٦ .

(٢٢٣) البخاري ج ١٣ ص ٩٠ ومسلم ج ٥ ص ٧٨٠ .

(٢٢٤) البخاري ج ١٣ ص ٤٧٨ ومسلم ج ١ ص ٢٤٦ .

موجود في الدنيا وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم وتوارثهم ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان.

وأن من مات أو قتل فبأجله مات أو قتل وأن الأرزاق من قبل الله عزّ وجلّ يرزقها عباده حلالاً وحراماً وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويتخبّطه خلافاً لقول المعتزلة والجهمية، كما قال الله عزّ وجلّ: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} (٢٢٥) وكما قال: {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ \* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ \* مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} (٢٢٦) ونقول: إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله عزّ وجلّ بآيات يظهرها عليهم وقولنا في أطفال المشركين (إن الله يؤجج لهم في الآخرة ناراً، ثم يقول لهم اقتحموها) كما جاءت بذلك الرواية (٢٢٧)، وندين الله عزّ وجلّ بأنه يعلم ما العباد عاملون، وإلى ما هم صائرون، وما كان وما يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمين، ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعته ومجانبة أهل الأهواء: وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي منه مما لم نذكره باباً باباً وشيئاً شيئاً إن شاء الله تعالى.

ونجد الأشعري قد أكد أيضاً تلك الأمور في كتابه: (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) وفي بيانه لاعتقاد أصحاب الحديث.

وقد رغبت أن أثبتها كما جاءت في الكتاب القيم تتميماً للفائدة وتأكيداً لكلامه في الإبانة وأن مصدر هذين الكتابين هو الأشعري رحمه الله تعالى.

### هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة (٢٢٨):

جملة ما عليه أهل الحديث والسنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يردون من ذلك شيئاً، وأن الله — سبحانه — إله واحد فرد صمد، لا إله غيره، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور وأن

(٢٢٥) سورة البقرة: ١٧٥ .

(٢٢٦) سورة الناس: ٤-٦ .

(٢٢٧) اختلف العلماء في مصير الأطفال في الآخرة فبعضهم يرى أنهم يمتحنون بطاعة رسول يرسله لهم ويطلب منهم أن يدخلوا النار فمن دخلها كانت عليه جنة ومن أبى عذب في النار وفيها غير ذلك من الأقوال والله أعلم .

(٢٢٨) انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج ٢ ص ٣٤٥ .

الله - سبحانه - على عرشه، كما قال: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (٢٢٩) وأنه له يدين بلا كيف، كما قال: { خَلَقْتُ يَدَيَّ } (٢٣٠)، كما قال: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} (٢٣١) وأنه له عينين بلا كيف، كما قال: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} (٢٣٢) وأن له وجهاً كما قال: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} (٢٣٣).

وأن أسماء الله لا يقال: إنها غير الله؛ كما قالت المعتزلة والخوارج، وأقروا أن الله - سبحانه - علماً كما قال: {أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} (٢٣٤) وكما قال: {وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} (٢٣٥) وأثبتوا السمع والبصر، ولم ينفوا ذلك عن الله، كما نفته المعتزلة، وأثبتوا الله القوة، كما قال: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} (٢٣٦) وقالوا: إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر، إلا ما شاء الله، وإن الأشياء تكون بمشيئة الله، كما قال عز وجل: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (٢٣٧) وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان، وما لا يشاء لا يكون.

وقالوا: إن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله، أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله، أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله.

وأقروا أنه لا خالق إلا الله، وأن سيئات العباد يخلقها الله، وأن أعمال العباد يخلقها الله عز وجل، وأن العباد لا يقدر أن يخلقوا منها شيئاً.

وأن الله وفق المؤمنين لطاعته، وخذل الكافرين، ولطف بالمؤمنين، ونظر لهم، وأصلحهم، وهداهم، ولم يلطف بالكافرين، ولا أصلحهم، ولا هداهم، ولو أصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين.

(٢٢٩) سورة طه : ٥

(٢٣٠) سورة ص : ٧٥ .

(٢٣١) سورة المائدة : ٦٤ .

(٢٣٢) سورة القمر : ١٤ .

(٢٣٣) سورة الرحمن : ٢٧ .

(٢٣٤) سورة النساء : ١٦٦ .

(٢٣٥) سورة فاطر : ٣٥ .

(٢٣٦) سورة فصلت : ١٥ .

(٢٣٧) سورة التكويد : ٢٩ .

وأن الله - سبحانه - يقدر أن يصلح الكافرين، ويلطف بهم، حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن لا يصلح الكافرين، ويلطف بهم، حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وخذلهم، وأضلهم وطبع على قلوبهم.

وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، ويؤمنون بقضاء الله وقدره، خير وشره حلوه ومره، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، إلا ما شاء الله كما قال، ويُلجئون أمرهم إلى الله - سبحانه - ويثبتون الحاجة إلى الله في كل وقت، والفقير إلى الله في كل حال.

ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ من قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق.

ويقولون: إن الله - سبحانه - يُرى بالأبصار يوم القيامة، كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون، ولا يراه الكافرون، لأنهم عن الله محبوبون، قال الله عزّ وجلّ: { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } وإن موسى - عليه السلام - سأل الله سبحانه الرؤية في الدنيا، وإن الله - سبحانه - تجلّى للجبل، فجعله دكاً، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة.

ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه، كنعو الزنا والسرقه، وما أشبه ذلك من الكبائر، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون، وإنما ارتكبوا الكبائر والإيمان - عندهم - هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبالقدر خير وشره، حلوه ومره، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطأهم. والإسلام هو: أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، على ما جاء في الحديث، والإسلام عندهم غير الإيمان. ويقولون بأن الله - سبحانه - مقلب القلوب.

ويقرون بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنها لأهل الكبائر من أمته، وبعذاب القبر، وأن الحوض حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، والمحاسبة من الله عزّ وجلّ للعباد حق، والوقوف بين يدي الله حق ويقولون بأن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق، ويقولون أسماء الله هي الله، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله - سبحانه - ينزلهم حيث شاء، ويقولون: أمرهم إلى الله، إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، ويؤمنون بأن الله - سبحانه - يخرج قوماً من

الموحدين من النار، على ما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينكرون الجدل، والمراء في الدين، والخصومة في القدر، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، وينازعون فيه من دينهم، بالتسليم للروايات الصحيحة، لما جاءت به الآثار التي رواها الثقات، عدلاً عن عدل، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يقولون: كيف؟ ولا لم؟ لأن ذلك بدعة. ويقولون: إن الله لم يأمر بالشر، بل نهى عنه، وأمر بالخير، ولم يرض بالشر، وإن كان مريداً له ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله - سبحانه - لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضوان الله عليهم ويقولون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون أفضل الناس كلهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم عليه وسلم .

ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله - سبحانه - ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر؟ كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال الله عز وجل: { فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ } [النساء: ٥٩] .

ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين، وألا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله. ويقولون أن الله - سبحانه - يجيء يوم القيامة كما قال: { وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } [الفجر: ٢٢]، وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء كما قال: { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } [ق: ١٦] .

ويرون العيد والجمعة والجماعة خلف كل إمام، بر وفاجر، ويثبتون المسح على الخفين سنة، ويرونه في الحضر والسفر.

ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - إلى آخر عصابة تقاتل الدجال، وبعد ذلك.

ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وألا يخرجوا عليهم بالسيف، وألا يقاتلوا في الفتنة، ويصدقون بخروج الدجال، وأن عيسى ابن مريم يقتله.

ويؤمنون بمنكر ونكير، والمعراج، والرؤيا في المنام، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم.

ويصدقون بأن في الدنيا سحرة، وأن الساحر كافر كما قال الله تعالى، وأن الساحر كائن موجود في الدنيا.

ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم وموارثتهم ويقولون أن الجنة والنار مخلوقتان.

وأن من مات مات بأجله، وكذلك من قتل قتل بأجله وأن الأرزاق من قبل الله - سبحانه - يرزقها عباده، حلالاً كانت أم حراماً وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويتخبطه وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله بآيات تظهر عليهم وأن السنة لا تُنسخ بالقرآن وأن الأطفال أمرهم إلى الله: إن شاء عذبهم، وإن شاء فعل بهم ما أراد وأن الله عالم ما العباد عاملون، وكتب أن ذلك يكون، وأن الأمور بيد الله.

ويرون الصبر على حكم الله، والأخذ بما أمر الله به، والانتهاز عما نهى الله عنه وإخلاص العمل، والنصيحة للمسلمين، ويدينون بعبادة الله في العابدين، والنصيحة لجماعة المسلمين، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والعصبية والفخر والكبر والإزراء عن الناس والعجب.

ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار، والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المأكل والمشرب فهذه جملة ما يأمرهم به، ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين، وعليه نتوكل، وإليه المصير.

وفي كتب أهل السنة والجماعة تفصيل وأدلة كل مسألة مما تقدم ذكره فارجع إلى كتبهم إن أحببت الاطلاع على تلك التفاصيل.

وقد أورد اللالكائي رحمه الله فصلاً طويلاً عن اعتقاد علماء السلف وعدد أسمائهم وذكر مقالاتهم تحت عنوان ((سياق ما روي عن المأثور عن السلف في جمل اعتقاد أهل السنة والتمسك بها والوصية بحفظها قرناً بعد قرن)) (٢٣٨) .

ثم شرع في بيان اعتقادهم (الصحابة فمن بعدهم) في مسائل العقيدة وقد سار على هذا المنهج عدة من المؤلفين السلف رحمهم الله جميعاً.

\* \* \* \* \*

---

(٢٣٨) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ١،٢ ابتداء من ص ١٥١ ج ١ تحقيق الدكتور أحمد سعيد الغامدي .

## الفصل العاشر

### بيان وسطية أهل السنة

#### في مسائل الاعتقاد وسلامتهم من ضلالي

#### الإفراط والتفريط (٢٣٩)

المتبع لمنهج السلف يجد أن الله تعالى قد هداهم إلى الوسط في عقيدتهم فلا إفراط ولا تفريط قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} (٢٤٠) أي خياراً عدولاً وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((خير الأمور أوسطها)) (٢٤١).

وقد ميز الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بهذه المزية العظيمة وشرفهم بها وهداهم إلى الحق فلا تجد عند المتمسكين بهدي الكتاب والسنة إفراطاً ولا تفريطاً (٢٤٢)، لأنهما أشد مصادر الهلاك والضلal وبسببهما انتشرت البدع والخرافات بل وعبادة غير الله تعالى والشرك به بتزيين الشيطان وخدعه المتنوعة كما وقع لقوم نوح في ود وسواع ويغوث ويعوق ونسراً وكما وقع لغيرهم من بعدهم من الأمم.

وتظهر وسطية أهل السنة في جميع مسائل الاعتقاد سواء ما يتعلق منها بذات الله عز وجل أو بصفاته.

ويتبين فيما يلي:

وسطيتهم بين الأمم الكافرة أصحاب الديانات الوضعية.

وسطيتهم بين الفرق التي تنتسب إلى الإسلام.

### ١ - وسطيتهم بين الأمم الكافرة:

ويظهر هذا بوضوح عند المقارنة بين مفهوم الذات الإلهية في عقيدة أهل السنة وفي عقائد غيرهم.

(٢٣٩) ارجع لمزيد الفائدة لرسالة الدكتوراه - وسطية أهل السنة بين الفرق - د. باكريم .

(٢٤٠) سورة البقرة: ١٤٣ .

(٢٤١) انظر كشف الخفاء للعجلوني ١ / ٤٦٩ .

(٢٤٢) الإفراط هو مجاوزة الحد في الشيء والتفريط هو التقصير في الشيء وتضييعه .

## أ- وسطيتهم بالنسبة للإيمان بذات الله تعالى:

فإن الله تعالى في عقيدة أهل السنة لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء فذاته بخلاف ما يتصور العقل، له ذات تليق بجلاله وله صفات تليق بجلاله وله أسماء تليق بجلاله حتى ولو كانت صفاته وأسماءه قد أطلقت على المخلوق فإن العقل يدرك تماماً أن مجرد الاتفاق في التسمية لا يدل على المماثلة وهو واضح في المخلوقات تمام الوضوح فكيف بالخالق سبحانه وتعالى ولقد ضلت سائر الملل عن هذا المنهج<sup>(٢٤٣)</sup> فبعضهم وصف ذات الله تعالى بأنها كذوات خلقه وهم اليهود، والمشبهة وبعضهم وصفوا غير الله تعالى بذات الله كالنصارى حينما ادعوا أن المسيح ابن الله وأنه إله، واليهود وصفوه عزّ وجلّ بأنه قد كبر وشاخ ولم يعد قادراً على تصريف الأمور إلا بمشورة موسى عليه السلام<sup>(٢٤٤)</sup> كما تدل على ذلك التوراة ونصوص التلمود وتصريح زعماء إسرائيل ووصفوه بالنقص وألقوا العيوب به فلا فرق بينه وبين خلقه تعالى في مفاهيم المنحرفة.

ولكن عند المسلمين هو سبحانه: ((أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)).

وقرروا أن الكلام في الصفات فرع عن معرفة الذات فكما أن ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين وهذا المفهوم السهل الواضح وهو ما عناه الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ولولا ظهور الشبهات واستحواذ الشياطين على عقول المخالفين لكان تصور ما تقدم يكفي لردهم إلى الحق.

## ب- وسطيتهم بالنسبة للإيمان بالأنبياء :

وأهل السنة وسط في ما يتعلق بأنبياء الله تعالى فهم يؤمنون بأنهم بشر مثل سائر البشر شرفهم الله بوحيه ورسالته وأنهم أطهر الناس وأعقل الناس ولكن لا يرفعونهم فوق مرتبتهم ولا ينزلونهم عن قدرهم ويؤمنون أنهم لا يعلمون الغيب ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا بإذن الله.

بينما تجد التوراة مملوءة بذكر عيوب أنبياء الله وأنهم حسب إفك كتاب التوراة من أحرص الناس على المال وأشدهم طلباً ولو كان سبيل ذلك تقديم العرض كما يكذبون على خليل الله

<sup>(٢٤٣)</sup> يوجد لكاتب هذه الأسطر مؤلف في عقائد اليهود والنصارى بالتفصيل فارجع إليه إن شئت .  
<sup>(٢٤٤)</sup> وذلك حينما صرحت رئيسة وزراء إسرائيل في حرب الأيام الستة بقولها إن أميركا هي إله إسرائيل .

إبراهيم وزوجته سارة وأنهم- وحاشاهم- زناة كما يكذبون على لوط ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم وبينما تجد هذا البهت عند اليهود تجد أن النصارى قابلوهم بالضد فادعوا لبعض الأنبياء وغيرهم الألوهية كعيسى عليه الصلاة والسلام وأمه وروح القدس.

ثم غلوا في علمائهم فأنزلوهم منزلة الخالق في التشريع والتحليل والتحريم كما أخبر الله عنهم وبرأ الله المسلمين من ذلك كله وأهل السنة والجماعة في قمة التوسط في نظرهم إلى علمائهم على حد قول الشاعر:

**ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد \*\*\* كلا طرفي قصد الأمور ذميم**

وما أكثر ما كان يقول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (( لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ))(٢٤٥).

كما نجد في القرآن الكريم أكثر من آية يوجه الله الخطاب فيها إلى أهل الكتاب ويذمهم بسبب غلوهم في الأنبياء وفي عبادتهم التي قامت على الإفراط والتفريط اتباعاً لما تمليه عليهم الشياطين.

### **ج- وسطيتهم في عبادة الله تعالى:**

سلك أهل السنة مسلكاً صحيحاً يؤيده الكتاب والسنة حيث عبدوا الله بما شرع لهم في كتابه أو في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم لا يزيدون في عبادتهم ولا ينقصون كما شرع لهم ربحهم، ولا يشرعون لأنفسهم عبادة لم يؤيدها الدليل في كل جزئية من أمور العبادة البدنية أو القولية بينما تجد من خرج عن هدى الإسلام قد جعل إلهه هواه وأهل الكتاب هم القمة في هذه الصفة الذميمة.

فاليهود -وهم أهل تفلت وتحريف واستكبار- نجدهم من أشد الناس ابتعاداً عن العبادة حسب ما شرع الله لهم ومن أشد الناس كسلاً عنها، فقد أمرهم الله أن يدخلوا الباب سجداً فدخلوه زحفاً على أعقابهم وأمرهم أن يقولوا حطة فقالوا حنطة بل وأمرهم أن يدخلوا فلسطين فقالوا لموسى: (( اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون )) بل وأمرهم الله تعالى أن يعبدوه فعبدوا العجل والحية نخشتان وآلهة أخرى.

(٢٤٥) أخرجه البخاري مع الفتح ج ١٢ ص ١٤٤ .

ولهذا وصفهم موسى عليه الصلاة والسلام بأنهم أصلاب غلاط الرقبة عصاة أصحاب عناد واستكبار وحب للفتن.

ووضعهم اليوم في فلسطين مع جيرانهم أقوى شاهد على هذا السلوك البغيض منهم فإنهم لا يعيشون إلا في الفتن وتأجيجها وفي التفنن في المؤامرات.

وأما النصارى فهم بصد اليهود غلوا في العبادة والتقرب إلى الله حتى خرجوا عن منهج الله وأمره بتزيين الشيطان لهم وحرموهم على أنفسهم ما أحل لهم وابتدعوا رهبانية لم يستطيعوا القيام بها. وقد وصف الله هذا السلوك الأحمق بقوله تعالى: { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } (٢٤٦).

#### د- وسطيتهم في صفات الله تعالى بين أصحاب الأديان المحرفة:

من أصول أهل السنة والجماعة في باب الصفات:

- وجوب الإيمان واليقين بجميع أسماء الله وصفاته كما وردت بألفاظها الشرعية نفيًا وإثباتًا بينما نجد المشركين وأهل الكتاب في غاية البعد عن التزام ذلك.
  - وأن لا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه في كتابه الكريم أو على لسان نبيه العظيم ولا يجوزون اختراع أسماء أو صفات لله تعالى لم ترد في الوحيين.
  - الإيمان بمعاني الصفات وقطع الطمع عن البحث في كيفيةها.
  - الإيمان بأن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر.
  - الإيمان بأن الكلام في الصفات فرع عن معرفة الذات.
- وهذه الأمور المجملة عن عقيدتهم في هذا الجانب هو الذي يتفق ونصوص الشرع ويرتاح العقل إلى قبوله، فهو أمر منطقي لا تكلف فيه ولا هضم وهو الذي عاد إليه المنتطعون من أصحاب علم الكلام وأقروا به وأذعنوا وندموا على مخالفتهم<sup>(٢٤٧)</sup> له بسبب تشبعهم بفلسفة اليونان وحكمائهم الجاهلين.

(٢٤٦) سورة الحديد : ٢٧ .

(٢٤٧) كالجويني والرازي وغيرهما .

وهذه العقيدة سهلة وواضحة بعيدة عن التصورات الباطلة ولهذا فقد أراحوا أنفسهم من الدخول في ظلمات الشكوك والتخيلات التي لا تقف عند حد فتجدهم يعبرون عن معتقدتهم في هذا الباب بأنهم يؤمنون بكل ما أخبر الله عنه في كتابه أو أخبر عنه نبيه صلى الله عليه وسلم من صفات عليا.

ويعرفون معنى كل صفة ويفوضون في الكيفيات ويعلمون أن صفات الله لا تشبه صفات خلقه معتمدين قوله عز وجل: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (٢٤٨). وينفون عنه كل صفة تشعر بالذم أو لم ترد في الكتاب ولا في السنة ويتوقفون في إطلاق الأسماء والصفات عليه جل وعلا إذا لم ترد في الكتاب والسنة.

وهذا بخلاف ما عليه من أهل الكلام ممن ينتسبون إلى الإسلام وممن لا ينتسبون إليه مثل اليهود والنصارى فإن اليهود: وصفوا الله تعالى بصفات النقص والدم ومثله بخلقهم وقد أخبر عز وجل عنهم أنهم وصفوه بالبخل قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} (٢٤٩) ووصفوه بالفقر كما قال تعالى عنهم {لقد كفر الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ستكتب شهداتهم} (٢٥٠) ووصفوه في التوراة وفي التلمود بأنه يتعب ويندم ويكي ويلهو مع حواء ويعقد شعرها ويلعب مع السمكة الكبيرة وأنه يقرأ التوراة كل يوم وقبل النوم وأنه لا يعرف الأشياء إلا بعد وقوعها وأنه مثل الإخطبوط وأنه يكتب بالقلم ووصفوه بالنسيان الكثير والوقوع في الأخطاء والتوبة منها وغير ذلك من الصفات التي ملئت بها التوراة مما لا يتسع المقام لبسطه هنا. ولم ينتشر التشبيه والتجسيم إلا من قبل اليهود المفترين، وأما النصارى فإنهم في صفات الله تعالى على وفق ما عليه الوثنيون لأن النصرانية التي أحدثها بولس هي عين الوثنية ولهذا راقى في نظر قسطنطين وسائر الوثنيين من أباطرة الرومان فتظاهروا بأنهم على النصرانية.

وقد مدحوا بعض من يؤلهونهم بكل صفات الله تعالى وتقدس كما ادعوا في المسيح عليه السلام وادعوا أن لله ولداً وصاحبة -المسيح وأمه- وأن المسيح يجلس إلى جوار أبيه وأنه وحيد

(٢٤٨) سورة الشورى : ١١ .

(٢٤٩) سورة المائدة : ٤٦ .

(٢٥٠) سورة آل عمران : ١٨١ .

الله تعالى وغير ذلك من عقائدهم الباطلة التي تبرأ منها المسيح ومن معتقديها في الدنيا والآخرة كما بين الله تعالى ذلك في كتابه الكريم.

## ٢- وسطيتهم بين الفرق التي تنتسب إلى الإسلام:

تعددت الفرق الإسلامية وتباينت مفاهيمهم وادعت كل طائفة أنها هي التي على الحق وغيرها على الباطل.

وقد تقدم أنه لا عبرة بادعاء أي طائفة وأن العبرة إنما هي بعرضها على الكتاب والسنة فما وافقهما فهو على الحق وما خالفهما فهو على الباطل كائناً المخالف من كان وكان لأهل السنة بتوفيق الله موقفهم المتميز بين تلك الفرق كلها.

وسيجد القارئ إن شاء الله ما يوضح له الحق ويبين له وسطية أهل السنة في مسائل العقيدة بالنسبة للفرق الأخرى ممن ينتسبون إلى الإسلام من خلال ما يلي:

### ١- وسطيتهم بالنسبة لأسماء الله تعالى وصفاته بين الفرق المنتسبة إلى الإسلام:

موضوع الأسماء والصفات من أهم مواضيع العقيدة ومن أكثرها مجالاً لخلافات الناس ولقد كانت من أسهل المواضيع ومن أقلها إشكالاً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن خلفائه الكرام ولهذا لم يبحثوها ولم يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لعلمهم التام وعقولهم الراجحة ومعرفتهم أن الكلام في الصفات فرع عن معرفة الذات حتى إذا ما ظهر قرن الشيطان من وراء علوم اليونان وفلسفاتهم وعلوم الكلام ومتاهاته. فإذا بها كما وصف المتنبي شعره ولغته ((ويسهر الخلق جراها ويختصم)).

وأخذ الخلاف فيها أشكالاً عديدة ووقعت الفتن التي لا يعلم مداها إلا الله وحده ولا يزال المسلمون يجتزون آثارها إلى اليوم في مناقشات ومجادلات عقيمة سخيفة لا تسمن ولا تغني من جوع ولا يزداد بها الشخص إلا جهلاً وضلالاً وبعداً عن الفهم الصحيح لحقيقة الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، وتظهر وسطية أهل السنة في باب الأسماء والصفات بمقارنة عقيدتهم بعقائد المخالفين من الفرق ذلك أن أهل السنة يؤمنون بأن لله أسماء وصفات حسنى وصف بها نفسه في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه العظيم آمن بها السلف كما وردت من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل.

- الصحيحة والمعتقد الأسلم والأعلم والأحكم التي حاد عنها أصحاب الأهواء والبدع عقوبة لهم على تركهم الكتاب والسنة وطريق المؤمنين وتقديمهم لأفكار الملاحدة من عتاة الحضارة اليونانية والهندية وغيرها وإذا نظرنا إلى عقائد أصحاب الأهواء والانحراف فسنجد أن بينهم وبين عقائد أهل السنة تفاوتاً بعيداً وتعارضاً صارماً، أما أهل التعطيل، فقد كان إيمانهم بصفات الله تعالى على أسوأ الاضطراب فقد نفوا عن الله تعالى اتصافه بالأسماء أو بالصفات بحجة تنزيه الله تعالى عن التشبيه كما قرره زعيمهم الجهم بن صفوان في أن إثبات أي صفة أو اسم لله تعالى فيه مشابهة لله بخلقه وهو كفر حسب زعمه فيجب عدم إثباته.

ومذهب الجهمية هذا كان أصح من مذهب المعتزلة الذين أثبتوا أسماء الله تعالى ولكنهم نفوا صفاته ونفوا أن تدل الأسماء على معان ومدلولات وقد أرجعوا الصفات إلى الذات فقالوا سميع بذاته عليم بذاته... الخ.

وهذا الموقف الباطل يلحقهم بالجهمية إذ أن النتيجة واحدة وهي نفي الصفات ومدلولاتها. وأما الأشاعرة فقد تناقض موقفهم حيث أثبتوا الأسماء وبعض الصفات ثم أولوا أو نفوا بعضها الآخر أو أرجعوها إلى الإرادة والمشية لا غير ومعلوم أن ما نفوه عن الله تعالى يعتبر تعطيلاً ويلزمهم أن يقولوا فيما نفوه مثل قولهم فيما أثبتوه وإلا كان إثباتهم ونفيهم تحكماً بلا دليل صحيح ومن هنا كان هؤلاء محل نقمة جميع الفرق عليهم أهل السنة والمعتزلة والجهمية وإذا كان من تقدم ذكرهم عطلوا الله تعالى عن ما يستحقه من معاني الأسماء الحسنى والصفات العليا فقد قابلهم فريق آخر من أصحاب الأهواء وهم المشتبهة ومذهبهم أن الله عز وجل في صفاته وأسمائه مثل الإنسان تماماً وذهب غلاتهم كهشام بن الحكم الرافضي وهشام بن الحكم الجواليقي ومقاتل بن سليمان وداود الجواربي وغيرهم إلى وصف الله عز وجل بأوصاف يتنزه عنها جل وعلا افتروا فيها على الله تعالى وطرقوا باباً حجبه الله عن الخلق وكل تلك الآراء مجانبة للحق بعيدة عن الصواب لأنها قامت على غير أساس ثابت {وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ} بسبب إعراضهم عن الحق الذي هدى الله إليه السلف وبسبب تشبههم بعلم الكلام والفلسفة والمنطق وظنهم أنهم على شيء وأنهم أوتوا علماً غزيراً {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ

بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون} (٢٥١) ومعلوم بالعقل أن الله تعالى لو سأل الشخص وقال له لماذا أثبتت لي الأسماء والصفات فأجابه بأني آمنتُ بها كما نطقتُ بها لكان هو الجواب الحق وهو أمر بدهي و لولا تنطع أصحاب الأهواء لما توقف أحد عن الإيمان بهذا فإن الله تعالى أعلم بنفسه وبما وصفها به من صفات عليا وأسماء حسنى وله المثل الأعلى.

فأهل السنة أثبتوا الأسماء والصفات دون أن ينساقوا إلى التشبيه بل لم يخطر في أذهانهم أن إثبات الأسماء والصفات يستلزم المشابهة والمماثلة لمعرفةهم أن الاتفاق في التسميات لا يلزم منه الاتفاق في الذات كما أنهم لم يعطوا الله تعالى عن دلائل أسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه بل أثبتوا من الأسماء والصفات ودلائلها كما يليق به تعالى وهو المسلك الحق الذي يجب اتباعه ونبذ ما عليه المعتلة والمشبهة أهل الإفراط والتفريط ومثل وسطية أهل السنة والجماعة في هذا الباب ووسطيتهم كذلك في الأمور الأخرى مثل ما يتعلق بأهل المعاصي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

## ٢- وسطيتهم في الحكم على أصحاب المعاصي:

وتظهر وسطية أهل السنة في أصحاب المعاصي من خلال معرفة حكمهم عليهم في الدنيا والآخرة وحكم المخالفين عليهم في الدنيا والآخرة أيضاً.

فما هو حكم أصحاب المعاصي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم عند أهل السنة؟

والجواب: عند أهل السنة حكم العاصي في الدنيا أنه لا يخرج عن اسم الإسلام ويقال له مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وأما في الآخرة فحكمه إلى الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عاقبه ولا يخلد في النار مثل سائر الكفار إن دخلها، وهذا هو الذي تجتمع عليه النصوص من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

أما غير أهل السنة فكانوا بين إفراط وتفريط في الحكم على العاصي فقد حكم عليه بعضهم كالخوارج بأنه كافر في الدنيا ومخلد في الآخرة في النار أو هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا فلا هو مؤمن ولا هو كافر ولكنه في الآخرة مخلد في النار، وهذا حكم المعتزلة وقابلت الجميع المرجئة فحكموا بإيمانه إيماناً كاملاً في الدنيا وهو في الآخرة مع النبيين الصديقين والشهداء.

وحجة الجميع تتفق في أنهم يرون أن الإيمان كشيء واحد لا يتبعض فلا يزيد ولا ينقص فإما يكون الشخص عاصياً -والعاصي ليس بمؤمن- وإما أن يكون طائعاً -وهو المؤمن- وحكم الكافر والمؤمن معروفان في الإسلام.

وبالتأمل في موقف أهل السنة من أصحاب الذنوب وموقف من سواهم ممن ذكرنا تتضح بجلاء وسطية أهل السنة وصدق قول الله تعالى فيهم: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} (٢٥٢).

### ٣- وسطيتهم في الإيمان بالقدر :

كما تظهر وسطيتهم في كل الأمور العقديّة الأخرى التي خالف فيها أصحاب الأهواء والبدع ومنها قضية الإيمان بالقدر فإن قضية القدر من المسائل الشائكة التي يجب فيها التسليم والرضى. وكان لأهل السنة موقفهم الذي يعضده النقل معاً فقد تأكد في مذهبهم أن القدر سر الله تعالى وأن الواجب على المسلم الإيمان به دون تعمق لما وراء الأدلة وترك الاحتجاج به على فعل المعاصي والإيمان بتقدير الله تعالى لكل الأمور بمشيئته، وأن الله هو الخالق لكل شيء بما فيها أفعال العباد ولكنها لا تسمى فعل الله بل هي أفعال العباد والله هو الذي أقدرهم على فعلها ولو شاء لما فعلوها كما قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا} (٢٥٣) وهي مشيئته الكونية العامة وهذا بخلاف ما تقوله الجبرية الذين يرون أن الله هو الخالق لها ثم يضيفون قولهم الخاطيء أن العباد لا قدرة لهم على الفعل وإنما هم كريحة في مهب الريح وأن الخالق والفاعل معاً هو الله تعالى ومن هنا نشأ خطأهم ، وكذلك خطأ القدرية الذين زعموا أن العبد هو الخالق لفعله وقدرته وإرادته دون أي تدخل من الله تعالى ومن هنا وصفوا بأنهم يثبتون خالقين مع الله تعالى مشابهة للمجوس، وأهل السنة توسطوا في ذلك كما عرفت سابقاً فأثبتوا مشيئة الله الكونية والشرعية وقدرة الله على كل شيء وأثبتوا أن العبد له قدرة ومشية لا تخرج عن مشيئة الله تعالى وقدرته وهو الفاعل للفعل حقيقة.

وموقف القدرية والجبرية الخاطيء يعود إلى عدم فهمهم لإرادة الله ومشيئته فهماً صحيحاً على الطريقة التي سار عليها السلف وهي الإيمان بأن الله مشيئة وإرادة لا يخرج أي شيء عنهما فما

(٢٥٢) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٢٥٣) سورة البقرة : ٢٥٣ .

شاء كان وما لم يشأ لم يكن ثم يعود كذلك إلى عدم تفريقهم بين الإرادة والمحبة ذلك أن الإرادة إما أن تكون كونية وهي الإرادة العامة لجميع الموجودات ودليلها قوله عز وجل: { وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } (٢٥٤) وإما أن تكون الإرادة شرعية وهي التي تتعلق بمحبة الله تعالى ورضاه عن الشيء كقوله تعالى: { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ } (٢٥٥) وأهل السنة يؤمنون أن الإرادة الكونية هي التي تعلق بكل شيء حتى معصية العاصي فلا يلزم منها التفرقة بين ما يحبه الله وما لا يحبه. أما الإرادة الشرعية فهي التي تعلق بمحبته ورضاه فهو وإن كان قدّر وقوع الشر كوناً لكنه في الإرادة الشرعية لم يرضه ولم يحبه فهو لا يجب الظالمين ولا الفاسقين ولا العاصين. أما بالتأمل في مذهب المخالفين فنجد أن المعتزلة لا يفرقون بين الإرادتين الكونية والشرعية فيعتقدون أن كل ما أَرَادَهُ اللهُ فقد أحبه.

وبذلك توصلوا إلى أن المعاصي لا يريدّها الله تعالى ولا يجبها وبالتالي فلم يأمر بها ولا إرادة له في وقوعها وإلا لكان مريداً للمعاصي وبالتالي فلا يعاقب عليها حسب زعمهم.

بينما ذهب الجبرية إلى عدم التفريق بين الإرادتين أيضاً ولكنهم ناقضوا المعتزلة فقالوا كل ما يقع من أفعال خيرة كانت أم شريرة طاعة أم معصية كلها بإرادة الله تعالى ومحبه ورضاه وإلا لما وقعت فاحتجوا بالقدر على أفعالهم كالمشركين الذين احتجوا بمشيئة الله ورضاه على وقوعهم في الشرك وفي التحليل والتحريم. وبالتأمل في مذهب أهل السنة والمخالفين لهم يتضح تماماً وسطية أهل السنة بين غلو القدرية والجبرية وعدم وقوف القدرية والجبرية عند الحق الذي هدى الله إليه أهل السنة بلطفه وكرمه.

#### ٤- وسطيتهم في موقفهم من الصحابة رضي الله عنهم

وكما توسط أهل السنة في تلك المعتقدات السابقة توسطوا أيضاً في قضية أخرى تتعلق بالصحابة رضوان الله عليهم وقبل بيان هذا الجانب أقول أن العقل لا يكاد يتصور أن يمس جانب الصحابة بأدنى أذى احتراماً لهم وتوقيراً واعترافاً بجميل ما قدموه للبشرية جمعاء وأياً كان

(٢٥٤) سورة البقرة : ٢٥٣ .

(٢٥٥) سورة النساء : ٨٢ .

الحال فقد وقعت الخصومة فيهم بين مختلف الطوائف التي تنتسب إلى الإسلام وكان لأهل السنة موقفاً مشرفاً منهم كانوا به وسطاً فيهم فكيف تم ذلك؟

وقف أهل السنة بالنسبة للصحابة بين غلو الغالين وتقصير المخالفين وقد تميز موقفهم منهم بأمور كثيرة منها:

- ١- أن الصحابة هم خير البشر بعد محمد صلى الله عليه وسلم .
- ٢- الاعتراف بكل ما ذكر عنهم من الفضائل في القرآن والسنة وأقوال أهل العلم.
- ٣- السكوت عما شجر بينهم من اختلاف وفتن داخلية ولا نذكرهم إلا بخير.
- ٤- الشهادة بالجنة لمن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بها أو جاءت في القرآن.
- ٥- الاعتراف بأنهم كلهم على فضل ولكنهم يتفاضلون فيما بينهم وأن أفضلهم على الإطلاق أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم جميعاً دون انتقاص لفضل كل منهم وأن خلافة كل واحد منهم ثابتة على النهج الصحيح وأن من أسلم قبل الفتح وبيعة الرضوان أفضل ممن أسلم بعد ذلك.
- ٦- الاقتداء بهم والتحلي بفضائلهم واقتفاء آثارهم.
- ٧- لا نرفع أحداً منهم فوق منزلته ولا ندعي له فضائل لم تثبت وهم في غنى عن مدحهم بما لم يثبت يهم.
- ٨- الإيمان بأن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم طاهرات مطهرات وأنهن أمهات المؤمنين ويؤمنون بوجوب محبة أهل البيت ويقدمونهم وفق وصية النبي صلى الله عليه وسلم بهم دون إفراط ولا تفريط.
- ٩- لا يدعون عصمة أي شخص كائناً من كان مع الاعتقاد أن من جاء بعدهم لا يصل إلى جزيل ما أعد الله لهم من الثواب لأن مُدَّ أحدهم خير من إنفاق مثل جبل أحد ذهباً من غيرهم.
- ١٠- لا يكفرون أحداً من الصحابة ولا اعتبار للمرتدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .
- ١١- يتولون الصحابة كلهم ويترضون عنهم بخلاف الرافضة وغيرهم من الفرق الضالة وبهذه المزايا التي اتسم بها أهل السنة كانوا وسطاً فيما يتعلق بجانب الصحابة وستتضح وسطيتهم من خلال ما تلاحظه في مواقف المخالفين لهم فيما يأتي:

فالخوارج كَفَرُوا الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكفروا كل من شارك في قضية التحكيم وتبرؤوا منهم بل وأوجبوا لهم النار كما تبرؤوا من الحسن والحسين وكفروا الخليفة ذي النورين أيضاً رضي الله عنه وكذا طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم جميعاً وهذا الموقف منهم غاية في الغلو المذموم وجرأة ممقوتة على هؤلاء الأخيار وقد تبعهم في هذا الموقف الشنيع بعض كبار المعتزلة كواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد حيث قالوا بفسق أصحاب الجمل وعلي ومعاوية ومن معهم من أهل صفين ومن عثمان كذلك رضي الله عنه، وهذا قول عمرو بن عبيد وأما شيخه واصل بن عطاء فقد قال بفسق أحد الفريقين دون تعيين كما تبرأ المعتزلة من معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما وبالجملة فإن المعتزلة كان موقفهم من الصحابة قريب من مواقف الخوارج في غلوهم متناسين ما قدمه أولئك الفضلاء من خيرٍ لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بل غلبوا ما تصوروه عنهم من بعض المواقف التي لم يفهموا تفسيرها أو كانت تخالف آراءهم الاعتزالية فوقفوا منهم تلك المواقف الشنيعة وخالفوا ما أمرهم الله به من الاستغفار والترحم والترضي على من سبق بالإيمان فضلاً عن خيرة الناس بعد الأنبياء والمرسلين. وأما الرفضة فقد كان موقفهم من صحابة نبي الله صلى الله عليه وسلم سبة وعاراً فقد وصلوا في حقهم وغبائهم أن شتموا الصحابة بل وتقربوا بسبهم إلى الله تعالى ولهذا كان النصارى أعقل منهم حين قيل لهم من خير أهل ملتكم؟ فقالوا أصحاب عيسى وكان اليهود أعقل منهم حين قيل لهم من خير أهل ملتكم؟ قالوا أصحاب موسى أما الرفضة فإنهم لو قيل لهم من شر أهل ملتكم لقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عليه ولهذا نجد كثيراً من المسلمين الذين هم على الفطرة يترضون عن جميع الصحابة وما أن يدخل الشخص في مذهبهم إلا وأصبح لعن الصحابة وخصوصاً من شهد له الله تعالى بصحبة نبيه من أول التزاماته العقديّة.

فما الذي سيجنه المسلمون من شخص يزعم أنه مسلم وهو عدو مبين لسلف هذه الأمة مقتدياً بابن سبأ والحاقدين من أصحاب الديانات التي قضى عليها الفتح الإسلامي على أيدي الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وإذا كان موقفهم تجاه الصحابة كله موقف عداوة وبغض وشتم فإن موقفهم تجاه أهل البيت وعلي بخصوصه أشد شناعة وعداوة وإن كان ظاهرهم أنهم يحبونهم ويتشيعون لهم ذلك أن التاريخ كله يشهد بأن أكثر المآسي وأفدحها التي وقعت لأهل البيت كان

وراءها عقول الرافضة وسيوفهم ابتداء بأمر المؤمنين علي رضي الله عنه وابنه الحسين ومن جاء بعده من أهل البيت الذين استدرجهم الرافضة للخروج على الدولة الأموية ثم خذلانهم في أخرج المواقف كما وقع لمسلم بن عقيل والحسن بن علي وزيد بن علي بن الحسين وابنه يحيى وغيرهم. ولقد غلا الرافضة غلواً فاحشاً في حق علي رضي الله عنه ورفعوه إلى منزلة أحرق من قال بها في حياته وهي تأليههم له.

فقد فضلوه على سائر الصحابة وادعوا أنه سيرجع قبل يوم القيامة وأنه خير الأوصياء وأنه لم يجمع القرآن كما أنزل إلا هو.

وأن أهل بيته كلهم من الأئمة المعصومين عن الذنوب والخطايا وأنهم يعلمون الغيب وأنهم لا يموتون إلا بإذنهم وإرادتهم وأنهم أفضل من الأنبياء والمرسلين وعندهم الجفر والجامعة ومصحف فاطمة وأنهم يوحى إليهم وغير ذلك من غلوهم الفاحش المدون في كتبهم يتوارثونه خلفاً عن سلف كما في كتابهم الكافي للكليني وغيره.

وفي المقابل صبوا جام غضبهم على الخلفاء الثلاثة وأم المؤمنين عائشة وحفصة وسائر الصحابة وأنهم حسب افتراءهم ارتدوا عن الإسلام وخصوصاً من حضر غدير خم لعدم مبايعتهم علي بن أبي طالب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ولولا أن الحديث لا يتطلب تفصيل هذه الافتراءات والأباطيل لكان إثبات ذلك عنهم من مراجعهم من أيسر الأمور فليرجع إليها الباحث عن الحق النهم بالمعرفة ليقف على كل ضلالات الرافضة وخروجهم عن الحق وليظهر له توسط أهل السنة والجماعة في موقفهم من كل صحابة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفيما تقدم إشارة كافية للبيب . (٢٥٦)

(٢٥٦) ارجع لمزيد من التفصيل كتاب وسيطة أهل السنة بين الفرق د. محمد باكريم وإلى دراستنا للرافضة ضمن هذا الكتاب فرق معاصرة .

## الفصل الحادي عشر

### علامات وسمات الفرقة الناجية

### وعلامات وسمات الفرق الهالكة

### مزايا العقيدة السلفية وأصحابها

امتازت عقيدة السلف بمزايا عظيمة ميزتهم عن جميع العقائد التي قامت على الهوى وما أفرزته العقول البشرية.

لأن العقيدة السلفية مصدرها غير مصدر العقائد البدعية فلا بد أن يحصل بينهم التمايز وإضافة إلى أنها قامت على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإنها لم تدنس بعلم الكلام والمنطق وسائر ما أفرزته عقول فلاسفة اليونان وغيرهم بل هي عقيدة نقية تملأ النفوس يقيناً وطمأنينة وأتباعها يعظمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يجتمعون عليها ولا يتفرقون في ثبات عظيم كثبات عقيدتهم الناصعة التي رضيها الله عزّ وجلّ وهدى أعباءه إليها.

فقد انعكست هذه العقيدة بصفاتها على معتنقيها فصاروا أثبت الناس على الحق بخلاف أهل الأهواء الذين تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه وسبب ثباتهم يعود إلى يقينهم بصحة ما هم عليه واقتناعهم به وهم من أكثر الناس اتفاقاً وأقلهم اختلافاً لأن هدفهم أصبح واحداً وتفكيرهم واحداً وهذا التوحد سببه تمسكهم بعقيدة واحدة وثقتهم أن السلف من قبلهم كانوا على الحق والصراط المستقيم فاحتدوا أثرهم وسلكوا مسالكهم وأخلصوا في نشر عقيدتهم فملأت الدنيا نوراً وأخرج الله بهم أقواماً من الظلمات إلى النور ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام وكانوا أمة وسطاً عدولاً يستحقون ثناء الله وثناء رسوله عليهم وكانوا من أحرص الناس على اجتماع الكلمة وعدم التفرق في الآراء والأفكار ولا أدل على هذا من أن بعضهم كان إذا اختلف مع آخر في قضية واشتد الخلاف بينهم وخشي أن تكون فتنة كان يترك خلافه لأخيه حباً في اجتماع الكلمة وكراهية للتفرق كما يذكر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولهذا استحقوا أن يسموا أهل السنة والجماعة وهما وصفان يدلان على أفضليتهم وحسن ما هم عليه من السلوك الحميد والمعتقد السليم.

وإذا كنا نذكر سماتهم هنا وسمات غيرهم من أهل الأهواء فإنما ذلك على حد ما قال الشاعر ((وبضدها تتميز الأشياء)) والناظر في مذهب السلف والخلف يجد لكل منهم علامات تميزهم نابعة عن اعتقاد كل منهم لأنه كما يقال ((كل إناء بالذي فيه ينضح)). فلأهل السنة علامات وصفات ولغيرهم من المخالفين علامات وصفات ولا تشكل على طالب العلم التمييز بينها.

فإن المتتبع لسلوك السلف سيجد أنهم تميزوا بصفات كثيرة منها:

١. أنهم أعرف الأمة بالحق.

٢. وأرحم الأمة بالخلق.

٣. وأرحم الناس بخصومهم من بعضهم البعض.

٤. ومن أشد الناس رجوعاً إلى الحق وانقياداً له ووقوفاً عنده.

٥. ومن أشدهم رحابة صدر ودمائة خلق وتسامح وإنصاف في حال قدرتهم على المخالفين لهم.

٦. ومن أكثرهم تواضعاً وتلطفاً وأبعدهم عن السباب والفحش وسيء الأخلاق.

٧. لا يشمتون بأحد ولا يظهرون الاستهزاء إلا بالقدر الذي يتبين به غرضهم من الرد على المخالفين إن كان ذلك ضرورياً.

ولقد كانت لهم مواقف تشهد بنبل أخلاقهم وحبهم للتسامح والشفقة على المخالفين يتمثلون ما كان عليه نبيهم الكريم من الصبر حينما كان يؤذيه قومه وهو يقول: ((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)) (٢٥٧).

والأمثلة على هذا كثيرة سجلها التاريخ لهم وتاريخ الصحابة مليء بالأمثلة المشرفة ومن ذلك:

- مواقفهم في سقيفة بني ساعدة.

- مواقفهم تجاه أهل الذمة.

- مواقفهم في حال الحرب مع المخالفين.

- مواقفهم في الحفاظ على العهود والمواثيق.

وكان نصيب الخلفاء الراشدين من تلك الصفات القمة والحظ الأعلى ومن اطلع على تاريخهم عرف ذلك فهذا الخليفة الصديق صاحب النبي صلى الله عليه وسلم كان من أشد الناس شفقة ورحمة بالمخالفين له وفي غاية التسامح مع كل من أساء إليه يبادر بالعفو إذا ذُكر به مهما كان الحال.

وقصته مع مسطح خير دلالة على ذلك فإنه حين غضب عليه لمشاركته مع أصحاب الإفك وكان ينفق عليه آلى على نفسه أن لا يُنفق عليه بعدها فلما أنزل الله تعالى: ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ (٢٥٨) فرجع ينفق عليه حباً في مغفرة الله.

ومواقف أخرى عديدة كلها تدل على تأصل هذه الصفة في نفسه، ومثل موقفه حين تشاجر مع عمر وشكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم على عمر واحمر وجهه وأخذ يعاتبه حتى أشفق أبو بكر على عمر وهدأ من غضب الرسول صلى الله عليه وسلم شفقة بعمر رضي الله عنهما.

وكذلك عمر الفاروق رضي الله عنه فقد كان من أشد الناس رحمة على رعيته وأبنائه، وكل المسلمين كانوا عنده كأنهم رجل واحد يتعهد فقراءهم فيواسيهم ويرشد ضالهم ويعلمه وقصته مع المرأة التي باتت تعلق بنيه بالماء فوق النار توهمهم أن بها أكلا ليناموا فلما وقف عليها عمر رضي الله عنه وسألها عن حالها وشكت فقرها فذهب وجاء بالدقيق والمسن وكان ينفخ النار والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضج لهم الطعام ولم ينصرف إلا والأطفال يلعبون فرحين من الشبع.

وكان من رحمته برعيته أنه كان يبذل النصيحة ويرشد المخطئ حتى في أخرج المواقف فقد دخل عليه رجل يعود حين طعنه أبو لؤلؤة المجوسي فلما خرج الشاب رأى عمر أن ثوبه طويل فاستدعاه وهو في تلك الحال التي كان يجود بنفسه فيها وقال له ارفع ثوبك يا ابن أخي فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك.

وما فعله مع صبيغ من تأديبه لإرجاعه إلى الحق وغير ذلك من المواقف التي تدل على رحمته وحبه للمسلمين.

وكذلك عثمان رضي الله عنه وما كان يتصف به من الرقة والحياء والكرم أمر مشهور في كتب التاريخ فقد كان سريع العفو لا ينتقم لنفسه محباً للعافية تجاه رعيته فقد واساهم في زمن المجاعة ابتغاء مرضاة الله بقافلة من الشام وقعد لتمريض زوجته رضي الله عنهما بل عفا عن البغاة الذين أتوا للنقمة عليه في المدينة.

ومثلهم علي رضي الله عنه وما ميزه به الله من الأخلاق الطيبة والرحمة بالمساكين والعطف على رعيته وتقديم نفسه في المعارك حماية للمسلمين ودفاعاً عنهم.

وإذا تجاوزنا الحديث عن بقية الصحابة الكرام ومآثرهم العظيمة وانتقلنا إلى علماء السلف من المسلمين فإننا نجدهم من أرحم الناس وأشدهم شفقة على المخالفين وأنصحهم لهم ويأتي في أول هؤلاء إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله وتأريخه مع القائلين بخلق القرآن وما لقيه من الآلام التي تنفطر لها القلوب خير شاهد على ذلك وعلى محبته للمسلمين ولقد ابتلي بالضراء فكان أصلب من الرواسي وابتلي بالسراء فكان شديد الحلم والتواضع لم تخضعه نقمة ولم تستخفه نعمة. وتاريخ السلف غني بالرجال الأفذاذ فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية كان من أحرص الناس على بيان الحق ومن أشدهم عفواً عن من ظلمه لم ييال بالسجن والإهانات التي وجهت له من قبل المخالفين الحاقدين عليه وطالما تمكن من الانتصاف منهم ولكنه كان يبادر إلى العفو عنهم ولا يطلب منهم إلا معرفة الحق والتبصر في الدين قال رحمه الله عن إنصاف أهل السنة وشفقتهم بمخالفهم ((أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم لأن الكفر حكم شرعي فليس الإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزني بأهلك فليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله لأن الكذب والزني حرام لحق الله وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلى من كفره الله ورسوله)) (٢٥٩).

وإذا تجاوزنا تاريخ تلك الحقبة ورجالاتها إلى رجال العصور الأخيرة من السلف فسنجد رجالاً كانوا مثال الأخلاق الفاضلة وحب الخير للناس جميعاً ومن أشدهم رحمة بكل المسلمين حتى المخالفين منهم وفي أول هؤلاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الذي بذل نفسه لخدمة العقيدة وتفهم الناس بدينهم الصحيح.

وكذا من سار على طريقته مثل الشيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله، الذي أخرج الله به أقواماً من الظلمات إلى النور ومن الشرك إلى التوحيد ومن الخرافات الجاهلية إلى الحقائق الإسلامية في منطقة جيزان ففتح الله به القلوب ونور به البصائر وكان رحمة من الله تمكن حبه في القلوب وتمكنت دعوته في النفوس ولن تزال أبداً إن شاء الله قوة راسخة. هذه نماذج سقتها على عجل مكتفياً بمن تقدم ذكرهم كأمثلة مشرفة لسلف هذه الأمة وما امتازوا به من حميد الصفات وهناك مئات الأمثلة التي لا تكاد تحصى إلا بالكلفة .

ومن المعلوم أن هذا التسامح ليس هو تسامح العاجزين فقد كانوا فرسان الوغى وليوث الحروب لا يخافون إلا ربهم من فوقهم وإنما هو تسامح الواقف عند الحق المقدم له الراضي به أما بالنسبة لسلمات أهل البدع من الفرق الهالكة فقد اتصفوا بأسوأ الصفات التي أبانت عن سوء معتقداتهم لعدم تحليهم بآداب السنة الغراء وهو أمر بدهي فإن المخالف لها لا بد أن يركب هوى نفسه والهوى من أخطر المطايا وأسرعها إلى الهلاك ومخالفة الشرع.

وبتبع الصفات التي يتصف بها هؤلاء تجد أنها كثيرة ومنها:

- ١ .بغي بعضهم على بعض والتطاول في السباب.
- ٢ . اختلافهم لأنفه الأسباب وكثرة تفرقهم.
- ٣ . اتباعهم لما يهوون حسبما تمليه عليهم رغباتهم وتكفير بعضهم البعض وتكفير كل طائفة لما عداها.
- ٤ . تتبعهم المتشابه وإثارة الخلافات حوله.
- ٥ . بغضهم لأهل السنة واختراع الألقاب الباطلة لهم تنفيراً عنهم.

٦. بغض مذهب السلف وتسميته بالأسماء والألقاب الباطلة.
٧. قبولهم للروايات الكاذبة وعدم تحريمهم النصوص الصحيحة.
٨. قبولهم للأخبار التي لا يصدقها العقل ولا تعضدها حجة.
٩. عدم اهتمامهم - كما يجب بالسنة النبوية- وتسلطهم عليها بالتأويل أو الرد بحجة أنها غير ملزمة مثل القرآن.

وغير ذلك من الصفات التي عرفت عنهم قديماً وحديثاً.

فالخوارج وهم أول الفرق الهالكة خروجاً تجرد أنهم يتصفون بالجفاء والخروج عن الدين وضيق الأفق وتكفير المخالفين لهم واستحلال دمائهم وأموالهم فكانوا يقتلون المصلين في المساجد حينما يغيرون عليهم محكمين بزعم أنهم كفار وأن جهادهم قرينة إلى الله، وقد كفروا خيرة الناس بعد الأنبياء والمرسلين من عظماء الصحابة رضوان الله عليهم مثل علي بن أبي طالب وعثمان وأبي موسى الأشعري ومعاوية وعمرو بن العاص والحسن والحسين وغيرهم من فضلاء الصحابة ومن سار المسلمين.

وكفروا الناس بالمعاصي واستحلوا دماءهم بها وأوجبوا الخروج على الحكام لأتفه الأسباب فسفكوا من الدماء ما لا يعلمه إلى الله وحده وتفرقوا فيما بينهم تفرقاً لا يكاد يكون له نظير إذ كان أقل خلاف يحصل بينهم يختلفون ويتقاتلون لا يراعون في بعضهم إلاً ولا ذمة. فكانوا أشبه ما يكونون بالوحوش المسعورة لقي الناس منهم الأمرين وشغلوا الناس حكاماً ومحكومين وأذاقوهم الفتن المتلاحقة والويلات المتعاقبة، وما ذلك إلا لبعدهم عن هدى الكتاب والسنة وطريق سلف هذه الأمة وهو طريق من تركه ضل وارتكب الظلم وفعل المحرمات وخرج عن الحق وتلقفته السبل التي أخبر عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم لأنه حينئذ يصبح مثل البهيمة التائهة أو الجمل الذي لا خطام له.

وبعد الخوارج نجد مثلاً آخر من تلك الطوائف وهم الرافضة الضالة الذين وقفوا أسوأ المواقف من الصحابة وسائر أهل السنة كما لا يخفى على طالب العلم.

ثم نبغت المعتزلة الذين تشبعوا بآراء الخوارج وبعلم الكلام وآراء الشيعة فإذا بهم يملأون كتبهم سباً لأهل السنة والمتمسكين بها وإذا بهم يحرضون الحكام عليهم ليشفوا غيظ صدورهم وما فعله

ابن أبي دؤاد بإمام أهل السنة وغيره من علماء المسلمين المخالفين لآراء هذه الفرقة الضالة هو أقوى مثال على ذلك.

ثم توالى الأمثلة على مر العصور فظهرت المرجئة والقدرية والأشعرية وغيرها من الطوائف الكثيرة الذين اتصفوا بضيق الأفق والشدة على كل من خالف آراءهم حتى وإن كان في المسائل البسيطة الاجتهاد به، فكان المعتزلة لا يرجعون إلى كتاب ولا إلى سنة في مسائل الصفات ولا في أحكامهم على المخالفين لهم وإنما يأخذون ما تمليه عليهم عقولهم إضافة إلى الشبهات التي تلقفوها من علماء الكلام.

ولذلك تقرر في مذهبهم أنه إذا تعارض العقل والنقل فإنه يقدم العقل ويؤول النص أو يترك. مع أنه في الواقع الصحيح لا تعارض أبداً بين العقل السليم والنص الصحيح وكذلك الجهمية وهم مشائخ المعتزلة الذي أسسوا كثيراً من الشبهات وفتحوا أبواب الجدل والخوض في مسائل العقيدة فضلوا وأضلوا وفرقوا الأمة وكانوا من أسوأ الناس أخلاقاً وفضاضة على المخالفين لهم ولعل القارئ قد سمع عن هذا النمط من المنحرفين وما يقولونه عن أهل الحق.

ولعل القارئ أيضاً لا يخالفني في أن الكوثري في وسط أهل البدع والخرافات شيخ الإسلام رحمه الله في وسط أهل السنة والجماعة وكم للكوثري ولمشائخه ومن سار على نهجه من أفكار خاطئة وكم له من الردود والسباب والشتائم لأهل السنة ولعقيدتهم الصافية وقد صب جام غضبه على مشاهير أهل السنة على مدار تاريخهم وأطلق عليهم عدة ألقاب باطلة هم منها براء، جاءت منه على طريقة أهل البدع في التسرع إلى التكفير والسخرية بالصالحين لغلبة الهوى عليهم وضيق أفهامهم.

وقد رد عليه علماء السلف قديماً وحديثاً ردوداً كالصواعق وبينوا أخطائه بالدليل من الكتاب والسنة وإجماع الأمة مجانين التجني عليه أو على غيره - كما هي عادتهم - في رأفتهم بالمخالفين وبالتالي دعوتهم بالتي هي أحسن. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في وصف أهل الأهواء والبدع ((إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه أولئك الذين سماهم الله فاحذروهم)) (٢٦٠) وقد

تحدث علماء السلف عن سمات الفرق الهالكة وأسباب تفرقهم وما أحدثوه في الدين تحدثوا من باب النصيحة والتحذير.

فقد سأل عمرو بن قيس الحكم بن عتبة ((ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء أن يدخلوا فيها؟ قال الخصومات))<sup>(٢٦١)</sup> وقال الفضيل بن عياض ((لا تجادلوا أهل الخصومات فإنهم يخوضون في آيات الله))<sup>(٢٦٢)</sup> وفي مصنف عبد الرزاق أن رجلاً قال لابن عباس الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم. فقال كل هوى ضلالة))<sup>(٢٦٣)</sup>.

وعن أبي قلابة قال: ((ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف))<sup>(٢٦٤)</sup>.

وقال علي بن المديني: ((من قال فلان مشبه علمنا أنه جهمي ومن قال فلان مجبر علمنا أنه قدري ومن قال فلان ناصبي علمنا أنه رافضي)).  
وأقوالهم في هذا كثيرة جداً وما قصدناه هو الإشارة التي يفهم بها اللبيب.

(٢٦١) اللالكائي في اعتقاد أهل السنة ج ١ ص ٨٢ .

(٢٦٢) سنن الدارمي رقم ٤٠٦ .

(٢٦٣) المصنف لأبي ابن شيبه ص ١٢٦ ج ١١ .

(٢٦٤) الشريعة للأجري ج ١ ص ٤٦ .

## الفصل الثاني عشر

### عشر ذكر أشهر أئمة أهل السنة ومؤلفاتهم في العقيدة

لقد يسر الله تعالى لحفظ دينه رجالاً وهبوا أنفسهم لخدمة هذه العقيدة المباركة ويسر لهم الأمور ورزقهم الذكاء والإخلاص فنبغ منهم العلماء الفطاحل أصحاب البيان والسحر الحلال فكانوا جنوداً أوفياء لدينهم ما إن تظهر فتنة إلا ودفنوها ولا صاحب بدعة أو هوى إلا وحذروا منه فأقام الله بهم حجته على الناس، ومن الصعوبة بمكان حصرهم هنا وإنما نذكر ما يتيسر ذكره منهم كمثال على الثراء الفكري عند علماء السلف ومن هؤلاء:

أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري ..... سفيان بن عيينة.... مسلم بن الحجاج .... ابن عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي .... أحمد بن حنبل..... علي بن المديني..... أبو ثور إبراهيم بن خالد..... أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري..... أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم .... أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.

#### الأئمة الأربعة.

ابن كثير..... ابن خزيمة..... ابن القيم.... سهل بن عبد الله التستري.... ابن تيمية. وغيرهم الكثير ممن أثروا المكتبات الإسلامية بمؤلفاتهم القيمة التي تشهد بإخلاصهم وتوفيق الله وعونه لهم ولا نزكي على الله أحداً.

#### أهم مؤلفات علماء السنة

#### في بيان العقيدة السلفية والرد على المخالفين

وقد ألف علماء السلف في بيان عقيدتهم وإيضاحها والرد على المخالفين، المؤلفات الكثيرة مدعومة بنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وهي من الكثرة بحيث لا يكاد أحد يستطيع حصرها.

ومن أجل علماء السلف ومؤلفيهم الإمام المجلد أحمد بن حنبل رحمه الله وله مؤلفات في بيان عقيدة السلف والذب عنها، منها ما دونه بنفسه ومنها ما دونه تلامذته في مؤلفاتهم. ومن

كتبه في الحديث المسند وقد جمع فيه أحاديث كثيرة بين فيها عقيدة السلف ضمن تلك الأحاديث التي أوردتها، وكتب في بيان العقيدة الكتب الآتية:

السنة..... الإيمان.... الرد على الزنادقة.... فضائل الصحابة.

ومنهم الإمام البخاري رحمه الله وقد أودع في صحيحه كثيراً من بيان عقيدة السلف وكذا كتابه خلق أفعال العباد والآداب المفرد ومنهم الإمام مسلم رحمه الله وقد أودع في صحيحه أيضاً كثيراً من أبواب العقيدة، ومنهم:

- ابن ماجه في سننه

- أبو بكر بن الأثرم في كتابه "السنة".

- عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية.

- عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه الرد على الجهمية وكتابه الرد على بشر المريسي.

- ابن أبي عاصم في كتابه " السنة".

- عبد الله بن الإمام أحمد في كتابه "السنة".

- محمد بن نصر المروزي في كتابه "السنة".

- الإمام الطبري في كتابه "صريح السنة".

- الخلال في كتابه "السنة".

- ابن خزيمة في كتابه "التوحيد وإثبات صفات الرب عزّ وجلّ".

- الطحاوي في كتابه "العقيدة الطحاوية".

- الأشعري بعد رجوعه إلى مذهب السلف في كتابه "الإبانة عن أصول الديانة" والمقالات.

- عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتابه "الرد على الجهمية".

- الحسن بن علي البرهاري في كتابه "السنة".

- الآجري في كتابه "الشريعة" وكتابه "التصديق بالنظر إلى الله تعالى".

- أبو حمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصفهاني في كتابه "العظمة".

- الدارقطني في كتابه "أحاديث النزول كتاب الصفات".

- ابن بطه - عبيد الله بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري في كتابه "الإبانة - الصغرى والكبرى".

- ابن منده أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده في كتابه "الرد على الجهمية، الإيمان"، التوحيد بتحقيق د. علي ناصر فقيهي.

- ابن أبي زمنين في كتابه "أصول السنة".

- اللالكائي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" بتحقيق زميلي د. أحمد سعد حمدان الغامدي.

- قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصفهاني في كتابه "الحجة في بيان المحجة" بتحقيق الزميل د. محمد ربيع و د. محمد أبو رحيم.

أبو المظفر السمعاني في تفسيره.

الإمام مالك ... ربيعة الرأي ... سفيان الثوري.

شيخ الإسلام ابن تيمية صاحب الباع الطويل في بيان عقيدة السلف وكتبه كثيرة مشهورة وقد احتوت الفتاوي على كثير منها (٢٦٥).

ابن قيم الجوزية وله عدة مؤلفات مشهورة.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأهم مؤلفاته "كتاب التوحيد المتداول بين طلبة العلم وكتاب كشف الشبهات وغيرهما من الرسائل التي كتبها وكذا الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله".

وفي عصرنا الحاضر كتب كثير من الفضلاء في بيان السنة والرد على المخالفين مثل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وكذا الألباني رحمه الله وما ذكر سابقاً فإنما هو من باب التمثيل إذ أن حصر كتب السلف يكاد أن يكون مستحيلاً جمعه في هذه العجالة فالمكتبة الإسلامية ثرية بمؤلفات متنوعة بين الضخم والمختصر والنشر والنظم والأسئلة والأجوبة ولا يزال الخير في أهل السنة إن شاء الله إلى قيام الساعة كما أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم.

رحم الله جميع علماء السلف ونفع بمؤلفاتهم جميع أهل الأرض إنه على كل شيء قدير.

## الفصل الثالث عشر

### تنبيهات مهمة على مسائل في العقيدة

وفي ختام هذه الدراسة الموجزة عن السلف وعقيدتهم أحب التنبيه إلى ما وقع فيه بعض الناس من إطلاق عبارات ومفاهيم لا تتفق مع عقيدة السلف ومنهجهم بزعم أنها هي العقيدة الصحيحة السلفية.

متأثرين فيها بشتى المذاهب المخالفة ومؤثرين في غيرهم ممن قلت معرفتهم بحقيقة مذهب السلف وكل ذلك ناتج عن جهل بحقيقة معاني تلك الكلمات وتلك المفاهيم وهي كثيرة بحيث لا يستوعبها وقت كتابة هذه العجالة ولكن أشير إلى أهمها ولأهميتها وخفائها أيضاً أحببت أن أنبه إليها إخواني طلاب العلم وكل من يراها نصيحة لهم ودفاعاً عن العقيدة تنمة لدراسة فرقة السلف الطائفة المنصورة جمعتها من شتى المصادر. ومن الملاحظ أن بعض هؤلاء الذين يخطئون في جوانب من العقيدة بعضهم على مستوى من المعرفة والثقافة ولكن الكمال لله تعالى والتذكير ينفعهم **{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}** (٢٦٦) فقد يكون للشخص أخطاء في جوانب ولكنه في جوانب أخرى لا يشق له غبار.

والمشكلة ليس الوقوع في الخطأ - فهذا شأن الإنسان - ولكن الخطأ هو الإصرار على الخطأ لأن الإصرار على الخطأ ليس من سمة طلاب العلم بل علامتهم وشعارهم دائماً **{ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}** (٢٦٧) و"الحكمة ضالة المؤمن" فإن من طلب الزيادة في العلم زاده الله ومن أصر على ما عنده من المعرفة فقط فكأنه يقول بلسان حاله لا أريد زيادة على ما عندي والله تعالى يقول **{وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}** (٢٦٨) وفيما يلي بيان ما تقدمت الإشارة إليه:

- الزعم بأن التفويض في الصفات هو مذهب السلف وذلك أن عقيدة السلف في هذا هي الالتزام التام بما جاء في كتاب الله تعالى أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم وفي الوحيين كل النصوص تؤكد على الإثبات في الصفات لا على التفويض وهو ما كان عليه الصحابة في

(٢٦٦) سورة الذاريات : ٥٥

(٢٦٧) سورة طه : ١١٤ .

(٢٦٨) سورة الإسراء : ٨٥ .

اعتقادهم في باب الصفات وما كان عليه سائر التابعين ومن تبعهم بإحسان وسائر من كتب من السلف في العقيدة من المتقدمين والمتأخرين لم يخالف إلا من خرج عن هديهم.

- ومن المزاعم الباطلة أيضاً قول البعض أن السلف يرون الصفات كما جاءت دون فهم معانيها وهذا غير صحيح فإن السلف إنما يريدون بإمرارها كما جاءت في الكيفيات لا في معانيها فإن كيفية الصفات من الأمور المجهولة والسؤال عنها بدعة أما المعاني فواضحة ومعقولة.

- الزعم بأن الله تعالى في كل مكان واستدلوا لهم بآيات معية الله لخلقه وتفسيرهم لها بأنها المعية الذاتية لله تعالى عن ذلك فإن السلف فسروا هذه المعية من الله تعالى بأنها إحاطة علمه عز وجل بجميع ما يجري فلا يخفى عليه شيء وذاته تعالى فوق عرشه وهو مع كل مخلوق بعلمه وإحاطته.

- الزعم بأن السلف يعتقدون أن الله في السماء أي في داخلها أو أنها تحيط به أو أنه بإحدى السماوات تحوزه تعالى الله عن ذلك فإن هذا ليس من أقوال السلف بل هو من أقوال أهل البدع لأن معنى أن الله في السماء أي في مطلق العلو فوق عباده وفوق عرشه هكذا عقيدة السلف كما قال تعالى : **{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ }**.

- الزعم بأن السلف مجسمة أو حشوية أو مشبهة أو جبرية أو قدرية أو نابتة أو غشاء أو غشاء أو غير ذلك من الألقاب التي أطلقت على السلف نبزاً لهم فإن مذهب السلف هو بخلاف ذلك كله كما اتضح في دراستنا السابقة.

- الزعم بأن آيات الصفات من المتشابه قول لأهل البدع لا لأهل السنة الذين يعتقدون أنها من المحكم المعروف المعنى.

- القول بأن الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة أو أنه لا فرق بينهم وبين أهل السنة هذا قول من يجهل الفرق بينهم في قضية الصفات وغيرها من القضايا التي خالفوا فيها السلف.

لأن أهل السنة يثبتون كل الصفات من غير تأويل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل والأشاعرة لا يثبتون الصفات كلها كما هو معلوم من مذهبهم بل يؤولون أكثرها بحجة التنزيه وهو اعتقاد فاسد لا يقره أهل السنة والجماعة.

- القول بأن الأشاعرة هم المتمسكون بمذهب الأشعري رحمه الله، وهذا الخطأ نشأ من عدم اعتراف هذه الطائفة برجوع الأشعري رحمه الله إلى مذهب أهل السنة والجماعة كما صح عنه

ذلك وكما قرره في كتبه كالإبانة والمقالات وغيرها وقد صرح بما لا خفاء به بأنه على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله تعالى.

- قول بعض أهل البدع ننزه الله عن التشبيه والتمثيل والتركيب والتبعيض وحلول الحوادث والجسم وتعدد القدماء .. الخ. كلها من كلمات أهل البدع ولا شك أن السلف ينفون عن الله تعالى كل صفة لم ترد في الكتاب أو في السنة وبالنسبة لإطلاق بعض العبارات المجملة فإنهم يستفسرون من قائلها وماذا يقصده من كلامه مثل الجسم وغيره من الألفاظ المجملة ثم يحكمون عليه تبعاً لذلك.

- تقسيم أهل السنة والجماعة إلى سلف وخلف وإن جميعهم يسمون بالسلف وبأهل السنة والجماعة. هذا خلط غير صحيح وجمع بين نقيضين فإن الخلف مؤولة الصفات وليسوا هم السلف المثبتة لها ويلتحق بهذا أيضاً ما أصله أهل البدع بقولهم مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم وهو تقسيم باطل وتفضيل للمؤولة والمحرفة على السلف أصحاب السنة والجماعة الذين مذهبهم أسلم وأعلم وأحكم.

- الزعم بأنه يجب التأويل خصوصاً في بعض النصوص وأن من لم يؤولها وقع في الخطأ وأن من منع التأويل فإنه سيضطر هنا إليه وإلا كان كلامه باطلاً بزعمهم، وكذلك فإن من منع التأويل مطلقاً وقال به هنا كان دليلاً على تناقضه فيما يزعم هؤلاء الخلف ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ} (٢٦٩)

٢- وقوله تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} (٢٧٠).

٣- وقوله تعالى: {وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوَّاحِ وَدُسْرٍ\* تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ

كُفِرَ} (٢٧١).

٤- وقوله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} (٢٧٢).

٥- وقوله تعالى: {أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} (٢٧٣).

(٢٦٩) سورة المجادلة: ٧ .

(٢٧٠) سورة ق: ١٦ .

(٢٧١) سورة القمر: ١٣ ، ١٤ .

(٢٧٢) سورة الفجر: ٢٢ .

(٢٧٣) سورة الأنعام: ١٨٥ .

كما استدلل المخالفون للسلف على وجوب التأويل بأحاديث من السنة النبوية زاعمين أن من لم يؤولها فإنه لا يكون سلفياً.

١- مثل قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال: "ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني لآعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه" (٢٧٤).

٢- ومثله الحديث الآخر أن الله تعالى قال: "ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" (٢٧٥).

٣- الحجر الأسود يمين الله في الأرض (٢٧٦) وقد زعم المخالفون للسلف أننا لو لم نؤول هنا لأصبحنا ملاحدة نؤمن بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود كما يزعمون.

٤- حديث نزول الله تعالى في ثلث الليل الأخير إلى السماء الدنيا (٢٧٧).

وقد زعم المخالفون للسلف أن تلك الآيات والأحاديث مما يتوجب فيها التأويل فقوله تعالى: {إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ} أي بعلمه لا بذاته وهذا المعنى اللمعية هو الذي سماه المخالفون تأويلاً وهي تسمية غير صحيحة فإن معنى وهو معكم أي مطلع عليكم شهيد عليكم ومهيمن وعالم بكل ما تأتون وما تدرتون ولا يمكن أن تفسر المعية في هذه الآية بغير هذا التفسير والمنزه الله تعالى لا يمكن أن يفهم منها معية ذاته جل وعلا إلا إذا أراد التعطيل أو التشبيه أو القول بوحدة الوجود.

وأما الآية الثانية: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} أي وملائكتنا وقدرتنا وعلمننا أقرب إليه من قبل وريده وقد وصف المخالفون هذا المعنى بأنه لجوء إلى التأويل وهو فهم غير صحيح فإنه ليس بتأويل بل هو على ظاهره صحيح فإن الملائكة يعملون بقدرته وإرادته وهم جنود له تعالى مطيعون ولهذا عبر بكلمة "نحن" المفيدة للتعظيم وإحاطة علمه تعالى بكل شخص ومخلوق صغيراً كان أو كبيراً.

(٢٧٤) أخرجه البخاري ج ١١ ص ٢٤٠ .

(٢٧٥) أخرجه البخاري ج ١٣ ص ٥١١-٥١٢ ومسلم ٤/ ٢٠٦١ .

(٢٧٦) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٦/ ٣٢٨ .

(٢٧٧) أخرجه البخاري ج ٣ ص ٢٩ .

وأما الآية الثالثة { **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** } أي بحفظنا ورعايتنا لها وبمراى منا وليس هذا من قبيل التأويل كما زعم المخالف بل هو المعنى الحقيقي ولهذا قال تعالى : { **بِأَعْيُنِنَا** } ولم يقل في أعيننا أي تجري على مرآه عزّ وجلّ وحفظه.

وأما قوله تعالى : { **وَجَاءَ رَبُّكَ** } فهو مجيء حقيقي ولا نحتاج إلى أي تأويل له للأدلة الأخرى من القرآن الكريم والسنة النبوية فمن أوله إلى مجيء أمره أو مجيء ملك كبير ونحو ذلك فقد خالف الحق ومذهب السلف إذ لا مانع من مجيء الله تعالى .

وأما الآية : { **أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ** } فإن الجواب عنها هو كالجواب في "وجاء ربك" فالإتيان والمجيء والنزول كلها صفات حقيقية نعرف معانيها ونتوقف في معرفة كيفياتها ولا نحتاج إلى أي تأويل لها.

أما بالنسبة لما استدلوا به من السنة النبوية وأنه لا بد فيه من التأويل وإلا لما كنا على السلفية بزعمهم فهو تكلف منهم وتقوية لمذهبهم في حب التأويل :

١- أما الحديث الأول : فمعناه كما يفيد كلام العلماء أن العبد إذا أحب الله تعالى من خالص قلبه فإن عمله كله لا يكون إلا لله فلا يستعمل أعضائه كلها إلا لله وفي مرضاته عزّ وجلّ فلا يسمع ولا يبصر ولا يبسط بيده ولا يمشي برجله إلا وفق ما أَرَادَهُ اللهُ مِنْهُ وبالتأويل يوفقه الله ويستجيب له وهذا هو المعنى الحقيقي وليس بتأويل كما يدعي غير السلف ولا حاجة إلى ركوب التأويل ما دام المعنى في غاية الوضوح.

٢- وأما الحديث الثاني وهو قرب الله تعالى فقد وصف الله نفسه بالقرب فقال { **فإني قريب** } وقربه صفة لا نعرف كيفيتها ولكنها ثابتة لمن تقرب إلى الله تعالى ومع أن الكون كله في قبضة الله تعالى ليس فيه قريب ولا بعيد لكنه عزّ وجلّ يكون إلى أوليائه أكثر قرباً وعناية وهو فوق عرشه ويقرب من عبده حسب مشيئته وإرادته عزّ وجلّ في زيادة العناية به. وإذا تصورنا هذا المفهوم فإنه لا حاجة بنا إلى التأويل فراراً من إثبات هذا القرب إذ لا يعقل أن يتصور أن الله يكون قريباً من كل خلقه بذاته عزّ وجلّ.

٣- وأما الحديث الثالث : فقد أراح الله منه فإنه حديث غير صحيح كما ذكره علماء الحديث وعلى فرض صحته فإنه لا يحتاج إلى تأويل إذ معناه يتضح في تمام الحديث بقوله : "فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه".

والمعنى واضح في قوله "فكأنما" أي ليس المراد أن الحجر الأسود هو صفة لله تعالى أو يد له عزّ وجلّ بل من قبله فله من الأجر مثل الذي يقبل يد الله تعالى وهذا المفهوم لا يحتاج معه إلى التأويل إذ لا محذور فيه فهو افتراض المقصود به حصول الأجر العظيم وما دام الحديث غير صحيح فلا حاجة إلى تكلف الجواب عنه.

٤- وأما حديث النزول: فمعناه ينزل جل وعلا حقيقة على صفة لا نعرفها ولا تكيفها مهما اختلفت الأوقات من بلد لبلد فكما أننا لا نعرف كيفية الصفات فكذلك كيفية النزول ولهذا فلسنا بحاجة إلى تأويل نزول الله تعالى بنزول أمره وقدرة الله عزّ وجلّ فوق ما يتصوره العقل فهو يرزق خلقه وبميتهم بمشيئته ويحاسبهم في وقت واحد كما أنه لا يمر وقت إلا وأمره وقضاؤه عزّ وجلّ نازل فلماذا نقصر نزول أمره على تلك الأوقات فقط لو لم يكن نزولاً حقيقياً لا يعلم كيفيته إلا هو عزّ وجلّ.

- من الأخطاء في العقيدة كذلك قولهم عن الله تعالى : "أنه الموجود الحق" لأن الموجود ليس من أسماء الله تعالى أو قولهم : "المنفرد بالوجود الحقيقي" لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة أنهما من صفاته تعالى.

وقولهم "واجب الوجود" أو العقل الأول أو اليهولي على إنما أسماء الله تعالى لأنها أسماء مبتدعة لله تعالى لم ترد في الشرع الشريف فلا نطلقها لا نفيّاً ولا إثباتاً وفي غيرها من أسماء الله تعالى ما يغني عنها.

- " لا معبود سوى الله" جملة ناقصة صوابها " لا معبود بحق إلا الله" لأنه قد عبد غير الله وإله.

- فلان شهيد. لفظ لا يجوز الجزم به لأن الشهادة علمها إلى الله تعالى ولا يشهد لأحد بجنة أو بنار إلا من ورد النص فيه.

وقد تساهل الناس في أمر الشهادة حتى صاروا يقولون شهيد الحب شهيد الوطن شهيد الواجب شهيد الكرة .. الخ . وهو تساهل يدل على جهل عظيم بمنزلة الشهداء عند الله تعالى .

- بعضهم يعبر عن توحيد الله عزّ وجلّ بأنه خالق الكون ومدبره .. الخ .

والحقيقة أن هذا هو توحيد الربوبية الذي لا يدخل الشخص بالإقرار به في توحيد الألوهية حتى يقر بتوحيد الألوهية وإفراد الله تعالى بعبادته لا شريك له الذي بعث الله رسله من أجله لا من أجل تقرير توحيد الربوبية الذي تقر به الفطر والعقول السليمة على مر الدهور .

- الزعم بأن السلفية ليست مذهباً معروفاً كلام باطل وتجاهل لطائفة أهل السنة والجماعة كما ذكرنا سابقاً .

- رد أخبار الآحاد في مسائل الاعتقاد هو مذهب أهل البدع أما أهل السنة والجماعة فيقبلون أخبار الآحاد ويعملون بها في كل أمر ما دامت قد ثبتت صحتها عن النبي صلى الله عليه وسلم .

- التوسل بالجاه أو بالذات لأي كائن - غير الله تعالى - يعتبر شركاً لا يجوز فعله ومن نسب إلى السلف جواز التوسل بالجاه أو بالذات فقد أخطأ فهم عقيدتهم .

- القول بأن رؤية الله تعالى في الآخرة تستلزم التحيز لله عزّ وجلّ كلام باطل وهو ليس من أقوال السلف الذين يؤمنون برؤية الله تعالى على كيفية لا نحيط بها استناداً إلى نصوص رؤيته تعالى حقيقة إذ لا مانع من رؤيته لا نصاً ولا عقلاً .

- نفي الجهة عن الله تعالى مطلقاً أو إثبات أنه في كل جهة بذاته هو معتقد فاسد فإن الله تعالى أخبر عن نفسه أنه في جهة الفوقية المطلقة ولا يلزم منه التحيز أو كونه بذاته في كل مكان فإنه مما يتنزه الله عنه .

- تجويز التوسل بذات أحد من البشر سواء أكانوا من الرسل عليهم الصلاة والسلام أو غيرهم بدعة منكراً لم يجوزها السلف اتباعاً للنصوص الناهية عن ذلك .

- القول بالتفريق بين الحقيقة والشريعة ليس من أقوال السلف بل هو من اختراعات غلاة الصوفية وذلك أن أي شيء يخالف الشريعة يجب نبذه وعدم الالتفات إليه فضلاً عن قبول معارضته .

- اعتقاد أنه لا فرق بين الإرادة والمشية الإلهية خطأ لأن الإرادة تنقسم إلى إرادة كونية: تتعلق بكل شيء مما يحبه الله أو لا يحبه وإرادة شرعية: تتعلق بما يحبه الله ويرضاه بينما المشية تتعلق فقط بالإرادة الكونية من حيث العموم.

- تنشر بعض الصحف بين آونة وأخرى أخباراً كاذبة فيها تهويل يجذب القراء مثل ما تزعمه بعض الصحف عن علماء الآثار من أنهم يجدون أحياناً جماجم تدل على أن الإنسان كان يشبه القرد تماماً وهذه تقوية لنظرية الملحد داروين أو أن القيامة ستقوم في وقت كذا وكذا من السنين، أو أنه وجد في بلد كذا جنين يقرأ القرآن بصوت مسموع وهو في بطن أمه أو أن الدابة ستخرج وقت كذا وغير ذلك من الأخبار التي تدل على أن مصدرها ملاحظة يريدون ترويع الناس لمصالح لهم ومعلوم أن من ادعى علم الغيب فإنه كاذب وكافر بجميع الأديان حاشا الأنبياء الذين يطلعهم الله على ما يشاء من المغيبات.

- قول بعض الناس بالله وبك أو على الله وعليك أو غير ذلك من الألفاظ التي فيها التشريك بين الله وبين غيره هي من الأمور المنهي عنها والتي لا يقرها السلف وأما إذا أدخلت "ثم" مكان "الواو" فلا حرج.

قول علماء الكلام "الكلام غير المتكلم به"، أو "القول غير القائل" أو "العلم غير العالم" أو "القدرة غير القادر" إلى غير ذلك من العبارات التي نسجوها على هذا النحو كل ذلك كلام باطل ليس من مذهب السلف فإن مراد هؤلاء أن تلك الصفات مباينة لله تعالى ومنفصلة عنه وأنه لا يصح وصفه بأية صفة لأن الصفات مغايرة له حسب زعمهم ومن هنا تسلطوا على نفي كل صفات الله تعالى واعتبروها تركيباً لا يجوز على الله تعالى ففرقوا بين الله تعالى وبين صفاته بتعمقهم في علم الكلام المذموم ظانين أنه علم غزير.

- القول بوجوب الموازنة قول يخالف طريقة السلف<sup>(٢٧٨)</sup> وذكر الموازنة فيه محاذير كثيرة فإن المخالف لا ينظر إلى ما يذكر عن أهل البدع من المساوي بل يقف عند ذكر المحاسن ويضخم أمرها ويستدل بها على صحة ما هو عليه من المبادئ والعقائد كما أن السلف لم يكونوا يستجيزون الشاء على أهل البدع ولهذا فإن ترك ذكر المحاسن يعتبر عقوبة جيدة لأهل البدع.

(٢٧٨) أي أن تذكر حسنات المخالفين وسيناتهم لتوازن بينها .

فإنه قد يكون لهم أخطاء تذهب بجميع حسناتهم فلا فائدة من ذكر الحسنات بعد ذلك وقد يكون ما نذكره عنهم من الحسنات ليست هي حسنات حقيقية بل قد تكون سيئات عند الله تعالى .

ثم إن في الثناء على الفساق تغرير بمن لا يعرفهم ولم يذكر الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم أي حسنات أو ثناء على الكفار بل ذم كفرهم وأعمالهم المخالفة.  
أما إذا كان الشخص من أهل السنة والجماعة ولكنه أخطأ في بعض الأمور الاجتهادية فلا حرج من مدحه والثناء عليه مع التنبيه على خطئه إن أخطأ وكذا ذكر الآراء التي يخالفون فيها مع تنفيذها لا حرج فيه.

- السلف لا يفرقون بين الطائفة المنصورة والفرقة الناجية ومن فرق بينهما فقد جانب الصواب والمفرق إما أن يكون جاهلاً أو في قلبه شيء من بغض السلف وكيف تكون منصوراً وهي غير ناجية وكيف تكون ناجية وهي غير منصوراً لأن الله تعالى لا يجعل النصر في النهاية إلا لجنده الذين رضي عنهم أما الباطل فله صولة ثم يضمحل وصاحبه لا يكون ناجياً ولا منصوراً.

- السلف لا يحبون إطلاق كلمة "الصحة الإسلامية" مع أن هذه العبارة قد انتشرت كثيراً على ألسنة الناس وسبب كراحتهم لها أنها تشعر السامع أن المسلمين كانوا في غفوة تامة وليس لهم دعوة إلى الله ولا جهاد في سبيله ولم يعرفوا الإسلام إلا بعد أن نبغ دعاة هذه العبارة وحركتهم التي يزعمون أنها صحة جديدة في الإسلام.

- ليس من عقيدة السلف الاحتفاء بأعياد الميلاد ولا رأس السنة الميلادية أو الهجرية ولا يعترفون إلا بعيدين كبيرين هما عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد ثاني صغير هو يوم الجمعة ومن نسب إليهم غير ذلك فقد جانب الصواب.

- ليس من عقيدة السلف الاعتراف بما يسمى "تقارب الأديان" لأن هذه خدعة جديدة ويهدفون من ورائها الإيحاء للناس بصحة أديان الطوائف المعادية للإسلام وبالتالي الهجوم على الإسلام وأهله.

- كلمة الأديان السماوية إطلاق غير دقيق فإن السماء ليس لها أديان ولا ترسل رسلاً ولا تنزل كتباً ولا يوجد بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلا دين إلهي واحد فيجب إسناد الكتب

وإنزالها ثم نسبة الدين الصحيح إلى الله تعالى وإن كان بعضهم يتجاوز ذلك بحجة أن المقصود واضح وهو الله تعالى.

ليس من عقيدة السلف الزعم بأن الإكثار من قراءة سورة "تبت يدا" غير مناسب لأن فيها تعريضاً بالنبي صلى الله عليه وسلم ولو أن هذه الخرافة صدرت عن العوام والجهال لما كان لذكرها ضرورة ولكني سمعت بعض أهل العلم ممن نقرأ لهم بعض مؤلفاتهم والله المستعان يجذر من تعمد القراءة بسورة تبت يدا مراعاة لخاطر النبي صلى الله عليه وسلم فيما يقولون بل ويزعمون في تخويفهم لمن يتعمد ذلك أنه يصاب بالشلل وهو كلام باطل يجب التوبة منه والاستغفار من اعتقاده وكذا الزعم بأن من قرأ سورة قريش دائماً فإنه يصبح غنياً وإن كان جائعاً يصبح شبعاناً وهي خرافات تنافي الاعتقاد الصحيح.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

\* \* \* \* \*

## الباب الثالث

دراسة عن الخوارج

وفيه الفصول الآتية :

١. الفصل الأول : تمهيد وجود الخوارج في الماضي والحاضر
٢. الفصل الثاني : التعريف بالخوارج لغة واصطلاحاً .
٣. الفصل الثالث : أسماء الخوارج وسبب تلك التسميات
٤. الفصل الرابع : متى خرج الخوارج
٥. الفصل الخامس : محاورات الإمام علي للخوارج في النهروان
٦. الفصل السادس : أسباب خروج الخوارج
٧. الفصل السابع : حركات الخوارج الثورية وفرقهم وعددهم
٨. الفصل الثامن : دراسة أهم فرق الخوارج، وهم الإباضية
٩. الفصل التاسع : إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للخوارج
١٠. الفصل العاشر : الحكم على الخوارج

## الباب الثالث

### دراسة عن الخوارج

ونبدأ الآن بعون الله وتوفيقه في بيان الفرق التي تنتسب إلى الإسلام وأول ما نبدأ به منها حسب ترتيبها في الظهور واعتبارها فرقة من الفرق (( هي فرقة الخوارج )) .  
وسنخص بالتفصيل أهم آرائهم الاعتقادية مع إبطالها بالرد عليها وتفنيدها شبهها تاركين في هذه الفرقة وفي غيرها من الفرق التي سيأتي الكلام عنها ما يمكن الاستغناء عنه أولاً تدعو الحاجة إلى ذكره في هذه العجالة ....

وقد قسمت الدراسة عن هذه الفرقة إلى الفصول الآتية :

\* \* \* \* \*

## الفصل الأول

### تمهيد

### وجود الخوارج في الماضي والحاضر

الخوارج فرقة كبيرة من الفرق الاعتقادية، وتمثل حركة ثورية عنيفة في تاريخ الإسلام السياسي. شغلت الدولة الإسلامية فترة طويلة من الزمن، وقد بسطوا نفوذهم السياسي على بقاع واسعة من الدولة الإسلامية في المشرق وفي المغرب العربي، وفي عمان وحضرموت وزنجبار<sup>(١)</sup> وما جاورها من المناطق الإفريقية وفي المغرب العربي، ولا تزال لهم ثقافتهم المتمثلة في المذهب الإباضي المنتشر في تلك المناطق .

ولا يخفى كذلك أن بعض أفكار الخوارج- ولاسيما الأزارقة- المتعلقة بتكفير العصاة لا يزال لها أتباع يمثلون تنوع الخوارج وتشدهم في وقتنا الحاضر، مما يستدعي عرض ودراسة هذه الفرقة، وما أنتجت من آراء وأفكار، وبيان ما جناه أتباعها على الإسلام والمسلمين .

ومما يجدر ذكره بالنسبة لكتب الخوارج أنها تكاد أن تكون مفقودة تماماً إذا ما استثنينا الإباضية منهم، فلم تعرف لهم مؤلفات موفورة كبقية الفرق، وأكثر ما نرجع في ذلك إلى ما كتبه العلماء من أهل السنة، مع ثقتنا بصحة ما نقلوه عنهم لمعايشتهم لهم، وكذلك لاحتمال أنهم عثروا على كتب للخوارج لم تصل إلينا، على أن ما وصل من كتب الإباضية تدل على مصداق أولئك في نقلهم لمذهب الخوارج<sup>(٢)</sup>.

\* \* \* \* \*

(١) وتسمى الآن ((تنزانيا)).

(٢) انظر : الخوارج تاريخهم وأروهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها ص : ب .

## الفصل الثاني

### التعريف بالخوارج

في اللغة: الخوارج في اللغة جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج، وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة ((خرج)) على هذه الطائفة من الناس؛ معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام علي، أو لخروجهم على الناس<sup>(٣)</sup>.

في الاصطلاح: اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للخوارج، وحاصل ذلك:

١. منهم من عرفهم تعريفاً سياسياً عاماً، اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان.

قال الشهرستاني: ((كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان))<sup>(٤)</sup>

٢. ومنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه. قال الأشعري: ((والسبب الذي سُموا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب))<sup>(٥)</sup>.

زاد ابن حزم بأن اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجين على الإمام علي أو شاركهم في آرائهم في أي زمن. وهو يتفق مع تعريف الشهرستاني<sup>(٦)</sup>.

٣- وعرفهم بعض علماء الإباضية بأنهم طوائف من الناس في زمن التابعين وتابع التابعين أولهم نافع بن الأزرق<sup>(٧)</sup>، ولم أر هذا التعريف عند أحد غير الإباضية.

وهذا التعريف لأبي إسحاق أطفيش يريد منه أن لا علاقة بين المحكمة الأولى -الذين لا يعتبرهم خوارج لشرعية خروجهم كما يزعم- وبين من بعدهم إلى قيام نافع سنة ٦٤ هـ، وهذا التعريف غير مقبول حتى عند بعض علماء الإباضية، ويبقى الراجح هو التعريف الثاني؛ لكثرة من

(٣) انظر كتب اللغة مادة (( خرج )) انظر تهذيب اللغة : ج٧ / ص ٥٠، تاج العروس : ج٢ / ص ٣٠ .

(٤) الملل والنحل : ج ١ / ص ١١٤ .

(٥) المقالات : ٢٠٧ / ١ .

(٦) الفصل : ١١٣ / ٢ .

(٧) عمان تاريخ يتكلم ص : ١٠٣ .

مشى عليه من علماء الفرق في تعريفهم بفرقة الخوارج، وقيام حركتهم ابتداء من خروجهم في  
النهران، وهو ما يتفق أيضاً مع مفهوم الخوارج كطائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية أحدثت في  
التاريخ الإسلامي دويماً هائلاً.

\* \* \* \* \*

## الفصل الثالث

### أسماء الخوارج وسبب تلك التسميات

للخوارج أسماء كثيرة، بعضها يقبلونه وبعضها لا يقبلونه، ومن تلك الأسماء:

- ١- الخوارج.
- ٢- الحرورية.
- ٣- الشراة.
- ٤- المارقة.
- ٥- المحكمة.
- ٦- النواصب.

أما بالنسبة للاسم الأول: فهو أشهر أسمائهم، هم يقبلونه باعتبار وينفونه باعتبار آخر، يقبلونه على أساس أنه مأخوذ من قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(٨)</sup> وهذه تسمية مدح.

وينفونه إذا أريد به أنهم خارجون عن الدين أو عن الجماعة أو عن علي رضي الله عنه؛ لأنهم يزعمون أن خروجهم على علي رضي الله عنه كان أمراً مشروعاً بل هو الخارج عليهم في نظرهم. و الإباضيون بخصوصهم يسمونها فتناً داخلية بين الصحابة.

قال نور الدين السالمي الإباضي عن تسميتهم خوارج على سبيل المدح: ((ثم لما كثر بذل نفوسهم في رضى ربهم وكانوا يخرجون للجهاد طوائف - سُموا خوارج، وهو جمع خارجة وهي الطائفة التي تخرج في سبيل الله))<sup>(٩)</sup>. وقال أحد شعراء الخوارج<sup>(١٠)</sup>.

كفى حزناً أن الخوارج أصبحوا \*\*\* وقد شتت نياتهم فتصدعوا

وأما بالنسبة للتسمية الثانية: فهي نسبة إلى المكان الذي خرج فيه أسلافهم عن علي، وهو قرب الكوفة. قال شاعرهم مقارناً بين جحف الثريد أي أكلة وبين جحف الحروري بالسيف أي ضربه به:

ولا يستوي الجحفان جحف ثريدة \*\*\* وجحف حروري بأبيض صارم<sup>(١١)</sup>

ووردت هذه التسمية في قول عائشة رضي الله عنها: ((أحرورية أنت))<sup>(١٢)</sup>

(٨) النساء: الآية ١٠٠ .

(٩) نقله عنه على يحيى معمر في كتابه ((الأباضية بين الفرق الإسلامية ص: ٣٨٤ .))

(١٠) شعراء الخوارج تحقيق د/إحسان عباس ص: ١٣٤ .

(١١) شعراء الخوارج ص: ٢٣٢ .

قالته للمرأة التي استشكلت قضاء الحائض والصوم دون الصلاة.

وأما بالنسبة للتسمية الثالثة: فهي نسبة إلى الشراء الذي ذكره الله بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} الآية (١٣).

وهم يفتخرون بهذه التسمية ويسمون من عداهم بدوي الجعائل: أي يقاتلون من أجل الجُعَل الذي بذل لهم. قال شاعرهم عيسى بن فاتك:

فلما استجمعوا حملوا عليهم \*\*\* فضل ذوو الجعائل يقتلوننا (١٤)

وأما التسمية الرابعة: فهي من خصوم الخوارج، لتنطبق عليهم أحاديث المروق الواردة في الصحيحين في مروقهم من الذين كمروق السهم من الرمية. قال ابن قيس الرقيات من أبيات له:

إذا نحن شتى صادفتنا عصابة \*\*\* حرورية أضحت من الدين مارقة (١٥)

وأما التسمية الخامسة: فهي من أول اسمائهم التي أطلقت عليهم وقيل أن السبب في إطلاقه عليهم إما لرفضهم تحكيم الحكمين وإما لتردادهم كلمة لا حكم إلا لله وهو الراجح، وهي كلمة حق أريد بها باطل ولا مانع أن يطلق عليهم لكل ذلك غير أن السبب الأول ينبغي فيه معرفة أن الخوارج هم الذين فرضوه أولاً وهم يفخرون بهذه التسمية كما قال شاعرهم شبيل بن عزرة:

حمدنا الله ذا النعماء أنا \*\*\* نحكم ظاهرين ولا نبالي (١٦).

وأما تسميتهم بالنواصب فلمبالغتهم في نصب العداء لعلّي بن أبي طالب - رضي الله عنه - .

\* \* \* \* \*

(١٢) أخرجه أحمد في المسند ج٦ ص ٩٧ .

(١٣) التوبة: الآية ١١١

(١٤) شعراء الخوارج ص : ٥٤ .

(١٥) الكامل لابن الأثير : ٤ / ١٩٨ .

(١٦) شعر الخوارج : ٢٠٩ .

## الفصل الرابع

### متى خرج الخوارج

- ١- اختلف المؤرخون وعلماء الفرق في تحديد بدء نشأتهم وخلاصة ذلك ما يبلى : -
  - ١- أنهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.
  - ٢- أنهم نشأوا في عهد عثمان رضي الله عنه.
  - ٣- أنهم نشأوا في عهد علي رضي الله عنه حين خرج عليه طلحة والزبير، كما يزعم بعض علماء الإباضية.

٤- أو حين خرج الخوارج من المحكمة عن جيشه كما هو الراجح.

٥- أنهم ظهوروا في عهد نافع بن الأزرق ابتداء من سنة ٦٤هـ، كما تقدم في التعريف بهم.

وفيما يلي مناقشة تلك الأقوال وبيان الصحيح منها:

أما بالنسبة للقول الأول، فإن المقصود به ما وقع للرسول صلى الله عليه وسلم من قيام ذي الخويصرة- عبد الله ذي الخويصرة التميمي- في إحدى الغزوات في وجه الرسول معترضاً على قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم للفيء، وأنه لم يعدل -حاشاه- في قسمتها.

وقد قال بهذا القول كثير من العلماء منهم: الشهرستاني وابن حزم وابن الجوزي، والآجري، إلا أنه ينبغي التفريق بين بدء نزعة الخروج على صورة ما، وظهور الخوارج كفرقة لها آراء وتجمع قوي. فذو الخويصرة لا يعتبر في الحقيقة زعيماً للخوارج، لأن فعلته حادثة فردية- تقع للحكام كثيراً- ولم يكن له حزب يتزعمه ولا كان مدفوعاً من أحد- إلا طمعه وسوء أدبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع هذا فيمكن القول بأن نزعة الخروج قد بدأت بذرتها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . (١٧)

وأما بالنسبة للقول الثاني، فهو رأي لبعض العلماء أيضاً كابن كثير وابن أبي العز (١٨)، ولكن يرد على هذا أن أولئك الثوار البغاة كان هدفهم قتل عثمان وأخذ المال، ولا ينطبق عليهم وصف فرقة ذات طابع عقائدي خاص، ولهذا اندمجوا مع المسلمين بعد تنفيذ جريمتهم ولم يشكلوا

(١٧) انظر الحديث الوارد في صحيح البخاري ٨/ ٥٢- ٥٣، ومسلم: ٣/ ١١٠- ١١٦ .

(١٨) انظر البداية والنهاية: ٧/ ١٨٩ وشرح الطحاوية ص ٤٧٢ .

فرقة مستقلة — وإن كان فعلهم يعتبر خروجاً عن الطاعة وخروجاً على الإمام — إلا أنهم ليسوا هم الخوارج كفرقة عقائدية سياسية لما تقدم.

وأما بالنسبة للقول الثالث؛ وهو للورجلاني الإباضي، فإنه قول مردود؛ فإن طلحة والزبير رضي الله عنهما لا يصح وصفهما بالخوارج ولا ينطبق عليهما وصف الخوارج كفرقة، وكان معهما أيضاً أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد شهد الله لها بالإيمان، وطلحة الزبير رضي الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة<sup>(١٩)</sup>.

وأما بالنسبة للقول بأن نشأتهم تبدأ من قيام نافع بن الأزرق؛ فإنه لم يقل به غير من ذكرنا من علماء الإباضية<sup>(٢٠)</sup>؛ لنفيهم وجود صلة ما بين المحكمة ومن ثار على طريقتهم وبين الأزارقة بعدهم، وهو قول غير مقبول لوجود تسلسل الأحداث وارتباطها من المحكمة إلى ظهور نافع بن الأزرق.

والحاصل أن الخوارج بالمعنى الصحيح اسم يطلق على تلك الطائفة ذات الاتجاه السياسي والآراء الخاصة، والتي خرجت عن جيش الإمام علي رضي الله عنه والتحموا معه في معركة النهروان الشهيرة<sup>(٢١)</sup>.

ومما نذكره هنا محاورات بين علي رضي الله عنه والخوارج، تصور لنا مدى التعنت الذي اتصف به الخوارج.

\* \* \* \* \*

(١٩) انظر الدليل لأهل العقول ص: ١٥ .

(٢٠) أبو إسحاق طفيش وتبعه على يحيى معمر أحد علماء الإباضية المتأخرين وقد اعتبروا أحداث المحكمة الأولى قتنة داخلية بين الصحابة وليس لهم أساس الخوارج في نظرهم .

انظر : الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٧٧ وانظر الإباضية في موكب التاريخ ص ٣٣ .

(٢١) انظر لتلك الأقوال : (( تلبيس إبليس )) ص : ٩٠ الفصل لابن حزم ٤ / ١٥٧ ، والملل والنحل للشهرستاني : ١ / ٢١ شرح الطحاوية لابن أبي العز ٤٧٢ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٧ / ١٨٩ ، الدليل لأهل العقول للورجلاني ص ١٥ ، عمان تاريخ يتكلم للسالمي ص ١٠٣ .

## الفصل الخامس

### محاورات الإمام علي للخوارج في النهروان (٢٢).

وقعت بين الإمام علي وبين الخوارج -قبل نشوب المعركة- عدة محاورات، وحينما طلب منهم علي رضي الله عنه بيان أسباب خروجهم عنه أجابوه بعدة أشياء منها:

١- لماذا لم يبيح لهم في معركة الجمل أخذ النساء والذرية كما أباح لهم أخذ المال؟

٢- لماذا محى لفظ أمير المؤمنين وأطاع معاوية في ذلك عندما كتب كتاب الهدنة في صفين،

وأصر معه على عدم كتابة ((علي أمير المؤمنين))؟

٣- قوله للحكمين : إن كنت أهلاً للخلافة فأثبتاني . بأن هذا شك في أحقيته للخلافة.

٤- لماذا رضي بالتحكيم في حق كان له.

هذه أهم الأمور التي نقموا عليه من أجلها كما يزعمون، وقد أجابهم عن كل تلك الشبه

ودحضها جميعاً حيث أجابهم عن الشبهة الأولى والتي تدل على جهلهم بما يلي:

أ- أباح لهم المال بدل المال الذي أخذه طلحة والزبير من بيت مال البصرة، ثم هو مال قليل

ب- النساء والذرية لم يشتركوا في القتال وهم أيضاً مسلمون بحكم دار الإسلام ولم تكن منهم ردة تبيح استرقاقهم.

ج- قال لهم: لو أبحت لكم استرقاق النساء والذرية فأيكم يأخذ عائشة سهمه فخجل القوم من هذا ورجع معه كثير منهم كما قيل.

#### وأجابه علي الشبهة الثانية:

١- بأنه فعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، وذكر -إن صحت

الرواية- أنه قال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لي منهم يوماً مثل ذلك.

والله أعلم بصحة هذه الرواية التي يتناقلها المؤرخون، ذلك أن معاوية رضي الله عنه ما كان

يطالب بالخلافة حتى يحق له أن يطلب محو كلمة ((أمير المؤمنين)). ومعاوية كذلك كان يعرف

(٢٢) انظر : الفرق بين الفرق ص ٧٩ ، وشرح نهج البلاغة ٢ / ٢٧٥ ، الكامل للمبرد : ١١٧ / ٢ .

أسبقية عليّ وفضله، وإنما النزاع حول أمر آخر غير الخلافة، اللهم إلا أن يكون هذا الفعل من صنيع المفاوضين دون علم معاوية بذلك.

**وأجابهم عن الشبهة الثالثة على افتراض صحة الرواية عنه:** بأنه أراد النصفة لمعاوية ولو قال: احكما لي؛ لم يكن تحكيماً، ثم استدل بقصة وفد نصارى نجران ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم إلى المباهلة لإنصافهم.

**وأجابهم عن الشبهة الرابعة:** بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حَكَمَ سعد بن معاذ في بني قريظة في حق كان له.

ثم نشبت المعركة مع من بقي منهم على عناده وهزم الخوارج شر هزيمة، وتذكر بعض كتب الفرق أنه لم يَنْجُ من الخوارج إلى تسعة، ولم يُقتل من جيش عليّ إلا تسعة<sup>(٢٣)</sup>، وصار هؤلاء التسعة من الخوارج هم نواة الخوارج في البلدان التي ذهبوا إليها، وفي هذا نظر<sup>(٢٤)</sup>، وقتل زعيم الخوارج في هذه المعركة وهو عبد الله بن وهب الراسبي سنة ٣٧ هـ، أو ٣٨ هـ.

\* \* \* \* \*

(٢٣) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري : ٨٩ / ٥ والبداية والنهاية لابن كثير : ٦ / ٢١٨ والكامل لابن الأثير : ٣٤٥٣ ، ومروج الذهب : ٢ / ٤١٧ وانظر اعتراض علي يحي معمر على نتيجة المعركة في كتابه الأباضية بين الفرق ص ٦٨ .

(٢٤) من جهة تلك النتيجة حيث التقى أولئك في معركة مصيرية ثم يقتل فيها كل الجيش ويبقى تسعة ويسلم الجيش الآخر ولا يقتل منه إلا تسعة فقط . فإن التكلف في هذه النتيجة ظاهر بخصوص هذا العدد ، كما أنه ترده تلك الأحداث المتلاحقة التي أعقبت معركة النهروان من تتابع حركة الخوارج الثورية على عليّ - رضي الله عنه - إلى أن استشهد لتبدأ أقوى مما كانت على الدولة الأموية .

كما أنه من التكلف أن يقال أن كل واحد من التسعة الناجين من الخوارج كون مذهب الخوارج في المنطقة التي ذهب إليها . خصوصاً وأن الرويات في عدد الباقيين فيها اضطراب واختلاف شديد ؛ مما يجعل النتيجة غامضة . والله أعلم بحقيقة الأمر .

## الفصل السادس

### أسباب خروج الخوارج.

في البحث عن الأسباب والعوامل التي أدت إلى خروج الخوارج ، يختلف العلماء في هذا السبب أو ذاك ، وفي تحديد مدى فاعلية بعض الأسباب ، والراجح أن أسباباً مجتمعة هي التي أدت بهم إلى الخروج ، ونوجز أهم الأسباب فيما يلي :

#### ١- النزاع حول الخلافة:

وربما يكون هذا هو أقوى الأسباب في خروجهم، فالخوارج لهم نظرة خاصة في الإمام معقدة وشديدة، والحكام القائمون في نظرهم لا يستحقون الخلافة، لعدم توفر شروط الخوارج القاسية فيهم، أضف إلى هذا عدم الاستقرار السياسي الذي شجعهم على الخروج، وإلى الحسد الذي كان كامناً في نفوسهم ضد قريش. إضافة إلى أنهم فسروا الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما بأنه نزاع حول الخلافة. ومن هنا استسهلوا الخروج على عليّ ومعاوية من بعده.

#### ٢- قضية التحكيم:

فقد أجبروا الإمام عليّ على قبول التحكيم، وحينما تم ذلك طلبوا منه أن يرجع عنه بل ويعلن إسلامه، فرد عليهم رداً عنيفاً.

وهناك من يقلل من شأن هذه القضية كعامل في ظهور الخوارج، ولا شك أن هذا خطأ، فقد كان التحكيم من الأسباب القوية في ظهورهم.

وقد رد بعض العلماء وشنع على من يقول من المؤرخين وكتاب الفرق، بأن كان في قضية التحكيم خداع ومكر، كالقاضي ابن العربي في كتابه العواصم من القواصم؛ حيث فصلّ القول في هذا الأمر.

#### ٣- جور الحكام وظهور المنكرات:

هكذا كان الخوارج يرددون في خطبهم ومقالاتهم، أن الحكام ظلّمة والمنكرات فاشية، والواقع أنهم حينما فعلوا خرجوا أضعاف ما كان موجوداً من المظالم والمنكرات، حينما رأوا أن قتال المخالفين لهم قربة إلى الله تعالى، وأن الأئمة ابتداءً بالإمام علي -مع عدله وفضله- ثم بحكام

الأمويين والعباسيين- كلهم ظلّمة في نظرهم دون تحرّجٍ أو تحقيق، مع أن إقامة العدل والنهي عن المنكرات يتم بغير تلك الطريقة التي ساروا عليها في استحلال دماء مخالفيهم حكاماً ومحكومين.

#### ٤- العصبية القبلية:

التي ماتت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وزمن أبي بكر عمر رضوان الله عليهما. ثم قامت في عهد عثمان وما بعده قوية شرسة، وكانت قبل الإسلام بين ربيعة- وأكثر الخوارج منهم- وبين مضر قوية، وقد قال المأمون في إجابته لرجل من أهل الشام طلب منه الرفق بالخوارج: ((وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مضر، ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شارياً)).

وهناك أسباب أخرى عوامل اقتصادية؛ كقصة ذي الخويصرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وثورتهم الممقوتة على عثمان رضي الله عنه؛ حيث نهبوا بيت المال بعد قتله مباشرة، ونقمتهم على عليّ في معركة الجمل، ومنها كذلك الحماس الديني الذي مدحهم به بعض المستشرقون كجولد زيهر حينما ذكر أن تمسك الخوارج بالقرآن أدى بهم إلى الخروج على المجتمع، والمغالطة في قوله هذا واضحة، فإن التمسك بالقرآن لا يؤدي إلى سفك الدماء بغير حق<sup>(٢٥)</sup>.

\* \* \* \* \*

(٢٥) انظر تاريخ الطبري: ٥ / ٨٤ والكامل لابن الأثير: ٣ / ٣٤٤. وانظر: العقيدة الشريعة في الإسلام لجولد زيهر ص: ١٩٢ ، تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ١٠ / ٦٩ ، الخوارج والشيعة لفلهوزن ، فجر الإسلام لأحمد أمين ص ٢٦٢ ، وقعة صفين لنصري بن مزاحم ص ٥٧٣ .

## الفصل السابع

### حركات الخوارج الثورية وفرقهم وعددهم.

أ- أشرنا فيما مضى إلى أن الخوارج قد كونوا لهم دولة وصار لهم نفوذ، وإذا تتبعنا حركاتهم الثورية فإننا نجدها متصلة عنيفة، ابتداءً من خروج المحكِّمة على الإمام عليٍّ ومن خرج بعدهم على الإمام عليٍّ في شكل جماعات حربية تثور هنا وهناك عليه وعلى الحكام الأمويين من بعده حرب عصابات، إلى أن جاء نافع بن الأزرق سنة ٦٤ هـ ، وبدأ الخوارج يظهرن كفرق كبيرة امتدت إلى عصر الدولة العباسية، لا يقر للخوارج قرار أو يستكينون إلا ريثما يتم عددهم وعدتهم يمثلون المعارضة بالتعبير الحديث، وتلك الحركات مدونة في كتب التاريخ والفرق مما لا نرى التطويل بذكره؛ لأنها أحداث تاريخية.

### ب- فرق الخوارج

أما فرقهم فإن من رحمة الله بالناس أن الخوارج تفرقوا فيما بينهم، ولو اتحدوا لكانوا كارثة على المسلمين المخالفين لهم، ويذكر العلماء أن الخوارج كانوا يختلفون ويتفرقون لأتفه الأسباب، وحينما جاء نافع بن الأزرق ببعض التفاصيل في المذهب كحكم التقية والقعدة<sup>(٢٦)</sup> وأطفال المخالفين لهم فزاد الطين بلة والنار اشتعالاً فتفرقوا فرقا كثيرة قد لا يكون ضرورياً عدها هنا فإن بعض تلك الفرق انتهى في وقته، وبعضها اندمج مع الفرق الأخرى، وبعضها رجع عن مقالاته كما فصلته كتب الفرق<sup>(٢٧)</sup>.

### ج- عدد فرق الخوارج

وأما عددهم فإنه يجد الباحث عن عدد فرق الخوارج الأصلية والفرعية أنه أمام أعداد مختلفة؛ وذلك لأن كتب الفرق الإسلامية لم تتفق على تقسيم فرقهم الرئيسية أو الفرعية على عدد

(٢٦) أي هل يحل لهم المقام بين المخالفين أم لا يحل ويكون المقيم بينهم كافر حلال الدم والمال كما يرى نافع ذلك حتى وإن كان منهم - وحينما وصل نافع إلى أحداث تلك الأمور بينهم انفصلت عنه النجدات بقيادة نجدة بن عامر قائلين لنافع: أحدثت ما لم يكن عمله السلف من أهل النهروان وأهل القبلة، فأجابهم: بأن هذه حجة عرفها وقامت عليه وينبغي الأخذ بهذا ففار قوه .  
(٢٧) انظر مقالات الأشعري: ١ / ١٩٨٣ ، الفرق بين الفرق للبيدادي ص ٢٤ ، ٧٢ ، أبانة المناهج لجعفر بن أحمد ص ١٥٥ ، التنبيه والرد للملطي ص ١٦٧ ، تاريخ الفرق الإسلامية ص ٢٦٦ ، ٢٧١ الاعتصام: ٢ / ٢١٩ .

معين، فنجد الأشعري مثلاً يعد فرق الخوارج أربع فرق، وغيره يعدها خمساً، وبعضهم يعدها ثمانية، وبعضهم سبعاً، وآخرون خمساً وعشرين، وقد تصل إلى أكثر من ثلاثين فرقة، والواقع أنه يصعب معرفة عدد فرق الخوارج<sup>(٢٨)</sup>، والسبب في ذلك يعود إلى:

- ١- أن الخوارج فرقة حربية متقلبة، فلم يتمكن العلماء من حصرهم حصراً دقيقاً.
- ٢- أن الخوارج كانوا يتفرقون باستمرار لأقل الأسباب، كما أنهم يختلفون أيضاً لأقلها.
- ٣- أن الخوارج أخفوا كتبهم إما خوفاً عليها من الناس أو ضناً بها عنهم، مما يجعل دراستهم من خلال كتبهم في غاية الصعوبة.

وندره كتبهم في عصرنا الحاضر دليل على ذلك، إلا ما وجد للإباضية على قلته- إلى غير ذلك من الأسباب، إلا أنه من المعلوم تماماً أن أشهر فرق الخوارج فرقة الإباضية كما يذكر كتاب الفرق المتقدمون منهم و المتأخرون، رغم أن علماء الإباضية -خصوصاً علي يحيى معمر- ينفي نفياً قاطعاً أن تكون الإباضية فرقة من فرق الخوارج، وقد ذكرنا فيما سبق السر في ذلك. وفيما يلي نذكر نبذة موجزة عن هذه الطائفة :

\* \* \* \* \*

---

(٢٨) انظر مقالات الأشعري : ١ / ١٩٨٣ ، الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٤ ، ٧٢ ، أبانة المناهج لجعفر بن أحمد ص ١٥٥ ، التنبيه والرد للملطي ص ١٦٧ ، تاريخ الفرق الإسلامية ص ٢٦٦ ، ٢٧١ الاعتصام : ٢ / ٢١٩ .

## الفصل الثامن

### دراسة أهم فرق الخوارج وهم الإباضية.

وتشمل دراسة هذه الطائفة ما يلي:

#### ١- تمهيد:

ولا بد من وقفة يسيرة عند هذه الفرقة من الخوارج، نذكر عنهم على سبيل الإيجاز بعض ما قيل عنهم، سواء ما جاء عن المخالفين أو الموافقين لهم، أو ما ذكره في كتبهم، ولكون هذه الطائفة لا يزال لها أتباع وأنصار في أماكن كثيرة من العالم، ولكونهم كانت لهم صولة وقوة، ولكثرة ما جاء من أخبارهم السياسية والعقدية والاجتماعية-فإنها تحتاج إلى دراسة خاصة قد تأخذ حجماً كبيراً لمن أراد أن يتتبع أخبارهم ويقف على مبادئهم<sup>(٢٩)</sup>.

ولذا فإننا نحيل القارئ-إذا أراد تفاصيل أخبار هذه الطائفة بأن يرجع إلى الكتب التي اهتمت بذكر تواريخهم وبيان عقائدهم، سواء ما كان منها قديماً أو جديداً؛ حيث ظهرت بعض كتب الإباضية على ندرتها وشدة تحفظهم عليها منذ القدم، إضافة إلى توجه بعض العلماء للكتابة عنهم في عصرنا الحاضر<sup>(٣٠)</sup>.

وأما أماكنهم فقد ذكر بكير بن سعيد أعوشت -أحد علمائهم- أنهم يوجدون حالياً في الجزائر وتونس وليبيا وعمان وزنجبار<sup>(٣١)</sup>.

#### ٢- زعيم الإباضية

أما بالنسبة لزعيم الإباضية فإنهم ينتسبون في مذهبهم- حسبما تذكر مصادرهم- إلى جابر بن زيد الأزدي الذي يقدمونه على كل أحد ويروون عنه مذهبهم، وهو من تلاميذ ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٣٢)</sup>.

(٢٩) وقد وجدت أحد المشائخ في الأزهر ١٣٩٧ تقريباً يكتب رسالة للدكتوراه عن الإباضية.

(٣٠) مثل ما كتبه علي يحي معمر في كتبه الكثيرة عنهم، الإباضية بين الفرق الإسلامية، والإباضية في موكب التاريخ. الإباضية مذهب إسلامي معتدل. وكذا كتاب السالمي (( عمان تاريخ يتكلم )) . وما كتبه د/ صابر طعيمة (( الإباضية عقيدة ومذهباً )) إلى غير ذلك من الكتب المتيسر وجودها عن هذه الفرقة.

(٣١) انظر كتابه دراسات إسلامية في الأصول الإباضية ص ١٣٦.

(٣٢) انظر أجوبة ابن خلفون ص ٩. وانظر: ترجمة جابر بن زيد أبو الشعثاء في البداية والنهاية لابن كثير ١٠ / ٩٣، وانظر: ما كتبه أحد علمائهم المعاصرين بكير بن سعيد أعوشت في كتابه دراسات إسلامية في الأصول الإباضية ص ٢٠.

وقد نُسبوا إلى عبد الله بن إباض لشهرة مواقفه مع الحكام<sup>(٣٣)</sup> ، واسمه عبد الله بن يحيى بن إباض المري من بني مرة بن عبيد، وينسب إلى بني تميم، وهو تابعي، عاصر معاوية وابن الزبير وكانت له آراء واجه بها الحكام.

وهذا هو اسمه المشهور عند الجمهور، إلا أن بعض العلماء التبست عليه شخصية ابن إباض بشخصية أخرى يسمى ((طالب الحق)).

فالملطي سماه في بعض المواضع من كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع إباض بن عمرو، وهذا خطأ منه مع أنه ذكره في مواضع أخرى بتسميته الصحيحة (عبد الله بن إباض)، وصاحب إبانة المناهج سماه يحيى بن عبد الله الإباضي، وهذا خطأ منه، حيث التبس عليه تسميته ((ابن إباض)) برجل آخر من زعماء الإباضية اسمه ((يحيى بن عبد الله طالب الحق المتقدم)) ثار باليمن وجمع حوله من الأتباع والانصار ما شجعه على الخروج في وجه حكام بني أمية سنة ١٢٨هـ، أصله من حضرموت، تأثر بدعوة أبي حمزة الشاري فخرج على مروان بن محمد وأخذ حضرموت وصنعاء، فسير إليه مروان بن محمد قائده عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي فدارت معركة أسفرت عن قتل طالب الحق سنة ١٣٠هـ<sup>(٣٤)</sup>.

وقد ذهب بعض العلماء من الإباضية إلى تحديد الوقت الذي استعملت فيه تسمية الإباضية، وأن ذلك كان في القرن الثالث الهجري، وقبلها كانوا يسمون أنفسهم ((جماعة المسلمين))، أو ((أهل الدعوة))، أو ((أهل الاستقامة)) كما يذكر ابن خلفون من علمائهم<sup>(٣٥)</sup>، وهذا القول لا يتفق مع نشأة الإباضية بزعامه جابر بن زيد أو عبد الله بن إباض.

وقد ذهب ابن حزم إلى القول بأن الإباضية لا يعرفون ابن إباض، وأنه شخص مجهول<sup>(٣٦)</sup>، وهذا خطأ منه، فإن ابن إباض شخص يعرفه الإباضيون، ولهذا رد عليه علي يحيى معمر الإباضي وذكر أن الإباضية يعرفون ابن إباض معرفة تامة ولا يتبرءون منه وأن ابن حزم تناقض حين ذكر أن الإباضية يتبرءون منه؛ إذ كيف يتبرءون من شخص مجهول لا يعرفونه<sup>(٣٧)</sup>.

(٣٣) الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٥٣ .

(٣٤) انظر : الكامل للمبرد : ( ١٧٩ / ٢ ) . التنبيه والرد للملطي ص : ٥٥ . إبانة المناهج لجعفر بن أحمد ص ١٥٥ .

(٣٥) انظر أجوبة ابن خلفون ص ٩ .

(٣٦) انظر الفصل : ١٩١ / ٤ .

(٣٧) الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٤٨ ، ٥٠ .

ثم نتساءل كذلك من أين لهم تسميتهم ((إباضية)) إذا لم يكن ابن إباض من أوائلهم. وقد ذهب الشهرستاني إلى أن ابن إباض خرج في أيام مروان بن محمد وقتل في ذلك الوقت (٣٨)، وهذا غير صحيح، لأن ابن إباض توفي في خلافة عبد الملك بن مروان.

### ٣- هل الإباضية من الخوارج؟

اتفقت كلمة علماء الفرق -الأشعري فمن بعده- على عد الإباضية فرقة من فرق الخوارج، وليس المخالفون للإباضية فقط هم الذين اعتبروهم في عداد الخوارج، وإنما بعض علماء الإباضية المتقدمون أيضاً؛ إذ لا يوجد في كلامهم ما يدل على كراهيتهم لعد الإباضية فرقة من الخوارج.

ولكن بالرجوع إلى ما كتبه بعض العلماء الإباضية مثل أبي اسحاق أطفيش، وعلي يحيى معمر - نجد أنهم يتبرءون من تسمية الإباضية بالخوارج براءة الذئب من دم يوسف.

ولقد خاض علي يحيى معمر في كتبه الإباضية بين الفرق الإسلامية، و الإباضية في موكب التاريخ، وغيرها -خاض غمار هذه القضية وتفانى في رد كل قول يجعل الإباضية من الخوارج وهاجم جميع علماء الفرق المتقدمين منهم والمتأخرين على حد سواء، واعتبر عداهم للإباضية من الخوارج ظلماً وخطأ تاريخياً كبيراً، لأن تاريخ الخوارج عنده يبدأ من سنة ٦٤ هـ بقيام نافع بن الأزرق فمن بعده، وسمى ما قام به المحكِّمة الأولى فتناً داخلية. ونفى وجود أي صلة ما بين المحكِّمة الأولى والخوارج بقيادة نافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر، وغيرهما من الخوارج كما تقدم (٣٩).

ولا شك أن هذا القول فيه مغالطة خاطئة، ذلك أن الأحداث متسلسلة ومرتبطة من المحكِّمة إلى ظهور نافع بن الأزرق، بحيث يظهر أن الأولين هم سلف الخوارج. والحقيقة أن ظهور نافع بن الأزرق كان على طريقة من سبقه في الخروج إلا أنه ساعدته الظروف بحيث تغير وضع الخوارج من جماعات صغيرة تنور هنا وهناك إلى جماعات كبيرة هزت الدولة الأموية هزاً عنيفاً في فترات متقطعة.

(٣٨) الملل والنحل : ١ / ١٣٤ .

(٣٩) انظر: الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٧٧ و ٣٨٣ ((والأباضية في موكب التاريخ)) ص ٦٢ كلاهما لعلي يحيى معمر .

وزعم علي بن يحيى معمر أن لفظة الخوارج كاصطلاح على جماعة، لم يكن معروفاً بين الصحابة، وهذا غير صحيح، لأن لفظة الخوارج وردت في الأحاديث وفي كلام الصحابة كثيراً كعلي وعائشة وابن عباس وغيرهم من الصحابة.

وتعجب جداً حينما تر تعليلاً أطفيش وتبعه علي يحيى معمر لمعركة النهروان بين علي والمحكمة الأولى.

فهو لا يرى أن السبب فيها خروج أولئك عن الطاعة وسفكهم الدماء وإرهاب المسلمين، بل إن السبب في حرب عليّ لهم كما يرى هو أن القيادة أو الخلافة أسندت إلى أزدي-ابن وهب- لا إلى قرشي، فحاربهم علي عصبية لقريش<sup>(٤٠)</sup>.

فهل عليّ كان واثقاً من بقاء الخلافة لنفسه وهو في حالة حرب مع معاوية حتى يحارب لبقاء الخلافة في قريش.

ثم لو كان الأمر عصبية لقريش فلماذا لم يترك حرب معاوية ويسلمه الخلافة وهو قرشي! هذا أمر واضح لولا أن التعصب الذي يحمله بعض علماء الإباضية على عليّ رضي الله عنه هو الذي أدى بهم إلى هذا الخلط في الفهم وتغيير وقلب الحقائق.

ونذكر فيما يلي بعض النصوص من كلام علماء الإباضية حول الخوارج:

قال مؤلف كتاب الأديان وهو إباضي: ((الباب الخامس والأربعين في ذكر فرق الخوارج، وهم الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب لما حكّم، ثم أخذ يذكر الخوارج بهذا الاسم في أكثر من موضع من هذا الكتاب على سبيل المدح قائلاً: هم أول من أنكر المنكر على من عمل به، وأول من أبصر الفتنة و عابها على أهلها، لا يخافون في الله لومة لائم، قاتلوا أهل الفتنة حتى مضوا على الهدى)) إلى أن يقول:

((وتتابعت الخوارج وافترقت إلى ستة عشر فرقة بفرقة أهل الاستقامة يعني الإباضية))<sup>(٤١)</sup>.

(٤٠) الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٤٧٠ وانظر (( عمان تاريخ يتكلم )) ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٤١) قطعة من كتاب في الأديان لمؤلف أباضي مجهول الاسم ص : ٩٦ .

ويقول نور الدين السالمي عن الخوارج: ((لما كثر بذل نفوسهم في رضى ربهم وكانوا يخرجون للجهاد طوائف سُموا خوارج، وهو جمع خارجة وهي الطائفة التي تخرج في سبيل الله. وكان اسم الخوارج في الزمان الأول مدحاً لأنه جمع خارجة وهي الطائفة التي تخرج للغزو في سبيل الله))<sup>(٤٢)</sup>.  
ويقول صاحب كتاب وفاء الضمانة الإباضي: ((وكان الصفرية -إحدى فرق الخوارج- مع أهل الحق منا في النهروان))<sup>(٤٣)</sup>.

ولا أدري معنى لهذا الحرص من بعض الإباضية على عدم دخولهم في دائرة الخوارج. فإذا كانت الإباضية - كما هو معروف - تتولى المحكِّمة ويعتبرونهم سلفاً صالحاً لهم وينفون عنهم اسم الخارجية فلماذا تذكر بعض كتبهم لفظة المحكِّمة وتفسرها بين قوسين ((بالخوارج)) كما فعل السالمي في كتابه عمان تاريخ يتكلم! والأغرب من هذا أنه يسمي الخوارج في العصر العباسي بالمحكِّمة كما نرى في نص كلامه حين يقول موازناً بين قوة الخوارج في الدولتين الأموية والعباسية يقول:

((ولم تكن قوة المحكِّمة أو ((الخوارج)) في العصر العباسي كما كانت في العهد الأموي)).  
ثم يمضي المؤلف المذكور ذاكراً شواهد من مناوئة المحكِّمة أو الخوارج للعباسيين، ويمثل للخوارج بأئمة الإباضية المعتبرين عندهم مما يدل على أن لا فرق بين الخوارج و الإباضية في التسمية والمبادئ<sup>(٤٤)</sup>.

ومن هنا يتبين لنا أن تسميتهم باسم الخوارج قديمة وجدت قبل ظهور الأزارقة، سواء كان ذلك من التنبأ بظهورهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم أو في ترديد هذا الاسم على لسان علي رضي الله عنه، أو على ألسنة غيره من الناس وعلى ألسنة بعض علماء الإباضية أيضاً، وعلى هذا فلا يخطئ من ألق تسمية الإباضية بالخوارج، ويبقى ما امتاز به الإباضية من تسامح، أو تسامح أغلبيتهم تجاه مخالفين قائماً وثابتاً لهم ورغم ما يظهر أحياناً في بعض كتب الإباضية من الشدة والقسوة تجاه المخالفين لهم والحكم عليهم بالهلاك والخسران، كما يقرره الوار جلابي منهم في كتابه الدليل لأهل العقول.

(٤٢) نقله عنه على يحيى معمر الإباضى كما تقدمت الإشارة إليه . انظر : ص ٣٨٤ من كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية .

(٤٣) وفاء الضمانة بأداء الأمانة للعيزابي : ٢٢ / ٣ .

(٤٤) انظر عمان تاريخ يتكلم ص ١١٧ ، ١٢٠ .

## ٤- فرق الإباضية:

انقسمت الإباضية إلى فرق، منها ما يعترف به سائر الإباضية، ومنها ما ينكرونها ويشنعون على من ينسبها إليهم، ومن تلك الفرق:

١- الحفصية: أتباع حفص بن أبي المقدام.

٢- اليزيدية: أتباع يزيد بن أنيسة.

٣- الحارثية: أتباع حارث بن يزيد الإباضي.

٤- أصحاب طاعة لا يراد بها الله<sup>(٤٥)</sup>.

ولهذه الفرق من الأقوال والاعتقادات ما لا يشك مسلم في كفرهم وخروجهم عن الشريعة الإسلامية.

ورغم أن علماء الفرق قد أثبتوا نسبتها إلى الإباضية إلا أن عليّ معمر- في كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية- أخذ يصول ويجول وينفي وجود هذه الطوائف عند الإباضية أشد النفي، ويزعم أن علماء الفرق نسبوها إلى الإباضية ظلماً وخطأ<sup>(٤٦)</sup> وهذا الرد منه لا يسلم له على إطلاقه، لأن انحراف هذه الفرق في آرائهم لا يقوم دليل قاطع على عدم انتسابهم إلى الإباضية؛ إذ يجوز أن يكون هؤلاء الزعماء كانوا في صفوف الإباضية ثم انفصلوا عنهم بآرائهم الشاذة، وتظل نسبتهم إلى الإباضية ثابتة في الأصل، كما أنه لا يمنع أن يخرج بعض أفراد المذهب عن عامة أهل المذهب وتبقى نسبتهم إليهم لو مجرد التسمية- ثابتة- وإضافة إلى تلك الفرق السابقة فإنه يوجد ست فرق أخرى للإباضية في المغرب هي:

١- فرقة النكار: زعيمهم رجل يسمى أبا قدامة يزيد بن فندين الذي ثار في وجه إمام

الإباضية بالمغرب عبد الوهاب بن رستم. وسميت هذه الفرقة بالنكارية لإنكارهم إمامة ابن رستم.

وقد سميت الفرقة الموافقة لعبد الوهاب بن رستم ((بالوهابية أو الوهبية)).

٢- النفاثية: نسبة إلى رجل يسمى فرج النفوسي المعروف بالنفاث، ونفوسة قرية تقع في

ليبيا.

(٤٥) انظر مقالات الأشعري: ١/ ١٨٣، الفرق بين الفرق للبغدادي: ص ١٠٥، ٢٧٩.

(٤٦) الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٣.

٣-الخلفية: نسبة إلى خلف بن السمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الذي كانت له مناوشات مع الدولة الرستمية.

٤-الحسينية: وزعيمهم رجل يسمى أبا زياد أحمد بن الحسين الطرابلسي.

٥-السكاكية: نسبة إلى زعيمهم عبد الله السكاك اللواتي من سكان قنطرار، تميز بأقوال تخرجه عن الإسلام، وقد تبرأت من الإباضية.

٦-الفرثية: زعيمهم أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح.

ونفس الموقف السابق لعلّي يحيى بن معمر من الفرق السابقة وقفه أيضاً ضد هذه الفرق وأنكر أن تكون من الإباضية وشكك في وجود بعض هذه الفرق، فضلاً عن نسبتها إلى الإباضية<sup>(٤٧)</sup> إلا أن كثيراً من العلماء يذكرون أن هذه الفرق هي ضمن الإباضية بالمغرب.

## ٥-دولة الإباضية:

قامت للإباضية دولتان: إحداهما في المغرب والأخرى في المشرق -عمان- تمتع المذهب الإباضي فيهما بالنفوذ والقوة.

وساعد انتشار المذهب الإباضي في عمان بُعْدُها عن مقر الخلافة، ثم مسالكها الوعرة. ويرجع دخول المذهب الإباضي عمان إلى فرار بعض الخوارج بعد معركة النهروان إلى هذا البلد؛ كما يرى بعض العلماء.

ولكن السالمي من علماء الإباضية يرى أن دخول المذهب إلى عمان يرجع إلى قدوم عبد الله بن إباح.

وعلى أي حال فقد قوي المذهب وأراد أهل عمان الاستقلال عن الخلافة العباسية عهد السفاح والمنصور، وانتخبوا لهم خليفة هو الجلندي بن مسعود ابن جيفر الأزدي، إلا أن جيوش الخلافة العباسية قضت على حلم أهل عمان وظلت جزءاً من الدولة العباسية إلى سنة ١٧٧هـ، حيث بدأت نزعة الاستقلال وولوا عليهم سنة ١٧٩هـ إماماً منهم، واستمر ولا تهم في الحكم في عمان ابتداءً بأول خليفة وهو محمد بن أبي عفان الأزدي، ثم الوارث بن كعب الخروصي، ثم

(٤٧) انظر كتاب الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٥٨، ٢٧٨ .

غسان بن عبد الله، ثم عبد الملك بن حميد، ثم المهنا بن جيفر اليعمدي، ثم الصلت بن مالك الخروصي، ثم راشد بن النظر اليعمدي الخروصي، ثم عزام بن تميم الخروصي، ثم سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب، ثم راشد بن الوليد، ثم الخليل بن شاذان، ثم محمد علي، ثم راشد بن سعيد، ثم عامر بن راشد بن الوليد<sup>(٤٨)</sup>.

وبعده محمد بن غسان بن عبد الله الخروصي، والخليل بن عبد الله ومحمد بن أبي غسان وموسى بن أبي المعالي وخبش بن محمد والحواري بن مالك، وأبو الحسن بن خميس وعمر بن الخطاب ومحمد بن محمد بن إسماعيل الماضري وبركات بن محمد بن إسماعيل. ثم جاءت أئمة اليعاربة الذين قوي نفوذهم جداً واستمروا إلى أن حدثت الانشقاقات والتفرق بينهم، فتدخلت الدول الاستعمارية وقضت على الإمامة<sup>(٤٩)</sup>.

أما بالنسبة لدولة الإباضية في المغرب فإن قيام هذه الدولة كان نتيجة لانتشار المذهب الإباضي هناك بين قبائل البربر.

ولقد كانت البصرة هي إحدى القواعد الأساسية لدعاة المذهب الإباضي، حيث يتخرج منها دعاة هذا المذهب وينتشرون في أماكن كثيرة، وتعتبر المرجع لجميع الإباضية في كل مكان، إذ يأتون إليها ويتزودون منها علماً وخططاً لنشر مذهبهم وإقامة حكمهم، في ذلك الوقت وفد إليها رجال هذا المذهب ثم خرجوا إلى المغرب وأسسوا دولتهم إلى جانب دولة الصفرية الخارجية. وطريقة قيام المذهب الإباضي تمت بوضع خطة للقبض على زمام السلطة شيئاً فشيئاً، وكان أول زعيم لهم هو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، فاستولوا على طرابلس ثم عين عبد الرحمن الرستمي قاضياً عليها وواصل أبو الخطاب انتصاراته، ولكن جيش الخلافة العباسية دحرهم في معركة قتل فيها أبو الخطاب وتفرقت الإباضية.

ثم قام عبد الرحمن الرستمي الذي يعتبر مؤسس الدولة الرستمية الإباضية في المغرب بمحاولات الاستقلال، وتمت له السيطرة على أماكن كثيرة وسلموا عليه بالخلافة سنة ١٦٠ هـ وهو فارسي الأصل.

<sup>(٤٨)</sup> مخطوطة المازغينني في افتراق فرق الإباضية الست بالمغرب ص ١-٧ وانظر تعليق أبي إسحاق على كتاب الوضع للجانوني وانظر كذلك كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية : ٢/٤٨١، ١٥٢، ١٦٧، ١٧٤، ١٠٢، ١١٢، ٢٠٦ .  
<sup>(٤٩)</sup> انظر كتاب (( عمان تاريخ يتكلم )) ص ١٣١ للسالمي ، وكتاب (( الأزهار الرياضية للباروني )) : ٢/٢ والكامل لابن الأثير : ١٩٢ / ٥ - ١٩٤ .

وقد توفي سنة ١٧١ هـ فاختراروا ابنه عبد الوهاب الذي واصل تنمية المذهب واجتمعت عليه الكلمة إلى أن مات، فخلفه ابنه أفلح بن عبد الوهاب وسار على طريقة والده وأحبه الناس، وبعد وفاته تولى ابنه أبو اليقظان محمد ابن أفلح، فأحب الناس سيرته إلى أن توفي فخلفه ابنه أبو حاتم يوسف بن محمد بن أفلح إلا أن العلاقة ساءت بينه وبين عمه يعقوب بن أفلح ودارت بينهم معارك هائلة، ومن هنا بدأت الدولة الرستمية في الأفول وداهمتهم الشيعة بقيادة أبي عبيد الله الشيعي وانتهت أسرهم في سنة ٢٩٦ هـ فرثاهم علماء الإباضية كثيراً<sup>(٥٠)</sup>.

## ٦- موقف الإباضية من المخالفين لهم:

### أ- موقفهم من سائر المخالفين:

تتسم معاملة الإباضية لمخالفهم باللين والمسامحة وجوزوا تزويج المسلمات من مخالفهم وهذا ما يذكره علماء الفرق عنهم، إضافة إلى أن العلماء يذكرون عنهم كذلك أن الإباضية تعتبر المخالفين لهم من أهل القبلة كفار نعمة غير كاملي الإيمان ولا يحكمون بخروجهم من الملة، إلا أن هذا المدح ليس بالاتفاق بين العلماء؛ فهناك من يذكر عن الإباضية أنهم يرون أن مخالفهم محاربون لله ولرسوله وأنهم يعاملون المخالفين لهم أسوأ المعاملة. والحقيقة أن القارئ لكتب علماء الفرق يجد أنهم متعارضون في النقل عنهم إلا أن يقال: إن طائفة من الإباضية معتدلون وآخرون متشددون. ولهذا وجد علي يحيى معمر ثغرة في كلام علماء الفرق ليصفهم بالتناقض والاضطراب في النقل إلى آخر ما أورد من انتقادات لا تسلم له على إطلاقها.

وذلك أنك تجد في بعض كلام علماء الإباضية أنفسهم الشدة في الحكم على المخالفين لهم ووصفهم بأنهم الكفار وأنهم من أهل النار ما لم يدينوا بالمذهب الإباضي، وتجد آخرين يتسامحون في معاملة المخالفين لهم ويبدو عليهم اللين تجاههم.

وتجد التعصب في حكمهم على مخالفين ظاهراً قوياً من قراءتك لكتاب مقدمة التوحيد لابن جميع، وكتاب الحججة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد للعيزابي، ورسالة في فرق الإباضية

(٥٠) انظر الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية . الجزء الثاني في عدة صفحات منه .

بالمغرب للمارغيني، وكتاب الدليل لأهل العقول للورجلاني، وكذا العقود الفضية، وكشف الغمة الجامع لأخبار الأمة- فإن القارئ لهذه الكتب يجد التشدد تجاه المخالفين قائماً على أشده كما تشهد بذلك مصادرهم المذكورة.

ومع هذا فإن العلماء و المتقدمين وكثيراً من المتأخرين يذكرون عبارات كثيرة تصف الإباضية بالتسامح واللين تجاه المخالفين ممن يدعون الإسلام إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي وحرابة، ومع ذلك نفى عليّ يحيى معمر أن يكون من مذهب الإباضية أنهم يرون أن معسكر السلطان معسكر بغي وحرابة، ولكنه-وهو يقسم حكام المسلمين في كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية- جعل هذا الوصف ينطبق على الحاكم الذي يخرج عن العدل ولا يطبق أحكام الإسلام كاملة<sup>(٥١)</sup>.

ومن خلال الأمثلة الآتية من كلام العلماء حول موقف الإباضية من المخالفين لهم تجد مصداق ما قدمنا إجماله فيما يلي:

#### ١- اللين والتسامح مع المخالفين:

أ- ما قاله عنهم كتّاب الفرق.

ب- ما قالوه هم في كتبهم.

أما ما قاله علماء الفرق عنهم:

فمثلاً نجد أن الأشعري يقول: ((وأما السيف فإن الخوارج جميعاً تقول به وتراه، إلا أن الإباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف))<sup>(٥٢)</sup>.

وقال أيضاً: ((وجمهور الإباضية يتولى المحكّمة كلها إلا من خرج، ويزعمون أن مخالفهم من أهل الصلاة كفار ليسوا بمشركين))<sup>(٥٣)</sup>.

ثم قال عنهم كذلك: ((وزعموا أن الدار أي دار مخالفهم- دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار كفر يعني عندهم))<sup>(٥٤)</sup>.

(٥١) انظر الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٧، ٢٨.

(٥٢) المقالات ج١ ص ٢٠٤.

(٥٣) المقالات ١/١٨٤.

(٥٤) المصدر السابق ص ١٨٥.

إلى أن قال : (( وفي المعركة لا يقتلون النساء ولا الأطفال على عكس ما يفعله الأزارقة ))<sup>(٥٥)</sup>

أما البغدادي و الشهرستاني فيذكران عن الإباضية أنهم يرون أن مخالفهم براء من الشرك والإيمان، وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار<sup>(٥٦)</sup>.

وأما ما قالوه هم عن أنفسهم : فنجد صاحب كتاب الأديان الإباضي وهو يعدد آراء الأخنس -زعيم فرقة الأخنسية- يقول: ((وجوّز تزويج نساء أهل الكبائر من قومهم على أصول أهل الاستقامة))<sup>(٥٧)</sup>.

ونجده كذلك يؤكد على أنه لا يجوز من أهل القبلة إلا دماءهم في حالة قيام الحرب بينهم وبين الإباضية<sup>(٥٨)</sup>.

ويأتي أبو زكريا الجناوني فيؤكد أنه يجوز معاملة المخالفين معاملة حسنة، غير أنه ينبغي أن يدعو إلى ترك ما به ضلوا فإن أصروا ناصبهم إمام المسلمين الحرب حتى يدعنوا للطاعة ولا يحل منهم غير دمائهم<sup>(٥٩)</sup>.

وهناك نصوص في مسامحة الإباضية للمخالفين لهم من حسن المعاملة وعدم اغتيالهم أو استعراضهم وتحريم أموالهم.

يذكرها عنهم علي يحيى معمر مع عزوها إلى قائلها في كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية ، في معرض نقده كلام علماء الفرق عن الإباضية<sup>(٦٠)</sup> لا نرى ضرورة للتطويل بنقلها هنا.

## ٢- الشدة على المخالفين:

### ١- ما يقوله عنهم علماء الفرق:

يقول البغدادي عنهم: ((إنهم يرون أن المخالفين لهم كفار وأجازوا شهادتهم وحرّموا دماءهم في السر واستحلّوها في العلانية... وزعموا أنهم في ذلك محاربون لله ولرسوله ولا يدينون دين

<sup>(٥٥)</sup> المصدر السابق ص ٢٨٥ .

<sup>(٥٦)</sup> الفرق بين الفرق ص ١٠٣ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٣٤ .

<sup>(٥٧)</sup> كتاب الأديان ص - ١٠٥ .

<sup>(٥٨)</sup> المصدر السابق ص ٩٩ .

<sup>(٥٩)</sup> انظر كتاب الوضع للجناوي .

<sup>(٦٠)</sup> انظر الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٣٥ - ٣٨٥ .

الحق، وقالوا باستحلال بعض أموالهم دون بعض والذي استحلوه الخيل والسلاح، فأما الذهب والفضة فإنهم يردونها على أصحابها عند الغنيمة))<sup>(٦١)</sup>.

وكان الأشعري قد سبق إلى قوله عنهم.

((وقالوا جميعاً: إن الواجب أن يستتبيوا من خالفهم في تنزيل أو تأويل، فإن تاب وإلا قتل،

كان ذلك الخلاف فيما يسع جهله وفيما لا يسع<sup>(٦٢)</sup>.

## ٢- ما قالوه هم في كتبهم:

روى الجيظالي الإباضي عن الإمام عبد الوهاب أنه قال: سبعون وجهاً تحل بها الدماء،

فأخبرت منها لأبي مرداس بوجهين فقال: من أين هذا من أين هذا؟

وفي كتاب سير المشائخ أن الإمام كان يقول: عندي أربعة وعشرين وجهاً تحل بها دماء

أهل القبلة، ولم تكن منهم عند أبي مرداس رحمه الله إلى أربعة أوجه وقد شدد علي فيهم<sup>(٦٣)</sup>.

ويقول المارغيني منهم: ((وقالت المشائخ إن هذا الدين الذي دنا به الوهبيية من الإباضية

من الحكمة دين المصطفى صلى الله عليه وسلم هو الحق عند الله وهو دين الإسلام، من مات

مستقيماً عليه فهو مسلم عند الله، ومن شك فيه فليس على شيء منه، ومن مات على خلافه

أو مات على كبيرة موبقة فهو عند الله من الهالكين أصحاب النار))<sup>(٦٤)</sup>.

وقال العيزابي منهم: ((الحمد لله الذي جعل الحق مع واحد في الديانات فنقول معشر

الإباضية الوهابية: الحق ما نحن عليه والباطل ما عليه خصومنا؛ لأن الحق عند الله واحد، ومذهبنا

في الفروع صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفينا خطأ يحتمل الصدق))<sup>(٦٥)</sup>.

ولا يقلُّ الوار جلاي تشدداً عن من سبق، فهو يقول:

فإن قال قائل: هذه أمة أحمد صلى الله عليه وسلم قد قضيتم عليها بالهلاك وبالبدعة

والضلال وحكمتم عليها بدخول النار ما خلا أهل مذهبكم. قلنا: إنما قضاه رسول الله صلى الله

(٦١) الفرق بين الفرق ص ١٠٣ .

(٦٢) المقالات ج ١ ص ١٨٦ .

(٦٣) قواعد الإسلام ص ١٠٥ .

(٦٤) رسالة في فرق الإباضية للمغرب ص ١٣ .

(٦٥) الحجة في بيان الحجة في التوحيد بلا تقليد ص ٣٧ .

عليه وسلم- لا نحن- بقوله: حيث يقول: ((ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهن في النار ما خلا واحدة ناجية... كلهم يدعي تلك الواحدة))<sup>(٦٦)</sup>.

وهناك نصوص كثيرة أخرى في تزكية مذهبهم وبطلان ما عداه من المذاهب، وأن الله لا يقبل أي دين غير دين الإباضية والوهبية عن صاحب العقود الفضية<sup>(٦٧)</sup> و السالمي<sup>(٦٨)</sup> وجاعدين خميس الخروصي<sup>(٦٩)</sup>، وصاحب كشف الغمة<sup>(٧٠)</sup>، وصاحب النيل وشفاء العليل<sup>(٧١)</sup> وابن جميع<sup>(٧٢)</sup> وغيرهم من علماء الإباضية.

## ب- موقف الإباضية من الصحابة:

موقف الإباضية من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم:

من الأمور المتفق عليها عند سائر الخوارج الترضي التام والولاء والاحترام للخليفين الراشدين أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما، لم تخرج فرقة منهم عن ذلك. أما بالنسبة للخليفين الراشدين الآخرين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقد هلك الخوارج فيهما ودموهما مما برأهما الله عنه.

والذي يهمننا، أن نشير هنا إلى رأي الإباضية في الصحابة رضوان الله عليهم بإيجاز، تاركين تفصيل الحجج والردود عليها لمقام آخر:

### ١- موقف الإباضية من عثمان رضي الله عنه:

من الأمور الغريبة جداً أن تجد ممن يدعي الإسلام ويؤمن بالله ورسوله من يقع في بغض الصحابة؛ خصوصاً من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة وثبتت بذلك النصوص في حقه.

(٦٦) تقدم تخريج الحديث وذكر ألفاظه وهو في كتاب الدليل لأهل العقول ص ٣٥ - ٣٦ .

(٦٧) العقود الفضية ص ١٦٩ .

(٦٨) المصدر السابق ص ١٧٢ .

(٦٩) المصدر السابق ص ١٧٢ .

(٧٠) كشف الغمة ص ٣٠٦ .

(٧١) انظر النيل وشفاء ص ١٠٦١، ١٠٦٢ ج٣ .

(٧٢) مقدمة التوحيد ص ١٩ .

فعثمان رضي الله عنه صحابي جليل شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة، أما بالنسبة للخوارج فقد تبرءوا منه ومن خلافته، بل وحكموا عليه بالارتداد و العياذ بالله وحاشاه من ذلك.

وفي كتاب كشف الغمة لمؤلف إباضي من السب والشتم لعثمان ما لا يوصف، ولم يكتف بالسب والشتم، وإنما اختلق روايات عن بعض الصحابة يسبون فيها عثمان بزعمه ويحكمون عليه بالكفر<sup>(٧٣)</sup>، ولا شك أن هذا بهتان عظيم منه.

ويوجد كذلك كتاب في الأديان<sup>(٧٤)</sup> وكتاب آخر اسمه الدليل لأهل العقول<sup>(٧٥)</sup> للورجلاني، فيهما أنواع من السباب والشتم لعثمان ومدح لمن قتلوه؛ حيث سماهم فرقة أهل الاستقامة، وهم في الحقيقة بغاة مارقون لا استقامة لهم إلا على ذلك.

٢- وأما بالنسبة لموقفهم من علي رضي الله عنه: فإنه يتضح موقفهم منه بما جاء في كتاب كشف الغمة تحت عنوان فصل من كتاب الكفاية قوله: فإن قال ما تقولون في علي بن أبي طالب، قلنا له: إن علياً مع المسلمين في منزلة البراءة، وذكر أسباباً- كلها كذب- توجب البراءة منه في زعم مؤلف هذا الكتاب، منها حربه لأهل النهروان وهو تحامل يشهد بخارجيته المذمومة. وقد ذكر لوريمر عن موقف المطاوعة -جماعة متشددة في الدين- كما يذكر قوله: ((ويعتقد المطوعون أن الخليفة علياً لم يكن مسلماً على الإطلاق؛ بل كان كافراً!!))<sup>(٧٦)</sup>.

كما تأول حفص بن أبي المقدم بعض آيات القرآن على أنها واردة في علي، وقد كذب حفص<sup>(٧٧)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن علي يحيى معمر -المدافع القوي عن الإباضية يزعم أن الإباضية لا يكفرون أحداً من الصحابة، وأنهم يترضون عن علي رضي الله عنه فهو ينقل عن كتاب وفاء الضمانة بأداء الأمانة مدحاً وثناءً لعلي<sup>(٧٨)</sup>.

(٧٣) كشف الغمة ص ٢٦٨ .

(٧٤) كتاب الأديان ص ٢٦ - ٢٧ .

(٧٥) الدليل لأهل ص ٢٨-٢٨ .

(٧٦) دليل الخليج : ٣٤٠٦/٦ .

(٧٧) انظر المقالات : ١ / ١٨٣ .

(٧٨) وفاء الضمانة : ٢٢/٣ .

وأورد علي يحيى معمر فصلاً طويلاً بيّن فيه اعتقاد الإباضية في الصحابة بأنهم يقدرونهم حق قدرهم، ويترضون عنهم ويسكتون عما جرى بينهم، ونقل عن أبي إسحاق أطفيش في رده على الأستاذ محمد بن عقيل العلوي أنه قال له: أما ما زعمت من شتم أهل الاستقامة لأبي الحسن علي وأبنائه فمحض اختلاق.

ونقل عن التعاريفي أيضاً مدحه للصحابة خصوصاً علياً وأبنائه، وكذلك التندميري الإباضي.

وأخيراً قال علي يحيى معمر: ((ولم يكن يوماً من الأصحاب شتم له أو طعن، اللهم من بعض الغلاة، وهم أفذاذ لا يخلو منهم وسط ولا شعب))<sup>(٧٩)</sup>.

وهذه الحقيقة التي اعترف بها أخيراً تجعل ما ملأ به كتابه الإباضية بين الفرق من الشتائم على كل كتاب الفرق غير صحيح، فما الذي يمنع أن يكون نقل هؤلاء العلماء يصدق على أقل تقدير على هؤلاء الأفذاذ الذين أشار إليهم، مع أن ما يذكره علي يحيى معمر لا يتفق مع النصوص المستفيضة عن علماء الإباضية في ذمهم لبعض الصحابة، فهل الوجداني يُعتبر - على حد التعبير السابق ليحيى معمر - من الغلاة المتشددين، وهو من هو في صفوف الإباضية؟

فهذا الرجل يواصل في كتابه الدليل لأهل العقول تكفيره وشتمه لمعاوية رضي الله عنه ولعمرو بن العاص، بل قد قال زعيم الإباضية عبد الله بن إباح نفسه في كتابه لعبد الملك عن معاوية ويزيد وعثمان كما يرويه صاحب كشف الغمة: ((إنا نُشهد الله وملائكته أنا براء منهم وأعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا، نعيش على ذلك ما عشنا، ونموت عليه إذا متنا، ونبعث عليه إذا بعثنا، نحاسب بذلك عند الله)) وكفى بهذا خروجاً.

وصاحب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة يشتم الحسن والحسين رضي الله عنهما، وأوجب البراءة منهما بسبب ولايتهما لأبيهما على ظلمه وغشمه، كما يزعم - كذلك بسبب قتلهما عبد الرحمن بن ملجم، وتسليمهما الإمامة لمعاوية، وهي أسباب لا يعتقدها من عرف الصحابة الذين شهد الله ورسوله لهم بالسابقة والفضل، ولكن انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر، وصدق الشاعر حين قال:

(٧٩) الإباضية بين الفرق ص ٢٨٧ .

## وإذا أتتك مذمتي من ناقص\*\*\* فهي الشهادة لي بأبي فاضل

ونفس الموقف الذي وقفه الخوارج عموماً و الإباضية أيضاً من الصحابة السابقين - وقفوه أيضاً من طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وأوجب لهما الورجلاني النار<sup>(٨٠)</sup>، وقد بشرهما الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة، وهؤلاء يوجبون عليهما النار، فسبحان الله ما أجرأ أهل البدع و الزيغ على شتم خيار الناس بعد نبيهم الذين نصرُوا الإسلام بأنفسهم وأموالهم وأولادهم ومات الرسول صلى الله عليه وسلم وهو راضٍ عنهم!!

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه))<sup>(٨١)</sup>، وأنه لما يحار فيه الشخص هذا الموقف من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا كان أخص أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم غير مرضيين عند هذه الطوائف من خوارج وشيعة فمن المرضي بعد ذلك؟

## ٧- عقائد الإباضية:

من الأمور الطبيعية أن تخرج هذه الفرقة وغيرها من الفرق عن المعتقد السليم في بعض القضايا ما دامت قد خرجت عن أهل السنة والجماعة وارتكبت التأويل، ولا بد كذلك أن توجد لها أقوال فقهية تخالف فيها الحق إلى جانب أقوالهم في العقيدة، ولا يسعنا هنا ذكر جميع مبادئ فرقة الإباضية العقدية والفقهية، فهذا له بحث مستقل خصوصاً ما يتعلق بالمسائل الفقهية، فإن دارس الفرق قلما يوجه همه إلى إيضاها وتفصيلاتها إلا عند الضرورة.

والذي نود الإشارة إليه هنا أن الإباضية أفكاراً عقدياً وافقوا فيها أهل الحق، وعقائد أخرى جانبوا فيها الصواب.

١- أما ما يتعلق بصفات الله تعالى : فإن مذهب الإباضية فيها أنهم انقسموا إلى فريقين : فريق نفى الصفات نفياً تاماً خوفاً من التشبيه بزعمهم ، وفريق منهم يرجعون الصفات إلى الذات فقالوا أن الله عالم بذاته وقادر بذاته وسميع بذاته إلخ الصفات فالصفات عندهم عين الذات ، قال أحمد بن النضر :

(٨٠) انظر : كشف الغمة ص ٣٠٤ . الدليل لأهل العقول ص ٢٨ .

(٨١) أخرجه مسلم ١٨٨/٧ .

وهو السميع بلا أداة تسمع \*\*\* إلا بقدره قادر وحداني  
وهو البصير بغير عين ركبت \*\*\* في الرأس بالأجفان واللحظان  
جل المهمين عن مقال مكيف \*\*\* أو أن ينال دراهمه بمكان  
أو أن يحيط به صفات معبرس \*\*\* أو تعتريه همهم الوسنان (٨٢)  
ويقول السالمى :

أسمائه وصفات الذات \*\*\* ليس بغير الذات بل عينها فافهم ولا تحلا  
وهو على العرش والأشياء استوى \*\*\* وإذا عدلت فهو استواء غير ما عقلا  
وإنما استوى ملك ومقدرة \*\*\* له على كلها استيلاء وقد عدلا  
كما يقال استوى سلطانهم فعلى \*\*\* على البلاد فحاز السهل والجبال (٨٣)

وقال العيزابي منهم (( الحمد لله الذي استوى على العرش أي ملك الخلق واستولى عليه  
وإلا لزم التحيز وصفات الخلق )) (٨٤)

وهذا في حقيقته نفي للصفات ولكنه نفي مغطي بجيله إرجاعها إلى الذات وعدم  
مشابقتها لصفات الخلق وقد شنع الوريثاني منهم على الذين يثبتون الصفات بأنهم مشبهة  
كعبادة الأوثان وأن مذهب أهل السنة هو - حسب زعمه - تأويله الصفات فاليد النعمة  
والقدرة والوجه الذات ومجئ الله مجئ أمره لفصل القضاء لأن إثبات هذه الصفات لله هو عين  
التشبيه كما يزعم (٨٥).

ومعلوم لطلاب العلم أن هذا ليس هو مذهب السلف الذي يثبتون الصفات لله كما  
وصف نفسه في كتابه الكريم ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تشبيه ولا تعطيل ولا  
تحريف ولا تمثيل . قال ابن تيمية في بيان مذهب السلف : (( أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه  
وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل ))

(٨٢) كتاب الدعائم ص : ٣٤ .  
(٨٣) غاية المراد ص : ٧ .  
(٨٤) الحجة في بيان المحجة ص ٦٠١٨ .  
(٨٥) الدليل لأهل العقول ص : ٣٢ .

ويقول ابن القيم :

(( لا ريب أن الله وصف نفسه بصفات وسمى نفسه بأسماء ، وأخبر عن نفسه بأفعال وأخبر أنه يحب ويكره ويمقت ويغضب ويسخط ويحیی ويأتي وينزل إلى السماء الدنيا ، وأنه استوى على عرشه ، وأن له علما وحياة وقدرة وإرادة وسمعا وبصراً ووجهاً ، وأن له يدين وأنه فوق عباده وأن الملائكة تعرج إليه وتنزل من عنده ، وأنه قريب ، وأنه مع المحسنين ومع الصابرين ومع المتقين ، وأن السموات مطويات بيمينه ، ووصفه رسوله بأنه يفرح ويضحك وأن قلوب العباد بين أصابعه وغير ذلك )) . (٨٦)

فهل يعتبر هذا الوصف تشبيه لله بخلقه ؟ { قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ } (٨٧)

وطريقة السلف في إثبات كل صفة لله أنهم يقولون فيها أنها معلومة والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة . وأن الله { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } (٨٨) . وهذه الآية أساس واضح في إثبات الصفات لله .

ولم ير أهل السنة أن إثبات الصفات يؤدي إلى التشبيه لمعرفتهم أن الإتيان في التسمية لا يستلزم الاتفاق في الذات فالله سميع وبصير والإنسان بصير وبين الذاتين ما يعرفه كل عاقل من الفرق ومن تصور التشبيه فقد جمع بين التشبيه والتعطيل .

والحاصل أن الإباضية هنا وافقوا المعتزلة والأشاعرة وغيرهم من أهل الفرق في باب الصفات معتمدين على عقولهم وعلى شبهات وتأويلات باطلة على أن الإباضية أنفسهم مختلفون في إثبات صفات الله تعالى فأباضية المشرق يختلفون عن أباضية المغرب ذلك أن أباضية المشرق تعتقد أن صفات الله تعالى حادثة وأباضية المغرب تعتقد أنها قديمة وبين الفريقين من التباعد في هذا مالا يخفى . (٨٩)

٢- وأما عقيدة الإباضية في استواء الله وعلوه ، فإنهم يزعمون أن الله يستحيل أن يكون مختصاً بجهة ما بل هو في كل مكان وهذا قول بالحلول وقول الغلاة الجهمية ولهذا فقد فسر الإباضية معنى استواء الله على عرشه باستواء أمره وقدرته ولطفه فوق خلقه أو استواء ملك

(٨٦) مختصر الصواعق المرسله من ص ١٦ إلى ص ٢٩ .

(٨٧) [ البقرة: الآية ١٤٠ ]

(٨٨) سورة الشورى : ١١

(٨٩) انظر الإباضية عقيدة ومذهباً للدكتور صابر طعيمة ص ٣٥ .

ومقدرة وغلبة وإذا قيل لهم لما خص العرش بالاستيلاء والغلبة أحابوا بجواب واه قالوا لعظمتك ، وقد خرجوا بهذه التاويلات عن المنهج الشرعي إلى إعمال العقل واللغة بتكلف ظاهر مخالف للاعتقاد السليم والمنطق والفطرة .

٣- وذهبت الإباضية في باب رؤية الله تعالى إلى إنكار وقوعها لأن العقل - كما يزعمون - يحيل ذلك ويستبعده واستدلوا بقوله تعالى : { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ } (٩٠) وأولوا معنى الآية تأويلاً خاطئاً على طريقة المعتزلة .

ومن أدلتهم قوله تعالى { قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي } (٩١) .

واستدلوا من السنة بحديث عائشة حين سئلت عن الرسول صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة الإسراء فأجابت بالنفي كما رواه صاحب وفاء الضمانة (٩٢) وقد أورد الربيع بن حبيب صاحب كتاب الجامع الصحيح أو مسند الربيع الذي هو عندهم بمنزلة صحيح البخاري ومسلم عند أهل السنة ويعتبرونه أصح كتاب بعد القرآن الكريم - كما يزعمون . أورد عدة روايات عن بعض الصحابة - تدل على إنكارهم رؤية الله تعالى بزعمه (٩٣) .

والواقع أن كل استدلالاتهم التي شابهوا فيها المعتزلة ، إما استدلالات غير صحيحة الثبوت أو صحيحة ولكن أولوها على حسب هواهم في نفي الرؤية . فإن الآية الأولى ليس فيها نفي الرؤية وإنما نفي الإحاطة والشمول فالله يرى ولكن من غير إحاطة به عز وجل .

وقوله لموسى { لَنْ تَرَانِي } أي في الدنيا وقد علق الله إمكان رؤيته تعالى بممكن وهو استقرار الجبل .

(٩٠) سورة الأنعام : ١٠٣ .  
(٩١) الأعراف: الآية ١٤٣  
(٩٢) وفاء الضمانة ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ .  
(٩٣) انظر : مسند الربيع بن حبيب : ٣ / ٣٥ .

وحديث عائشة إنما أرادت نفى أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه في ليلة الإسراء وليس المقصود نفى الرؤية مطلقاً فهذا لم ترده أم المؤمنين ومن فهم النفي مطلقاً فهو سيئ الفهم جاهل بالنصوص .

وخلاصة القول في هذه المسألة أن رؤية الله تعالى تعتبر عند السلف أمراً معلوماً من الدين بالضرورة لا يمارى فيها أحد منهم بعد ثبوتهم في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفي أقوال الصحابة رضي الله عنهم وفي أقوال علماء السلف قاطبة رحمهم الله تعالى .

٤ - ومن عقائد بعض الإباضية في كلام الله تعالى القول بخلق القرآن - بل حكم بعض علمائهم كابن جميع والورجلاني أن من لم يقل بخلق القرآن فليس منهم . (٩٤)

وقد عرف المسلمون أن القول بخلقه من أبطل الباطل إلا من بقى على القول بخلقه منهم وهم قلة شاذة بالنسبة لعامة المسلمين وموقف إمام السنة أحمد بن حنبل رحمه الله وهو القول بأن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ واليه يعود ولا يتسع المقام هنا لبسط شبه القائلين بخلقه وأدلة من يقول بعدم خلقه وردهم على أولئك المخطئين .

ومن قذف الله الإيمان والنور في قلبه يعلم أن الله تعالى تكلم بالقرآن وبلغه جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم والكلام صفة لله تعالى ، ومما ينبغي الإشارة إليه هنا بعض الإباضية قد خرج عن القول صفة لله تعالى ، ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن بعض الإباضية قد خرج عن القول بخلق القرآن كصاحب كتاب الأديان (٩٥) وكذا أبو النضر العماني (٩٦) وردا على من يقول بخلقه وبسطا الأدلة في ذلك وبهذا يتضح أن الإباضية قد انقسموا في هذه القضية إلى فريقين .

٥ - وقد اعتدل الإباضية في مسألة ووافقوا أهل السنة فأثبتوا القدر خيره وشره من الله تعالى وأن الله خالق كل شيء وأن الإنسان فاعل لأفعاله الاختيارية مكتسب لها محاسب عليه وبهذا المعتقد صرح زعماءهم كالنفوسي (٩٧) والعيزابي (٩٨) والسالم (٩٩) وعلى يحي معمر (١٠٠).

(٩٤) مقدمة التوحيد ص ١٩ الدليل لأهل العقول ص : ٥٠ .

(٩٥) كتاب الأديان ص ١٠٤ .

(٩٦) كتاب الدعائم ص : ٣١ - ٣٥ .

(٩٧) متن النونية ص : ١٢ .

(٩٨) الحجة في بيان المحجة ص ٢٣ .

(٩٩) غاية المراد ص ٩ .

(١٠٠) الإباضية بين الفرق ص ٢٤٨ .

٦- وقد اختلف الأباضيون في إثبات عذاب القبر . فذهب قسم منهم إلى انكاره موافقين بذلك سائر فرق الخوارج . وذهب قسم آخر إلى إثبات قال النفوس في متن النونية :

**وأما عذاب القبر ثبت جابر \*\*\* وضعفه بعض الأئمة بالوهن (١٠١)**

ومعتقد السلف جميعاً هو القول بثبوت عذاب القبر ونعيمه كما صحت بذلك النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة ومن أنكره فليس له دليل إلا مجرد الاستبعاد ومجرد الاستبعاد ليس بدليل .

٧- ويثبت الأباضيون وجود الجنة والنار الآن ويثبتون الحوض ويؤمنون بالملائكة والكتب المنزلة .

٨- وأما بالنسبة للشفاعة : فإن الإباضية يثبتونها ولكن لغير العصاة للمتقين وكأن المتقى في نظرهم أحوج إلى الشفاعة من المؤمن العاصي . قال صاحب كتاب الأديان - والشفاعة حق للمتقين وليست للعاصين (١٠٢) .

وقال السالمي :

**وما الشفاعة إلا للتقي كما \*\*\* قد قال رب العلا فيها وقد فصلا (١٠٣)**

وذكر الربيع بن حبيب روايات عن الرسول صلى الله عليه وسلم تدل في زعمه على هذا المعتقد وقرر الحارثي في كتابه العقود الفضية تلك القضية (١٠٤) .

ومذهب أهل السنة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشفع في عصاة المؤمنين أن لا يدخلوا النار ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها بعد إذن الله ورضاه وثبت أن الله يقبل شفاعته في ذلك وشفاعة الصالحين من عباده بعضهم في بعض .

٩- وأما الميزان : الذي جاءت به النصوص وثبت أن له كفتان حسيتان مشاهدتان توزن فيه أعمال العباد كما يوزن العامل نفسه فإن الإباضية تنكر هذا الوصف ويثبتون وزن الله للنيات والأعمال بمعنى تمييزه بين الحسن منها والسيئ وإن الله يفصل بين الناس في أمورهم ويقفون عند

(١٠١) متن النونية ص : ٢٧ .

(١٠٢) انظر : كتاب الأديان ص ٥٣

(١٠٣) غاية المراد ص ٩ .

(١٠٤) مسند الربيع بن حبيب ، الجامع الصحيح : ٤ / ٣٤ ، ٣١ .

هذا الحد غير مثبتين ما جاءت به النصوص من وجود الموازين الحقيقية في يوم القيامة<sup>(١٠٥)</sup> وعلى الصفات التي جاءت في السنة النبوية .

١٠ - وكما أنكر الإباضية الميزان أنكروا كذلك الصراط وقالوا إنه ليس بجسر على ظهر جهنم<sup>(١٠٦)</sup> ، وذهب بعضهم - وهم قلة - إلى إثبات الصراط بأنه جسر ممدود على متن جهنم حسبما نقله د/ صابر طعيمة عن الجيطالي من علماء الإباضية<sup>(١٠٧)</sup> والسلف على اعتقاد أن الصراط جسر جهنم وأن العباد يمرون عليه سرعة وبطئاً حسب أعمالهم ومنهم من تخطفه كلاليب النار فيهوى فيها .

١١ - ووافق -معظم الإباضية - السلف في حقيقة الإيمان من أنه قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية<sup>(١٠٨)</sup> وقد خالف بعضهم فذهب إلى الإيمان يزيد ولا ينقص وقد نقل الدكتور صابر صعيمة بعض الأدلة من كتبهم على هذا الرأي<sup>(١٠٩)</sup>

١٢ - وزيادة الإيمان ونقصه مسألة خالف فيها الإباضية سائر الخوارج الذين يرون أن الإيمان جملة واحدة لا يتبعض وأن العبد يكفر ويذهب إيمانه بمجرد مواقفته للذنوب ويسمونه كافراً ومخلداً في النار في الآخرة إلا أن الإباضية مع موافقتهم للسلف في الحكم لكنهم يسمون المذنب كافر كفر نعمة ومنافقاً .

يقول إعوشت (( فالكفر إذن عند الإباضية ينقسم إلى ما يلي : ١ - كفر نعمة ونفاق وبتمثل في المسلم الذي ضيع الفرائض الدينية أو ارتكب الكبائر أو جمع بينهما . ))<sup>(١١٠)</sup>.

وفي الآخرة مخلد في النار إذا مات من غير توبة<sup>(١١١)</sup>، وكان الحال يقتضى أنهم لا يطلقون عليه كلمة الكفر ولا النفاق ولا يحكمون عليه بالخلود في النار بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ونجد هنا أن الإباضية وافقوا أيضاً سائر الخوارج في الحكم على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار إذا مات قبل التوبة بناء على اعتقاد إنفاذ الوعيد لا محالة .

(١٠٥) متن النونية ص ٢٥ .

(١٠٦) انظر غاية المراد ص ٩ .

(١٠٧) قناطر الخبرات : ٣١٨ / ١ - ٣١٩ نقلاً عن الإباضية عقيدة ومذهباً ص ١٢٦

(١٠٨) كتاب الأديان ص ٥٣ غاية المراد ص ٧ .

(١٠٩) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ١١٦ - ١١٧ .

(١١٠) الإباضية بين الفرق - علي معمر ص ٢٨٩ ، غاية المراد ص ١٨ للسالمي .

(١١١) متن النونية ص ١٨ .

واستدلوا بسائر أدلة الخوارج على كفر مرتكب الكبيرة وخلوده في النار وأهل السنة لا يرون ذلك بل يقولون إذا مات المذنب قبل التوبة فأمره إلى الله وهو تحت المشيئة ، ويقولون أيضاً أن أخلاف الوعد مذموم وإخلاف الوعيد كرم وتجاوز .

١٣- وأما مسألة الإمامة والخلافة فقد ذكر بعض العلماء عن الإباضية في مسألة الإمامة والخلافة أن الإباضية يزعمون أنه قد يستغني عن نصب الخليفة ولا تعود إليه حاجة إذا عرف كل واحد الحق الذي عليه للآخر ، وهذا القول أكثر ما شهر عن المحكّمة والنجدات .

وأما الإباضية فقد ذكر هذا القول عنهم . ج لوريمر في كتابه دليل الخليج<sup>(١١٢)</sup> ولكن بالرجوع إلى كتب الإباضية نجد أنهم ينفون هذا القول عنهم ويعتبرونه من مزاعم خصومهم عنهم وإن مذهبهم هو القول بوجوب نصب حاكم للناس ومن قال غير هذا عنهم فهو جاهل بمذهبهم على حد ما يقوله علماءهم كالسالمي وعلي يحي معمر وغيرهما .

قال السالمي : (( والإمامة فرض بالكتاب والسنة والإجماع والاستدلال ))<sup>(١١٣)</sup> وموقفهم هذا يتفق مع مذهب أهل السنة فإنهم يرون وجوب نصب الحاكم حتى وإن كانوا جماعة قليلة ، فلو كانوا ثلاثة في سفر لوجب تأمير أحدهم كما دلت على ذلك النصوص الثابتة وأن من قال بالاستغناء عن نصب الحاكم فقد كابر عقله وكذب نفسه ورد عليه الواقع من حال البشر وصار ما يقوله من نسج الخيال وأدلته على الاستغناء مردودة واهية .

والخوارج كافة ينظرون إلى الإمام نظرة حازمة هي إلى الريبة منه أقرب ولهم شروط قاسية جداً قد لا تتوفر إلا في القليل النادر من الرجال وإذا صدر منه أقل ذنب فإما أن يعتدل ويعلن توبته وإلا فالسيف جزاؤه العاجل .

وقد جوّز الإباضية كأهل السنة صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل إذا تمت للمفضول ؛ خلاف لسائر الخوارج .<sup>(١١٤)</sup>

١٤- وجوز الإباضية التقية خلاف لأكثر الخوارج<sup>(١١٥)</sup> . وقد أورد الربيع بن حبيب في مسنده روايات في الحث عليها تحت قوله (( باب ما جاء في التقية )) ومنه قال جابر سئل ابن

(١١٢) دليل الخليج لوريمر ٦/ ٣٣٠٣ وانظر الفصل لابن حزم : ٨٧/٤ .

(١١٣) الإباضية بين الفرق - على معمر ص ٢٨٩ ، غاية المراد ص ١٨ للسالمس .

(١١٤) الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٤٦٢ .

(١١٥) انظر مسند الربيع بن حبيب : ١٢/٣ .

عباس عن التقية فقال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (( رفع الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما لم يستطيعوا وما أكرهوا عليه ))

قال : (( وقال ابن مسعود ما من كلمة تدفع عني ضرب سوطين إلا تكلمت بها وليس الرجل على نفسه بأمين إذا ضرب أو عذب أو حبس أو قيد ))<sup>(١١٦)</sup> أي وهو يجد خلاصاً في الأخذ بالتقية

وبهذا نكتفي بما تقدم ذكره عن فرقة الإباضية .

\* \* \* \* \*

---

(١١٦) مسند الربيع بن حبيب : ج٣ ص ١٢ . وقد أخرج الحديث ابن ماجه في سننه ٦٥٩/١ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/٣٥٦ ، ٣٥٧ ، والحاكم في المستدرک ٢/١٩٨ ، والدارقطني في سننه ٤/١٧٠ . ولفظ الحديث (( إن الله وضع عن أكتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، بدون (( وما لم يستطيعوا )) الزائدة عند الربيع .

## الفصل التاسع

### إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للخوارج. وفيه مسائل.

وتشمل المسائل الآتية :

خاض الخوارج - كغيرهم من الفرق - في مسائل اعتقادية إلا أن الخوارج بصفة خاصة لم تصل إلينا أكثر آراءهم من كتبهم وإنما وصلت إلينا من كتب أهل السنة وقد صح نقل أهل السنة وغيرهم من علماء الفرق الآخرين وقد ذكرنا فيما مضى السبب في قبولنا لتلك النقول عن الخوارج وفيما يلي نذكر أهم المسائل التي كان للخوارج فيما دور بارز :

#### ١- هل الخوارج يقولون بالتأويل أم بظاهر النص فقط

تعريف التأويل في اللغة :

يطلق التأويل في اللغة على عدة معاني منها التفسير والمرجع والمصير والعاقبة وتلك المعاني موجودة في القرآن والسنة قال الله تعالى {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ} (١١٧) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه لابن عباس (( اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل )) .

تعريفه في الاصطلاح : عند السلف له معنيين :

١- يطلق بمعنى التفسير والبيان وإيضاح المعاني المقصودة من الكلام فيقال تأويل الآية كذا ؛ أي معناها .

٢- ويطلق بمعنى المآل والمرجع والعاقبة فيقال هذه الآية مضى تأويلها وهذه لم يأت تأويلها .

والفرق بينهما : أنه لا يلزم من معرفة التأويل بمعنى التفسير معرفة التأويل الذي هو بمعنى المصير والعاقبة فقد يعرف معنى النص ولكن لا تعرف حقيقته كأسماء الله وصفاته فحقيقتها وكيفيتها كما هي غير معلومة لأحد بخلاف معانيها .

٣- وعند الخلف من علماء الكلام والأصول والفقهاء هو صرف اللفظ عن المعنى الراجع إلى المعنى المرجوح .

وهذا التأويل مرفوض عند السلف واعتبروه تحريفاً باطلاً في باب الصفات الإلهية<sup>(١١٨)</sup> وقد ظهر هذا المعنى للتأويل متأخراً عن عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة بل ظهر مع ظهور الفرق ودخلوا منه إلى تحريف النصوص وكانت له نتائج خطيرة إذ كلما توغلوا في تأويله المعاني وتحريفها كلما بعدوا عن المعنى الحق الذي تهدف إليه النصوص وبالنسبة لموقف الخوارج فإن العلماء اختلفوا في الحكم على الخوارج بأنهم نصيون أو مؤولون.

١- فذهب بعضهم إلى أن الخوارج نصيون يجمدون على المعنى الظاهر من النص دون بحث عن معناه الذي يهدف إليه وهذا رأي أحمد أمين<sup>(١١٩)</sup> وأبو زهرة<sup>(١٢٠)</sup>

٢- وذهب آخرون إلى أن الخوارج يؤولون النصوص تأويلاً يوافق أهوائهم وقد غلطوا حين ظنوا أن تأويلهم هو ما تهدف إليه النصوص وعلى هذا الرأي ابن عباس وشيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(١٢١)</sup> وابن القيم<sup>(١٢٢)</sup>.

٣- ومن العلماء من ذهب إلى القول بأن الخوارج ليسوا على رأي واحد في هذه القضية بل منهم نصيون ومنهم مؤولون كما ذهب إلى هذا الأشعري في مقالاته<sup>(١٢٣)</sup>.

وهذا هو الراجح فيما يبدو من آراء الخوارج ولا يقتصر الأمر على ما ذكره من اعتبار بعض الفرق نصيين وبعضهم مؤولين مجتهدين وإنما يتردد أمر الخوارج بين هذين حكمهم على الخوارج كما يتضح ذلك جلياً في مواقف الخوارج المختلفة .

ويبدو لي أن التأويل الذي نفاه الأستاذ أحمد أمين والشيخ أبو زهرة رحمهما الله إنما هو التأويل الصحيح الذي يفهم صاحبه النص على ضوء مقاصد الشريعة .

وأما التأويل الذي يثبت للخوارج أصحاب الاتجاه الثاني ويذمونهم به فهو حمل الكلام على غير محامله الصحيحة وتفسيره تفسيراً غير دقيق .

---

(١١٨) كتحريرات الجهمية .  
(١١٩) ضحى الإسلام : ٣ / ٣٣٤ .  
(١٢٠) تاريخ المذاهب الإسلامية : ٦٦ / ١ .  
(١٢١) النبوات ص ٨٩ .  
(١٢٢) النونية ص ٨٥ .  
(١٢٣) مقالات الأشعري : ١ / ١٨٣ .

## ٢- موقف الخوارج من صفات الله عز وجل .

هذه المسألة لم أجد فيما تيسر لي الاطلاع عليه من كتب علماء الفرق بياناً لرأي الخوارج فيها بصفة عامة .

وقد ذكر الشهرستاني عن فرقة الشيبانية قولاً لأبي خالد زياد بن عبدالرحمن الشيباني في صفة العلم لله أنه قال : (( إن الله لم يعلم حتى خلق لنفسه علماً ، وأن الأشياء إنما تصير معلومة له عند حدوثها )) . (١٢٤).

وأما بالنسبة لفرقة الإباضية بخصوصهم - فقد تبين من أقوال علمائهم أنهم يقفون منها موقف النفي أو التأويل بحجة الابتعاد عن اعتقاد المشبهة فيها كما تقدم . وموضوع الصفات والبحث فيها يحتاج إلى دراسة مستقلة وبالرجوع إلى أي كتاب من كتب السلف يتضح الحق فيها بكل يسر وسهولة .

وأما بالنسبة لما ذكر عن رأي زياد بن عبدالرحمن أو الإباضية فلا شك أنه لا يتفق مع المذهب الحق - مذهب السلف - ولو كان الأمر يخص زياد بن عبدالرحمن وحده لما كان له أدنى أهمية ، ولكن الأمر أخطر من ذلك ، فقد اعتقدت الجهمية ذلك . وبطلان هذا القول ظاهر والتناقض فيه واضح .

فإن صفات الله عز وجل قديمة بقدمه غير مخلوقة وما يخلق الله من الموجودات وإنما يخلقه عن علم وإرادة ، إذا استحيل التوجه إلى الإيجاد مع الجهل ، ثم كيف علم الله أنه بغير علم حتى يخلق لنفسه علماً ؟ هذا تناقض ظاهر .

## ٣- حكم مرتكبي الذنوب عند الخوارج

اختلف حكم الخوارج على أهل الذنوب بعد اتفاقهم بصفة عامة على القول بتكفيرهم كفر ملة . وحاصل الخلاف نوجزه فيما يلي .:

١- الحكم بتكفير العصاة كفر ملة ، وأنهم خارجون عن الإسلام ومخلدون في النار مع سائر الكفار . وهذا رأي أكثرية الخوارج .

وعلى هذا الرأي من فرق الخوارج : المحكمة والأزارقة والمكرمية والشيبية من البيهسية واليزيدية والنجيدات . إلا أنهم مختلفون في سبب كفره :

فعند المكرمية أن سبب كفره ليس لتركه الواجبات أو انتهاك المحرمات وإنما لأجل جهله بحق الله إذ لم يقدره حق قدره .

وأما النجيدات فقد فصلوا القول بحسب حال المذنب ، فإن كان مصرّاً فهو كافر ولو كان إصراره على صغائر الذنوب ، وإن كان غير مصر فهو مسلم حتى وإن كانت تلك الذنوب من الكبائر وهو تفصيل بمحض الهوى والأمانى الباطلة .

٢- أنهم كفار نعمة وليس كفار ملة .:

وعلى هذا المعتقد فرقة الإباضية كما تقدم . ومع هذا فإنهم يحكمون على صاحب المعصية بالنار إذا مات عليها ، ويحكمون عليه في الدنيا بأنه منافق ، ويجعلون النفاق مرادفاً لكفر النعمة ويسمونه منزلة بين المنزلتين أي بين الشرك والإيمان ، وأن النفاق لا يكون إلا يكون إلا في الأفعال لا في الاعتقاد (١٢٥).

وهذا قلب لحقيقة النفاق إذ المعروف أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى

الله عليه وسلم كان نفاقهم في الاعتقاد لا في الأفعال، فإن أفعالهم كانت في الظاهر كأفعال

المؤمنين

**أدلتهم :**

تلمس الخوارج لما ذهبوا إليه من تكفير أهل الذنوب بعض الآيات والأحاديث وتكلفوا في رد معانيها إلى ما زعموه من تأييدها لمذاهبهم وهي نصوص تقسم الناس إلى فريقين : مؤمن وكافر ، قالوا : وليس وراء ذلك الحصر من شيء .

ونأخذ من تلك الأدلة قوله تعالى :

١- { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ } (١٢٦).

٢- { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } (١٢٧)

(١٢٥) نقلاً عن الإباضية بين الفرق الإسلامية عن كتاب المقالات في القديم والحديث ص ٣١٥ وانظر دراسات إسلامية في الأصول الإباضية . الأصل التاسع ص ٦٠ .  
(١٢٦) سورة التغابن: الآية ( ٢ )

٣- { ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ } (١٢٨)

إلى غير ذلك من الآيات .

**ووجه استدلالهم بالآية الأولى :**

أن الله تعالى حصر الناس في قسمين : قسم ممدوح وهم المؤمنون وقسم مذموم وهم الكفار ، والفساق ليسوا من المؤمنين ، فإذا هم كفار لكونهم مع القسم المذموم واستدلالهم هذا لا يسلم لهم . أن الناس ينحصرون فقط في الإيمان أو الكفر .

فهناك قسم ثالث وهم العصاة لم يذكروه هنا ، وذكر فريقين لا يدل على نفي ما عداها والآية كذلك واردة على سبيل التبعية بمن ، أي بعضكم كافر وبعضكم مؤمن . وهذا لا شك في وقوعه ولم تدل الآية على مدعى الخوارج أن أهل الذنوب داخلون في الكفر .

**وأما وجه استدلالهم بالآية الثانية .:**

فقد زعموا أنها شاملة لكل أهل الذنوب ، لأن كل مرتكب للذنوب لا بد وأنه قد حكم بغير ما أنزل الله . وقد شملت الفساق لأن الذي لم يحكم بما أنزل الله فيجب أن يكون كافر والفساق لم يحكم بما أنزل الله حين فعل الذنب .

وهذا الاستدلال مردود كذلك لأن الآية واردة على من استحل الحكم بغير ما أنزل الله . أما أن يدعى الشخص إيمانه بالله ويعترف بأن الحق هو حكم الله فليس بكافر وإنما من أصحاب المعاصي حتى تقام عليه الحجة .

**وأما وجه استدلالهم بالآية الثالثة .**

فهو أن صاحب الكبيرة لا بد وأن يجازي - على مذهبهم - وقد أخبر القرآن أنه لا يجازى إلا الكفور . والفساق ثبتت مجازاته عندهم فيكون كافراً .

وهذا الدليل مردود عليهم ، وينقضه أن الله يجازي الأنبياء والمؤمنين وهم ليسوا كفاراً ، وبأن الآية كانت تعقيباً لبيان ذلك العقاب الذي حل بأهل سباً ، وهو عقاب الاستئصال ، وهذا ثابت للكفار لا لأصحاب المعاصي . (١٢٩).

(١٢٧) سورة المائدة: الآية (٤٤)

(١٢٨) سورة سبأ: آية (١٧)

وأما ما استدلوا به من السنة على بدعتهم في تكفير العصاة من المسلمين فقد أساءوا فهم الأحاديث وحملوها المعاني التي يريدونها ، ومن تلك الأحاديث ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبه يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن ))(١٣٠).  
ولهم أدلة أخرى نكتفي منها بهذا الحديث .

فقد فهموا من هذا الحديث نفى الإيمان بالكلية عن من فعل شيئاً مما ذكر في الحديث ، وهذا لا حجة لهم فيه ، فإن الحديث - كما يذكر العلماء - إما أن يكون وارداً فيمن فعل شيئاً مما ذكر مستحلاً لتلك الذنوب أو أن المراد به نفى كمال الإيمان عنهم ، أو أن نفى الإيمان عنهم مقيد بحال موافقتهم لتلك الذنوب .

ولو كانت تلك الكبائر تخرج الشخص عن الإيمان لما اكتفى بإقامة الحد فيها . ولهذا فقد ذكر بعض العلماء أن هذا الحديث وما أشبهه يؤمن بها ويمر على ما جاء ، ولا يخاض في معناها .

وقال الزهري في مثل هذه الأحاديث (( أمروها كما أمرها من قبلكم )) (١٣١).  
وقد جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : (( ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت وإن زني وإن سرق ثلاثاً ثم قال في الرابعة : على رغم أنف أبي ذر )) قال : (( فخرج أبو ذر وهو وإن رغم أنف أبي ذر ))(١٣٢).

والكلام في أهل الكبائر مبسوط في موضعه من كتب التوحيد وكتب الفرق والمقصود هنا هو التنبيه على خطأ الخوارج فيما ذهبوا إليه من تكفير أهل الذنوب من المسلمين مخالفين ما تضافرت النصوص عليه من عدم كفر مرتكبي الذنوب كفر ملة إلا بتفصيلات مقررة في مذهب السلف .

(١٢٩) انظر تفسير الفخر الرازي لهذه الآيات من سورة سبأ. وانظر جامع البيان : ٤ / ١٩ ، ٣٠ / ٢٢٦ ، وانظر تفسير الطبري : ٦ / ٢٥٢ ، فتح القدير : ٥ / ٤٥٣ ، ٢ / ٤٥ .  
(١٣٠) أخرجه البخاري : ٨ / ١٣ ، ومسلم : ١ / ٥٤ .  
(١٣١) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٢ / ٤١ - ٤٢ .  
(١٣٢) أخرجه مسلم : ١ / ٦٦ .

## ٤ - الإمامة العظمي

هذه هي مشكلة الخوارج الكبرى منذ نشأوا وطوال عهد الدولة الأموية وزمن متقدم من عهد الدولة العباسية ، شغلتهم قضية الإمامة عملياً ، فجردوا السيوف ضد الحكام المخالفين لهم ناقمين عليهم سياستهم في الرعية من عدم تمكينهم من اختيار أمامهم بأنفسهم ثم سياستهم الداخلية في الناس وشغلتهم فكراً بتحديد شخصية الإمام وخصائصه ودوره في المجتمع ، وكانوا يظهرون بمظهر الزاهد عن تولى الخلافة حينما يكون الأمر فيما بينهم وحرباً لا هوادة فيها ضد المخالفين لهم .

### حكم الإمامة عند الخوارج

الإمامة منصب خطير وضرورة اجتماعية إذ لا يمكن أن ينعم الناس بالأمن وتستقر الحياة إلا بحاكم يكون هو المرجع الأخير لحل الخلافات وحماية الأمة وقد أطبق على هذا جميع العقلاء .

أما بالنسبة للخوارج فقد انقسموا فيها إلى فريقين :

١- الفرق الأول : وهم عامة الخوارج . وهؤلاء يوجبون نصب الإمام والانضواء تحت رايته والقتال نعه ما دام على الطريق الأمثل الذي ارتأوه له .

٢- الفريق الثاني : وهم المحكمة والنجيدات والإباضية فيما قيل عنهم . وهؤلاء يرون أنه قد يستغنى عن الإمام إذا تناصف الناس فيما بينهم وإذا احتيج إليه فمن أي جنس كان ما دام كفئاً لتولى الإمامة (١٣٣).

ومن مبرراتهم :

- ١- استنادهم إلى المبدأ القائل لا حكم إلا لله ، والمعنى الحرفي لهذا المبدأ يشير صراحة إلى أنه لا ضرورة لوجود الحكومة مطلقاً .
- ٢- أن الحكم ليس من اختصاص البشر بل تهيمن عليه قوة علوية .

٣- إن الضروري هو تطبيق أحكام الشريعة ، فإذا تمكن الناس من تطبيقها بأنفسهم فلا حاجة إلى نصب خليفة .

٤- ربما ينحصر وجود الإمام في بطانة قليلة وينعزل عن الأعلوية فيكون بعيداً عن تفهم مشاكل المسلمين فلا يبقى لوجود فائدة .

٥- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشر صراحة ولا وضع شروطاً لوجود الخلفاء من بعده

٦- أن كتاب الله لم يبين حتمية وجود إمام وإنما أبان وأمرهم شورى بينهم<sup>(١٣٤)</sup>.

هذه مبرراتهم بالنفي ، فهل بقى القائلون بالاستغناء عن نصب الإمام على مبدأهم؟ والجواب بالنفي فإن المحكمة حينما انفصلوا ولو عليهم عبدالله بن وهب الراسبي والنجيدات حينما انفصلوا . تزعمهم نجدة بن عامر وأما ما قيل عن الإباضية من أنهم يقولون بالاستغناء عن نصب الإمام<sup>(١٣٥)</sup> فإن مصادرهم التي تيسرت لي قراءتها تذكر أن هذا القول إنما نسبه إليهم خصومهم بقصد الإشاعة الباطلة عنهم<sup>(١٣٦)</sup>.

وأما تلك المبررات التي نسبت إلى من ذكرناهم فلا شك أنها مبررات واهية ولا تكفي للقول بالاستغناء عن نصب الخليفة . أما القول بعدم وجود الإنسان الكامل ، فإنه لا يمنع من نصب الإمام حيث يختار أفضل الموجودين .

ومن التصور الساذج القول بتناصب الناس فيما بينهم . وأما انعزال الإمام فإن مدار الأمر على التزامه بواجباته الشرعية وعدم إيجاد الحجب بينه وبين رعيته ، وذلك مناط الحكم بضرورة وجود الإمام شرعاً وعقلاً .

وقد ذهب الخليفة من الخوارج الإباضية إلى أن كل إقليم أو حوزة يستقل بها أمامها فلا يجوز لإمام أن يجمع بين حوزتين<sup>(١٣٧)</sup> ويكون لهذا المناطق أئمة بعدد تلك المناطق وهذا باطل ولا يتفق مع روح الإسلام وأهدافه لأن ذلك يؤدي إلى المشاحنات والعداوة وتفريق كلمة المسلمين

(١٣٤) آراء الخوارج للطالبي ص ١٢٥ ، عمان تاريخ ص ١٢٣ .

(١٣٥) كما يذكر لوريمر في كتابه دليل الخليج : ٦ / ٣٣٠٣ .

(١٣٦) الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٩٠ .

(١٣٧) نقلاً عن آراء الخوارج ص ١٢٨ . لكن عموم الإباضية لا تجيز هذا حسب ما جاء في مدارج الكمال ص ١٧٢ .

وحيثما قرروا أن كل إقليم ينبغي أن يكون مستقلاً عن الآخر لا يخضع إقليم ولا منطقة لمنطقة أخرى تجاهلوا دعوة المسلمين إلى الاتحاد الذي يكمن فيه عزهم وقوتهم .

## شروط الإمام

وضع الخوارج شروطاً قاسية لمن يتولى الإمام ومنها .:

١- أن يكون شديد التمسك بالعقيدة الإسلامية مخلصاً في عبادته وتقواه حسب

مفهومهم .

٢- أن يكون قوياً في نفسه ذا عزم نافذ وتفكير ناضج وشجاعة وحزم .

٣- أن لا يكون فيه ما يخل بإيمانه من حب المعاصي واللغو .

٤- ألا يكون قد حد في كبيرة حتى ولو تاب .

٥- أن يتم انتخابه برضى الجميع ، لا يغنى بعضهم عن بعض .

ولا عبرة بالنسب أو الجنس ، كما يقولونه ظاهراً دعاية لمذهبهم وفي باطنهم يملأهم التعصب وكون الإمام ينتخب برضى أهل الحل والعقد ، هذا مبدأ إسلامي لم يأت به الخوارج كما يقول بعض المستشرقين دعاية للخوارج .

ولم يلتفت الخوارج إلى ما صح من الأحاديث في اشتراك القرشية لتولي الخلافة وتقديم قریش فيها عند صلاحية أحدهم لها .

ولم يشترط الشرع في الإمام أن يكون ليله قائماً ونهاره صائماً ، أو أنه لا يلم بأي معصية ، أو يكون انتخابه برضى كل المسلمين من أقصاهم إلى أدناهم ، لا يغنى بعضهم عن بعض في مبايعتهم له كما يزعمه الخوارج<sup>(١٣٨)</sup>.

## محاسبة الإمام والخوارج عليه

يعيش الإمام عند الخوارج بين فكي الأسد - عكس الشيعة - فالخوارج ينظرون إلى الإمام على أنه المثل وجهه الأعلى وينبغي أن يتصف بذلك قولاً وفعلاً وبمجرد أقل خطأ ينبغي عليهن القيام في وجهه ومحاسبته ، فإما أن يعتدل وإما أن يعتزل .

(١٣٨) مدارج الكمال للسالمي ص ١٧١ ، تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١ / ٧١ التفكير الفلسفي ١٩١/١ للدكتور عبدالحليم محمود ، آراء الخوارج ص ١٢١ ، عمان تاريخ يتكلم ص ١٢٦ .

ومن غرائبهم ما يروى عن فرقة البيهسية منهم والعوفية ، فقد اعتبر هؤلاء كفر الإمام سبباً في كفر رعيته ، فإذا تركه رعيته دون إنكار فإنهم يكفرون أيضاً<sup>(١٣٩)</sup> ، ولا شك أن هذا جهل بالشريعة الإسلامية ، وعلى هذا فما تراه من كثرة حروبهم وخروجهم على أئمة مخالفهم يعتبر أمراً طبيعياً إزاء هذه الأحكام الخاطئة .

وقد حث الإسلام على طاعة أولى الأمر والاجتماع تحت رايتهم إلا أن يظهروا كفر بواحا . فلا طاعة المخلوق في معصية الخالق ، وينبغي معالجة ذلك بأخف الضرر ، ولا يجوز الخروج عليهم ما داموا ملتزمين بالشريعة بأي حال .

## إمام المفضول

اختلف الخوارج في صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل إلى فريقين :

١- ذهب فريق منهم إلى عدم الجواز وأن إمامة المفضول تكون غير صحيحة مع وجود الأفضل .

٢- وذهب الفريق الآخر منهم إلى صحة ذلك وأنه تنعقد الإمامة للمفضول مع وجود الأفضل ، كما هو الصحيح<sup>(١٤٠)</sup>.

## إمامة المرأة

الإمامة مسؤولية عظمي وعبء ثقيل يتطلب سعة الفكر وقوة البصيرة ويتطلب مزايا عديدة جعل الله معظمها في الرجال دون النساء ، ولا أدل على هذا من اختيار الله عز وجل لتبليغ رسالته من جنس الرجال ، وقد أطبق جميع العقلاء على أن الخلافة لا يصلح لها النساء .  
ولكننا نجد فرقة من فرق الخوارج وهي التشبيبية تذهب إلى جواز تولي المرأة الإمامة العظمى مستدلين بفعل شبيب حينما تولت غزاة - زوجته وقبل أمه - بعده<sup>(١٤١)</sup>.

(١٣٩) مقالات الأشعري : ١ / ١٩٤ ، الطرماح بن حكيم ص ٥٥ الملل والنحل : ١ / ١٢٦ الفرق بين الفرق ص ١٠٩ التنبيه والرد للملطي ص ١٦٩ .  
(١٤٠) الفصل لابن حزم حزم ٤ / ١٦٣ ، الأباضة بين الفرق الإسلامية ص ٤٦٢ آراء الخوارج لعمار الطالبي : ١٢٨ .  
(١٤١) الفرق بين الفرق ص ١١٠ .

## موقف الخوارج من عامة المسلمين المخالفين لهم

انقسم الخوارج في نظرهم إلى المخالفين لهم إلى فريقين

١- فريق منهم غلاة .

٢- وفريق آخر أبدي نوعاً من الاعتدال .

ويذكر الأشعري رحمه الله في مقالاته أن الخوارج مجتمعون على أن مخالفهم يستحقون

السيف ودمائهم حلال إلا فرقة الإباضية فإنها لا تري ذلك إلا مع السلطان<sup>(١٤٢)</sup>.

واختلف علماء الفرق في أول من حكم بكفر المخالفين هل هم المحكمة الأولى أم هم

الأزارقة ومن سار على طريقتهم من فرق الخوارج فيما بعد .

وبتبع حركة المحكمة الأولى نجد أنهم سبقوا إلى تكفير المخالفين لهم واستحلال دمائهم

والشواهد في كتب الفرق كثيرة كقتلهم عبدالله بن خباب بن صاحب رسول الله صلى الله عليه

وسلم وغيره في حوادث كثيرة إلا أن أشد من بالغ في تكفير المخالفين لهم وأعمل فيهم السيف

هم الأزارقة وفرقة منهم تسمى البيهسية وكذلك أتباع حمزة بن أكرك .

- أما المعتدلون منهم - وهو اعتدال لا يكاد يذكر - فنجد مثلاً الأحنسية منهم يجرمون

الغدر بالمخالفين أو قتلهم قبل الدعوة وجوزوا تزويج المسلمات - منهم لمخالفهم - الذين

يعتبرونهم مشركين ، وكذلك بعض البيهسية .

ومن أكثر المعتدلين والمتسامحين مع المخالفين هو تلك الشخصية المرموقة عند كافة الخوارج

أبو بلال مرداس بن أدية فقد خرج وهو يقول لمن يلقاه أنا لا نخيف أمناً ولا نجرد سيفاً وكان مما

آثاره للخروج على الدولة أن زيادا ذات يوم خطب على المنبر وكان مرداس يسمعه فكان من قوله

(( والله لآخذن المحسن منكم بالمسيء والحاضر منكم بالغالب والصحيح بالسقيم )) .

وهذا بالطبع لا يحتمله الخوارج فقام إليه مرداس فقال قد سمعنا ما قلت أيها الإنسان وما

هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه إبراهيم عليه السلام إذا يقول : **﴿وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى \* أَلَّا تَزِرُ**

**وَأِزْرَةً وَّزَرَ أُخْرَى﴾**<sup>(١٤٣)</sup> وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاص ثم خرج عقب هذا اليوم .

(١٤٢) المقالات : ٢٠٤ / ١ .

(١٤٣) سورة النجم : ٣٧ ، ٣٨ .

وينبغي أن يعلم أن كل فرقة لابد فيها من غلاة يخرجون على جمهورهم إلا أن السمة الغالبة على الخوارج الشدة على المخالفين لهم وقد تعود هذه الشدة إلى ما يراه الخوارج من وجهة نظرهم من خروج مخالفين عن النهج الإسلامي وبعدهم عنه وبالتالي الرغبة في إرجاع الأمة إلى ما كانت عليه في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وأيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما يدعى الخوارج ...

## حكم الخوارج في أطفال مخالفيهم

لابد وأن يكون في حكم العقل تمييز بين معاملة الصغير الذي لم يبلغ سن التكليف وبين الكبير المكلف . والخوارج لم يتفقوا على حكم واحد في الأطفال سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة ونوجز أهم آرائهم في هذه القضية فيما يلي .:

- ١- منهم من اعتبرهم في حكم آبائهم المخالفين فاستباح قتلهم باعتبار أنهم مشركون لاعصمة لدماء آبائهم .
- ٢- ومنهم من جعلهم من أهل الجنة ولم يجوز قتلهم .
- ٣- واعتبرهم بعضهم خدما لأهل الجنة .
- ٤- ومنهم من توقف فيهم إلى أن يبلغوا سن التكليف ويتبين حالهم .
- ٥- والإباضية تولوا أطفال المسلمين وتوقفوا في أطفال المشركين ، ومنهم من يلحق أطفال المشركين بأطفال المؤمنين .

أما القول الأول : فهو للأزارقة واستدلوا بقوله الله تعالى : {إِنَّكَ إِذْ تَدَرُّهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْا إِلَّا فَاْجِرًا كَفَّارًا} (١٤٤) . وتبعهم في هذا بعض فرق الخوارج كالعجاردة والحمزية والخلفية .

وأما القول الثاني : فهو للنجدات والصفرية والميمونية واستدلوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو

يُجَسَّسَانَهُ))<sup>(١٤٥)</sup> والذين توقفوا في الحكم عليهم قالوا لم نجد في الأطفال ما يوجب ولا يتهم ولا عداوتهم إلى أن يبلغوا فيدعوا إلى الإسلام فيقروا به أو ينكروه .

هذه خلاصة أهم آراء الخوارج في هذه القضية والواقع أن هذه المسألة من المسائل الخلافية بين العلماء .

فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن أطفال المؤمنين إذا ماتوا على الإيمان فإن الله تعالى يدخلهم الجنة مع آباءهم وإن نقصت أعمالهم عنهم لتقر أعين آبائهم بهم فيكونون مع آبائهم في الجنة تفضيلاً من الله تعالى على ضوء قوله عز وجل : { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ } (١٤٦).

ونقل ابن القيم عن الإمام أحمد أنه قال بأنهم في الجنة دون خلاف .  
وبعضهم ذهب إلى أنهم تحت المشيئة .

وجدير بالذكر أن أطفال المؤمنين الذين نتحدث عنهم هنا هم الذين يعتبرهم الخوارج أطفالاً مشركين .

وأما أطفال المشركين الذين هم عبدة الأوثان ومن في حكمهم فإن العلماء اختلفوا فيهم اختلافاً كثيراً .

١- فذهب بعضهم إلى التوقف في أمرهم فلا يحكم لهم بجنة ولا نار وأمرهم إلى الله .

٢- أنهم في النار .

٣- أنهم في الجنة .

٤- أنهم في منزلة بين المنزلتين أي الجنة والنار .

٥- أن حكمهم حكم آبائهم في الدنيا والآخرة تبعاً لآبائهم حتى ولو أسلم الأبوان بعد

موت أطفالهما لم يحكم لإفراطهما بالنار .

٦- أنهم يمتحنون في عرصات القيامة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فمن

أطاعه منهم دخل الجنة ومن عصاه دخل النار .

(١٤٥) انظر كتاب الأديان ١٠٤ .

(١٤٦) الطور: ٢١ وانظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٤١ .

وقد استعرض ابن القيم أدلة القائلين بهذه الآراء وانتهي إلى نصره الرأي الأخير ثم قال (( وبهذا يتألف شمل كلها وتتوافق الأحاديث ويكون معلوم الله الذي أحال عليه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال (( الله أعلم بما كانوا عاملين )) .

وأيد ابن حزم القول بأن أطفال المشركين في الجنة وكذا النووي وقد توقف شيخ الإسلام في الحكم عليهم .

وأما استباحة قتل النساء كما - يرى الخوارج - فقد أخطأوا حين جوزوا ذلك سواء كانوا من المسلمين أو من المشركين فقد صحت الأحاديث بالمنع من قتلهم إلا أن يكون ذلك في بيات لا يتميز فيه الأطفال والنساء فلا بأس من قتلهم إذا وقع دون عمد . (١٤٧)

\*\*\*\*\*

---

(١٤٧) انظر: التفسير القيم ص ٤٥١ ، فتح القدير ٩٨ / ٥ جامع البيان: ٢٥/٢٧ طريق الهجرتين : ٣٨٧ ، الفصل لابن حزم: ٧٤ / ٤ .

## الفصل العاشر

### الحكم على الخوارج.

اختلفت وجهات النظر في الحكم على الخوارج فيما ظهر لي من خلال دراستي عنهم إلى

قولين :

١- أحدهما الحكم بتكفيرهم.

٢- الحكم عليهم بالفسق والابتداع والبغي.

وقد استند الذين كفروهم على ما ورد من أحاديث المروق المشهورة عند علماء الفرق؛ رادين الخوارج إلى سلفهم القديم ذي الخويصرة وموقفه الخاطئ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم موقف الخوارج أيضاً من الصحابة خصوصاً الإمام علياً وغيره ممن شارك في قضية التحكيم.

والأحاديث الواردة فيهم كثيرة غير أن علي يحيى معمر يرى أن هذه الأحاديث إنما تصدق على فرض صحتها كما يذكر - على المرتدين في زمن أبي بكر رضي الله عنه<sup>(١٤٨)</sup>. وما رأيت أحداً من العلماء سبقه إلى هذا القول. ثم إن ما في الأحاديث من أوصاف الخوارج من كثرة قراءتهم للقرآن وتعمقهم في العبادة لا ينطبق على هؤلاء المرتدين في زمن أبي بكر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد كفرهم كثير من العلماء، لا نرى التطويل بذكر أسمائهم هنا.

وإذا كان بعض العلماء يتحرج عن تكفيرهم عموماً فإنه لا يتحرج عن تكفير بعض الفرق منهم، كالبديعية من الخوارج الذين قصرُوا الصلاة على ركعة في الصباح وركعة في المساء. والميمونية - حيث أجازوا نكاح بعض المحارم كبنات البنين وبنات البنات وبنات بني الأخوة، ثم زادوا فأنكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن لاشتمالها - فيما يزعمون - على ذكر العشق<sup>(١٤٩)</sup>

(١٤٨) الإباضية في موكب التاريخ : ٢٩ / ١.

(١٤٩) انظر الملل والنحل : ١٢٩ / ١ . والقرآن لم يدعو الناس إلى العشق وضرب المواعيد الفاجرة وإنما دعي إلى ما تضمنته هذه السورة الكريمة من العفة وتقديم خوف الله على خوف غيره وكبح جماح النفس الأمارة بالسوء والشهوات الطائشة ولو صار العشق على حسب ما تضمنته سورة يوسف لصاروا أولياء .

والحب، والقرآن فيه الجدد، وكذا اليزيدية منهم، حيث زعموا أن الله سيرسل رسولاً من العجم فينسخ بشريعته شريعة محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(١٥٠)</sup>.

أما الرأي الثاني: وهو القول بعدم تكفير الخوارج؛ فأهل هذا الرأي يقولون: إن الاجتزاء على إخراج أحد من الإسلام أمر غير هين، نظراً لكثرة النصوص التي تحذر من ذلك إلا من ظهر الكفر من قوله أو فعله فلا مانع حينئذ من تكفيره بعد إقامة الحجة عليه.

ولهذا أحجم كثير من العلماء أيضاً عن إطلاق هذا الحكم عليهم وهؤلاء اكتفوا بتفسيقهم، وأن حكم الإسلام يجري عليهم لقيامهم بأمر الدين - وأن لهم أخطاء وحسنات كغيرهم من الناس، ثم إن كثيراً من السلف لم يعاملوهم معاملة الكفار كما جرى لهم مع علي رضي الله عنه وعمر بن عبد العزيز؛ فلم تسبى ذريتهم وتغنم أموالهم.

ولعل الصحيح أن الذين حكموا على الخوارج بالكفر الصريح قد غلوا في تعميم الحكم عليهم، والذين حكموا عليهم بأنهم كغيرهم من فرق المسلمين أهل السنة قد تساهلوا، بل الأولى أن يقال في حق كل فرقة ما تستحقه من الحكم حسب قربها أو بعدها عن الدين.

وإطلاق ما أطلقته النصوص في الحكم العام، ويتوقف عن إطلاق التكفير المخرج من الملة على المعين إلا بعد إقامة الحجة عليه، أو إذا ظهر كفره من قوله أو فعله أو اعتقاده.

وإلى هنا ينتهي المطلوب بالنسبة لفرقة الخوارج، وقد تركنا مسائل كثيرة للخوارج<sup>(١٥١)</sup> يجدها الباحث حين يرجع إلى ما كتبه علماء الفرق عنهم، وربما يجمع تلك المسائل كلها وجميع فرقهم وما يتعلق بهم رسالة ماجستير تسمى: ((الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها)) لكاتب هذه الأسطر، وقد ذكرتها من باب تسهيل الرجوع إلى ما يتعلق بالخوارج لمن يهمه دراسة هذه الفرقة بالتفصيل.

(١٥٠) الفصل لابن حزم : ١٨٨ / ٤ .

(١٥١) كبحت موقف الخوارج من رؤية الله عز وجل وإنكارهم لها في الدنيا والآخرة . وموقفهم من القول بخلق القرآن واعتقادهم أن ذلك حق يجب الإيمان به واختلافهم في مسائل القدر إلى ثلاث طرائف مؤيدة للقدرية ومؤيدة للجبرية وموافقة لمذهب السلف - وكذا إنكار الخوارج لوجود الجنة والنار الآن - أي قبل يوم القيامة . وإنكار أكثرهم لعذاب القبر غير طائفة الإباضية . وموقف الخوارج من الشفاعة وإنكارهم لها غير الإباضية الذين يثبتونها فقط للمتقين وإنكارهم الميزان والصفات الثابتة له . وإنكارهم الصراط والصفات الثابتة له ، واختلافهم في حقيقة الإيمان هل هو الإقرار والمعرفة فقط أو هو قول وعمل واعتقاد أكثرهم عدم زيادة الإيمان ونقصه . وموقفهم من قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن ذلك يتم عندهم بالعنف والقوة وليس له مراتب وغير ذلك من المسائل التي تهم دارس هذه الفرقة بالتفصيل والتدقيق وما ذكرته عنهم فإنما هو من باب الإيجاز والتنبيه .

\* \* \* \* \*

## المراجع

أولاً: مراجع فرقة الخوارج ومنها :

- ١- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: لأبي الحسن الأشعري.
- ٢- الملل والنحل: للشهرستاني.
- ٣- الفرق بين الفرق: للبغدادي.
- ٤- الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم.
- ٥- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: للملطي.
- ٦- التبصير في أمور الدين: للإسفرائيني.
- ٧- الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها ، رسالة ماجستير لكاتب هذا البحث.
- ٨- آراء الخوارج: للدكتور عمار الطالبي.
- ٩- فرق المسلمين والمشركين: للرازي.
- ١٠- المواقف: للإيجي.

ثانياً: مراجع فرقة الإباضية بخصوصهم:

- ١- الإباضية بين الفرق الإسلامية: لعلي يحيى معمر.
- ٢- الإباضية في موكب التاريخ: لعلي يحيى معمر.
- ٣- العقود الفضية: للحارثي.
- ٤- الدليل لأهل العقول: للورجلاني.
- ٥- متن النونية: للنفوسي.
- ٦- كتاب الأديان: لمؤلف إباضي مجهول الاسم.
- ٧- أجوبة ابن خلفون.
- ٨- تلقين الصبيان ما يجب على الإنسان: للسالمي.

- ٩- كتاب الدعائم: لأحمد بن النضر.
- ١٠- مسند الربيع بن حبيب أو ((الجامع الصحيح)).
- ١١- مدارج الكمال نظم مختصر الخصال: للسالمي.
- ١٢- الإباضية عقيدة ومذهباً: د. صابر طعيمة.

\*\*\*\*\*

## الباب الرابع

### الشيعة

وفيه تمهيد ، والفصول الآتية

١. الفصل الأول : التعريف بالشيعة لغة واصطلاحاً ، وبيان

التعريف الصحيح .

٢. الفصل الثاني : بيان متى ظهر التشيع .

٣. الفصل الثالث : مراحل دعوى التشيع .

٤. الفصل الرابع : أسماء الشيعة .

٥. الفصل الخامس : فرق الشيعة .

٦. الفصل السادس : دراسة أهم فرق الشيعة .

٧. الفصل السابع : إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للشيعة .

٨. الفصل الثامن : الشيعة في العصر الحاضر ، وهل تغير خلفهم

عن سلفهم ؟

٩. الفصل التاسع : الحكم على الشيعة .

## الباب الرابع

### الشيعة (١)

#### تمهيد:

تتركز هذه الدراسة لهذه الفرقة في الرد على أولئك الذين أسسوا كثيراً من الأفكار الشيعة على محاربة الإسلام وأهله ببيان ضلالهم وبيان موقفهم من النصوص وموقفهم من الشعائر الإسلامية وموقفهم من أهل البيت ومن القرآن الكريم ومن الصحابة الكرام وغير ذلك من تعاليمهم.

وأيضاً لنضم أصواتنا إلى أصوات كثير من مفكري الشيعة كالدكتور موسى الموسوي وغيره من الذين تبين لهم حجم الخرافات الهائلة في المذهب الشيعي، وبعدهم عن تعاليم الإسلام المشرقة في كثير من المعتقدات، فجاشت نفوسهم بالرغبة في بذل النصح لهم وبيان الأخطاء الشيعة التي دونها علماؤهم في كتبهم من المتقدمين أو من المتأخرين.

إننا نحرض كل الحرص ونرغب أشد رغبة في عودة هؤلاء إلى الحق، وسنلتزم إن شاء الله ببيان الحق بدليله، مع الاستناد في تخطئتهم إلى كتبهم؛ لعله يتبين لهم أن ما هم عليه أكثره سراب مأخوذ عن أحد شخصين: إما رجل حاقد على الإسلام وأهله، وإما رجل قد اتخذ الخرافات ديناً، متعصب لما ألفى عليه آباءه و مشائخه. وقد أوجب الإسلام بذل النصح وبيان الحق وإقامة الحجة. والحق هو ما أثبتته كتاب الله وأثبتته السنة النبوية، وما عداه باطل.

والشيعة - كطائفة ذات أفكار وآراء - غلب عليهم هذا الاسم وهم من أكذب الفرق على أئمتهم، ومن أخطرها على المسلمين، وذلك بسبب:

١- استعمالهم التقية المرادفة للكذب.

٢- تظاهرهم بنصرة آل البيت، حيث اتخذ بهم كثير من عوام المسلمين.

٣- بغضهم لأهل السنة بسبب تعاليم خاطئة وضعها بعض كبرائهم نتج عنها نفور الشيعة

وعدم الوصول - بعد محاولات كثيرة من جانب أهل السنة - إلى التقارب.

(١) قد يعترض البعض على تسمية هؤلاء الروافض بالشيعة بحجة عدم صدقهم في تشيعهم لأهل البيت، لأنهم هم أعداء أهل البيت وليسوا شيعتهم، وهذا المعترض محق في ذلك ولكن أثبت تسميتهم شيعة كاسم علم يعم جميع الفرق التي تظاهرت بزعم التشيع لأننا يعترض أحد بإخراج بعض الطوائف التي تظاهرت بنصرة أهل البيت حينما نطلق على الجميع تسميتهم الروافض كالذين يرون رأى زيد مثلاً، ولأن إطلاق هذه التسمية (( روافض )) إنما عرفت حينما أطلقها عليهم زيد.

وقد قام التشيع في ظاهر الأمر على أساس الاعتقاد بأن علياً رضي الله عنه وذريته هم أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن علياً أحق بها من سائر الصحابة بعهد من النبي صلى الله عليه وسلم، كما زعموا في رواياتهم التي اخترعوها وملأوا بها كتبهم.

ومن الملاحظ على هذه الفرقة أنها كانت باباً واسعاً لكل طامع في تحقيق أغراضه من أهل الأهواء:

١- إذ تشيع قوم إيماناً بأحقية أولاد علي بالخلافة حسبما سمعوا من النصوص التي لفقها علماء التشيع.

وتشيع قوم كرهوا الحكم الأموي ثم العباسي فقاموا بتلك الثورات العديدة التي سجلها علماء الفرق والتاريخ تحت غطاء دعوى التشيع لأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

وتشيع آخرون للانتقام من الإسلام كالباطنية.

وتشيع قوم لتحقيق مطامع سياسية كالمختار مثلاً.

٢- ولأن الشيعة أيضاً لا يتحرون النصوص الصحيحة، ولا يهتمون بإيصال السند إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لهذا فإن أكثر أحاديثهم رويت عن الأئمة.

٣- ولأنهم كذلك أهل عاطفة نحو أهل البيت -فيما يظهرون للناس-، فلذا يكفي لتوثيق الشخص عندهم أن يكون ظاهره الغلو في أهل البيت، ويكون بذلك من الثقات الإثبات.

\* \* \* \* \*

## الفصل الأول

### التعريف بالشيعة لغة واصطلاحاً، وبيان التعريف الصحيح

أولاً: في اللغة:

أطلقت كلمة الشيعة مراداً بها الأتباع والأنصار والأعوان والخاصة.

قال الأزهري: ((والشيعة أنصار الرجل وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة))<sup>(٢)</sup>

وقال الزبيدي: ((كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو

شيعة له، وأصله من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة))<sup>(٣)</sup>.

استعمال مادة ((شيعة)) في القرآن الكريم:

وردت كلمة شيعة ومشتقاتها في القرآن الكريم مراداً بها معانيها اللغوية الموضوعية لها على

المعاني التالية:

١- بمعنى الفرقة أو الأمة أو الجماعة من الناس:

قال الله تعالى: {ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا} <sup>(٤)</sup> أي من كل فرقة

وجماعة وأمة<sup>(٥)</sup>.

٢- بمعنى الفرقة:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} <sup>(٦)</sup> أي فرقاً<sup>(٧)</sup>.

٣- وجاءت لفظة أشياع بمعنى أمثال ونظائر:

قال تعالى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} <sup>(٨)</sup> أي أشباهكم في الكفر من الأمم

الماضية<sup>(٩)</sup>.

(٢) تهذيب اللغة ج ٣ ص ٦١ .

(٣) انظر تاج العروس ج ٥ ص ٤٠٥ .

(٤) سورة مريم: ٦٩

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ١٣١ .

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٥٩ .

(٧) تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنارج ٨ ص ٢١٤ .

(٨) سورة القمر: ٥١ .

(٩) جامع البيان ج ٢٧ ص ١١٢ .

#### ٤- بمعنى المتابع والموالي والمناصر<sup>(١٠)</sup>:

قال تعالى: { فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ } (١١) (١٢).

#### ثانياً: في الاصطلاح:

اختلفت وجهات نظر العلماء في التعريف بحقيقة الشيعة، نوجز أقوالهم فيما يلي:

- ١- أنه علم بالغبلة على كل من يتولى علياً وأهل بيته. كقول الفيروز آبادي: ((وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار اسماً لهم خاصاً))<sup>(١٣)</sup>.
- ٢- هم الذين نصروا علياً واعتقدوا إمامته نصاً، وأن خلافة من سبقه كانت ظلماً له.
- ٣- هم الذين فضّلوا علياً على عثمان رضي الله عنهما.
- ٤- الشيعة اسم لكل من فضل علياً على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم جميعاً، ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة، وأن خلافة غيرهم باطلة وكلها تعريفات غير جامعة ولا مانعة إلا واحداً منها.

#### مناقشة تلك الأقوال:

أما التعريف الأول: فهو غير سديد، لأنه أهل السنة يتولون علياً وأهل بيته، وهم ضد الشيعة.

وأما التعريف الثاني: فينقضه ما ذهب إليه بعض الشيعة من تصحيحهم خلافة الشيخين، وتوقف بعضهم في عثمان، وتولي بعضهم له كبعض الزيدية فيما يذكر ابن حزم<sup>(١٤)</sup>.

ثم أيضاً ما يبدو عليه من قصر الخلافة في علي فقط دون ذكر أهل بيته.

والتعريف الثالث غير صحيح كذلك؛ لانتقاضه بما ذهب إليه بعض الشيعة من البراءة من

عثمان. كقوله كثير عزة:

(١٠) فتح القدير ج ٤ ص ١٦٣ .

(١١) سورة القصص: الآية ١٥ .

(١٢) انظر تهذيب اللغة ج ٣ ص ٦٣ .

(١٣) القاموس المحيط ج ٣ ص ٤٩ ، ونحوه عند الأزهر في تهذيب اللغة ج ٣ ص ٦١ .

(١٤) انظر الفصل ج ٤ ص ٩٢ .

برأت إلى الإله من ابن أروى \*\*\* ومن دين الخوارج أجمعينا

ومن عمر برئت ومن عتيق \*\*\* غداة دعي أمير المؤمنين

ويبقى الراجح من تلك التعريفات الرابع منها لضبطه تعريف الشيعة كطائفة ذات أفكار وآراء

اعتقادية<sup>(١٥)</sup>.

\* \* \* \* \*

---

(١٥) انظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٤٥ .

## الفصل الثاني

### متى ظهر التشيع؟

اختلفت أقوال العلماء من الشيعة وغيرهم في تحديد بدء ظهور التشيع تبعاً لاجتهاداتهم. وقد قدمنا بيان السبب في مثل هذا الخلاف، وحاصل الأقوال هنا:

١- أنه ظهر مبكراً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى يديه حيث كان يدعو إلى التوحيد ومشايعة علي جنباً إلى جنب.

وقد تزعم هذا القول محمد حسين الزين من علماء الشيعة وغيره<sup>(١٦)</sup>. وهو ما ذكره النوبختي أيضاً في فرقه<sup>(١٧)</sup>، وهو ما أكده أيضاً الخميني<sup>(١٨)</sup> في عصرنا الحاضر، بل ذهب حسن الشيرازي إلى القول: ((بأن الإسلام ليس سوى التشيع والتشيع ليس سوى الإسلام، والإسلام والتشيع اسمان مترادفان لحقيقة واحدة أنزلها الله، وبشر بها الرسول صلى الله عليه وسلم))<sup>(١٩)</sup>.

٢- أنه ظهر في معركة الجمل حين تواجه علي وطلحة والزبير، وقد تزعم هذا القول ابن النديم حيث ادعى أن الذين ساروا مع علي واتبعوه سمّوا شيعة من ذلك الوقت<sup>(٢٠)</sup>.

٣- أنه ظهر يوم معركة صفين، وهو قول لبعض علماء الشيعة كالحونساري، وأبو حمزة، وأبو حاتم. كما قال به أيضاً غيرهم من العلماء، مثل ابن حزم، وأحمد أمين<sup>(٢١)</sup>.

٤- أنه كان بعد مقتل الحسين رضي الله عنه، وهو قول كامل مصطفى الشيبلي وهو شيعي؛ حيث زعم أن التشيع بعد مقتل الحسين أصبح له طابع خاص<sup>(٢٢)</sup>.

٥- أنه ظهر في آخر أيام عثمان وقوي في عهد علي<sup>(٢٣)</sup>.

والواقع أن القول الأول الذي قالت به الشيعة مجازفة وكذب صريح لا يقبله عقل ولا منطق، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما بعث لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الوثنية إلى

(١٦) الشيعة والتشيع ص ١٩.

(١٧) فرق الشيعة النوبختي ص ٣٩.

(١٨) الحكومة الإسلامية ص ١٣٦.

(١٩) الشعائر الحسينية ص ١١.

(٢٠) الفهرست لابن النديم ص ٢٤٩.

(٢١) الشيعة والتشيع ص ٢٥.

(٢٢) انظر الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٣.

(٢٣) انظر: رسالة في الرد على الرافضة ص ٤٢.

التوحيد، وإلى جمع الكلمة وإلى عدم التحزب، والقرآن والسنة مملوءان بالدعوة إلى الله وعدم  
الفرقة.

وقد قال محمد مهدي الحسيني الشيرازي: ((وقد سماهم بهذا الاسم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم حيث قال مشيراً إلى علي عليه السلام: ((هذا وشيعته هم الفائزون))<sup>(٢٤)</sup>، وهذا باطل.  
ولعل الراجح من تلك الأقوال هو القول الثالث - أي بعد معركة صفين - حين انشقت  
الخوارج وتحزبوا في النهروان، ثم ظهر في مقابلهم أتباع وأنصار علي حيث بدأت فكرة التشيع  
تشتد شيئاً فشيئاً.. على أنه - فيما يبدو - لا مانع أن يوجد التشيع بمعنى الميل والمناصرة والمحبة  
للإمام علي وأهل بيته قبل ذلك - إذا جازت تسمية ذلك تشيعاً - لا التشيع بمعناه السياسي  
عند الشيعة، فإن هؤلاء ليسوا شيعة أهل البيت وإنما هم أعداؤهم والناكثون لعهودهم لهم في أكثر  
من موقف.

\* \* \* \* \*

## الفصل الثالث

### المراحل التي مر بها مفهوم التشيع

كان مدلول التشيع في بدء الفتن التي وقعت في عهد علي رضي الله عنه بمعنى المناصرة والوقوف إلى جانب علي رضي الله عنه ليأخذ حقه في الخلافة بعد الخليفة عثمان، وأن من نازعه فيها فهو مخطئ يجب رده إلى الصواب ولو بالقوة.

وكان على هذا الرأي كثير من الصحابة والتابعين، حيث رأوا أن علياً هو أحق بالخلافة من معاوية بسبب اجتماع كلمة الناس على بيعته، ولا يصح أن يفهم أن هؤلاء هم أساس الشيعة ولا أنهم أوائلهم، إذ كان هؤلاء من شيعة علي بمعنى من أنصاره وأعوانه.

ومما يذكر لهم هنا أنهم لم يكن منهم بغي على المخالفين لهم، فلم يكفروهم، ولم يعاملوهم معاملة الكفار بل يعتقدون فيهم الإسلام، وأن الخلاف بينهم لم يعد وجهة النظر في مسألة سياسية حول الخلافة وقد قيل: إن علياً كان يدفن من يجده من الفريقين دون تمييز بينهم.

وقد أثمر موقف الإمام علي هذا فيما بعد، إذ كان تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية انطلاقة من هذه المواقف الطيبة التي أبدأها والده رضي الله عنهما.

ولم يقف الأمر عند ذلك المفهوم من الميل إلى علي رضي الله عنه ومناصرتة، إذ انتقل نقلة أخرى تميزت بتفضيل علي رضي الله عنه على سائر الصحابة، وحينما علم علي بذلك غضب وتوعد من يفضله على الشيخين بالتعزير، وإقامة حد الفرية عليه<sup>(٢٥)</sup>.

وقد كان المتشيعون لعلي في هذه المرحلة معتدلين، فلم يكفروا واحداً من المخالفين لعلي رضي الله عنه ولا من الصحابة، ولم يسبوا أحداً، وإنما كان ميلهم إلى علي نتيجة عاطفة وولاء. وقد اشتهر بهذا الموقف جماعة من أصحاب علي، قيل منهم أبو الأسود الدؤلي، وأبو سعيد يحيى بن يعمر، وسالم بن أبي حفصة، ويقال أن عبد الرزاق صاحب المصنف في الحديث، وابن السكيت على هذا الاتجاه<sup>(٢٦)</sup>.

(٢٥) انظر مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٥-٦.

(٢٦) انظر مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٥ وهم ثقة كما في تقريب التهذيب إلا سالم بن أبي حفصة فقد قال عنه صدوق في الحديث إلا أنه شيعي غال انظر ص ٢٧٩ ج ١ وقال عن عبدالرزاق بن همام ثقة حافظ .. وكان يتشيع ج ١ ص ٥٠ .

ثم بدأ التشيع بعد ذلك يأخذ جانب التطرف والخروج عن الحق، وبدأ الرفض يظهر وبدأت أفكار ابن سبأ تؤتي ثمارها الشريرة فأخذ هؤلاء يظهرن الشر، فيسبون الصحابة ويكفرونهم ويتبرءون منهم، ولم يستثنوا منهم إلا القليل كسلمان الفارس، وأبي ذر، والمقداد، وعمار بن ياسر، وحذيفة.

وحكموا على كل من حضر ((غدير خم)) بالكفر والردة لعدم وفائهم -فيما يزعم هؤلاء - ببيعة علي وتنفيذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بعلي في غدير خم المذكور. وكان عبد الله بن سبأ هو الذي تولى كبر هذه الدعوة الممقوتة الكافرة، وقد علم علي بذلك فنفاه إلى المدائن وقال: ((لا تساكني ببلدة أبداً)).

وأخيراً بلغ التشيع عند الغلاة إلى الخروج عن الإسلام، حيث نادى هؤلاء بألوهية علي. وقد تزعم هذه الطبقة ابن سبأ، ووجد له آذاناً صاغية عند كثير من الجهال، ومن الحاقدين على الإسلام. وقد أحرق علي رضي الله عنه بالنار كل من ثبت أنه قال بهذا الكفر<sup>(٢٧)</sup> وكان له مع ابن سبأ موقف نذكره بالتفصيل عند ذكر فرقة السبئية<sup>(٢٨)</sup>

\* \* \* \* \*

(٢٧) على القول بأنه أحرقتهم فإنه لم يحرقهم بالنار مباشرة، وإنما حفر ثلاث حفر كبار، ثم أضرم النار في حفرتين وجعلهم في الثالثة، وجعل الدخان يتسرب إليها من الحفرتين فاختنقوا بالدخان وماتوا به، وحينما رأوا بأنه يريد أن يحرقهم ازدادوا عنادا واستكبارا متخذين من عزمه على حرقهم دليلاً على ألوهيته، لأنه - كما عللوا بذلك - لا يحرق بالنار إلا رب النار.

(٢٨) انظر مختصر التحفة ص ٣-٩، الشيعة والتشيع ص ٤٠-٤١.

## الفصل الرابع

### أسماء الشيعة

١- الشيعة : وهو أشهر اسم من أسمائهم، ويشمل جميع فرقهم، ولا خلاف بين العلماء في إطلاقه عليهم كاسم علم.

٢- الرفضية : وقد أطلقه عليهم بعض العلماء فجعله اسماً لجميع الشيعة.

٣- الزيدية : وهي تسمية لبعض الناس يطلقونها على جميع الشيعة<sup>(٢٩)</sup>.

وكل هذه الأسماء الثلاثة وردت من خلال كتابات بعض العلماء عن طائفة الشيعة، واختيار كل منهم للاسم الذي يطلقه عليهم لا أن هذه التسميات بالاتفاق أو بهذا الترتيب.

والواقع أن إطلاق اسم الرفضية على عموم الشيعة، بمن فيهم بعض فرقهم كالزيدية التي نشأت في نهاية القرن الأول للهجرة غير سديد، لأن التسمية -رفضية- إنما أخذت من قول زيد بن علي لبعض الشيعة: ((رفضتموني))<sup>(٣٠)</sup> فسموا الرفضية.

وليس معنى هذا أنهم لم يكونوا على عقيدة الرفض بل هم رفضية، ولهذا طلبوا من زيد أن يكون رفضياً مثلهم فامتنع. لكن لم تجر هذه التسمية عليهم قبل ذلك، ومعنى هذا أن الشيعة كان لهم وجود قبل زيد تحت أسماء أخرى كما سيأتي بيانه.

وكذا إطلاق اسم الزيدية على جميع فرق الشيعة<sup>(٣١)</sup> يرد عليه اعتراض، فقد كانت الشيعة لهم وجود قبل زيد الذي تنسب إليه الزيدية متمثلاً في فرق السبئية والكيسانية.

ثم إن الزيدية لا تقول بكل مقالات الشيعة الغلاة، بل بينهما خلافات حادة في كثير من الآراء، وسباب كما ذكره البغدادي، وهو واضح من موقف زيد نفسه فلم يرفض زيد خلافة الشيخين ولم يسبهما.

ويتضح من هذا أن إطلاق اسم الشيعة على كل طوائف التشيع لا يرد عليه اعتراض إذا أريد به اسم علم، بغض النظر عن صدق هذا الاسم عليهم أو عدم صدقه، فقد يكون الاسم من المسلمين وصاحبه من الملحددين، وقد يكون العكس، فلا تأثير للأسماء في الحقيقة والواقع.

(٢٩) انظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٤٦ .

(٣٠) انظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٤٦ .

(٣١) انظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٤٦ .

## الفصل الخامس

### فرق الشيعة

#### ١- تمهيد :

١- انقسمت الشيعة إلى فرق عديدة، أوصلها بعض العلماء إلى يقارب سبعين فرقة<sup>(٣٢)</sup>. وبدراسة تلك الفرق قد يتضح أن منهم الغلاة الذين خرجوا عن الإسلام وهم يدعونهم ويدعون التشيع، ومنهم دون ذلك، ويمكن أن تقتصر على دراسة أربع فرق كان لها دور بارز في العالم الإسلامي وهي:

- السبئية. - الكيسانية.

- الزيدية. - الراضية.

والراضية الاثنا عشرية هي الواجهة البارزة في عصرنا الحاضر للتشيع.

وقبل الخوض في تفاصيل تلك الفرق نذكر السبب في تفرق الشيعة ذلك التفرق، ونذكر أيضاً السبب في عدم اتفاق العلماء على عدد فرق الشيعة.

#### ٢- السبب في تفرق الشيعة:

من الطبيعي جداً أن يحصل خلاف بين الشيعة، شأنهم شأن بقية الفرق أهل الأهواء، فما داموا قد خرجوا عن النهج الذي ارتضاه الله لعباده، واستندوا إلى عقولهم وأهوائهم فلا بد أن نتوقع الخلافات خصوصاً حينما يكون الخلاف مراداً لذاته.

ونضيف إلى هذا أنه ربما يعود تفرق الشيعة إلى عدة أسباب بعضها ظاهر وبعضها غير ظاهر، ومن ذلك:

#### ١- اختلافهم في نظرهم إلى التشيع:

إذ منهم الغالي المتطرف الذي يسبغ على الأئمة هالة من التقديس والإطراء، وعلى من خالفهم أحط الأوصاف وأشنع السباب، بل وإطلاق الكفر عليهم، مما يكون بعد ذلك هوة

(٣٢) مختصر التحفة الإثني عشرية ، القسم الأول من الكتاب .

عميقة لاختلاف وجهات النظر، ومنهم من اتصف بنوع من الاعتدال، فلا يرى أن المخالفين لهم كفار وإن كانوا على خطأ كما يرى هؤلاء.

## ٢- اختلافهم في تعيين أئمتهم من ذرية علي.

فمنهم من يقول هذا، ومنهم من يقول ذلك، كما سيتضح ذلك من دراستنا لهذه الطائفة حينما ندرس مواقف الاثني عشرية و الزيدية و النصيرية والباطنية في تعيين الأئمة، وكيفية تسلسلهم فيها.

## ٣- كون التشيع مدخلاً لكل طامع في مأرب:

وحيثما كان التشيع مدخلاً لكل طامع في مأرب فقد أحدث هؤلاء الطامعون في السلطة، أو في الانتقام من الآخرين أو في حب الظهور - أحدث هؤلاء انشقاقاً كبيراً بين صفوف الشيعة حينما طلبوا تحقيق أغراضهم بالتظاهر بالتشيع لآل البيت، ثم البدء بما يهدفون إليه. فمثلاً دخلت الباطنية عن طريقهم، وتزعم المختار عن طريقهم، وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة.

## ٣- عدد فرقهم:

وكشأن العلماء في اختلافهم في عدد الفرق نجدهم قد اختلفوا في عدد فرق الشيعة. فالأشعري<sup>(٣٣)</sup> مثلاً يذكر أنهم ثلاث فرق رئيسية، وما عداها فروع. بينما نرى البغدادي<sup>(٣٤)</sup> وهو يسمي الشيعة الروافض - أي بما فيهم السبئية و الزيدية - يعدهم أربعة أصناف والباقي فروعاً لهم. ويعدهم الشهرستاني<sup>(٣٥)</sup> خمس فرق والباقي فروعاً لهم. وبعضهم يعدهم أكثر بكثير من هذه الأعداد كما قدمنا، والأقرب إلى الصواب أن يقال: إن من أكبر فرقهم أكثرهم نفوذاً ووجوداً في العالم الإسلامي إلى اليوم فرقة الإمامية الرافضة وفرقة الزيدية.

(٣٣) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٦٥.

(٣٤) الفرق بين الفرق ص ٢١.

(٣٥) الملل والنحل ج ١ ص ١٤٧.

ومما لا شك فيه أن هذا الاختلاف تكمن وراءه أسباب. فما هي تلك الأسباب أو الظاهر منها؟

#### ٤- السبب في عدم اتفاق العلماء على عدد فرق الشيعة؟

ذكرنا قبل قليل أن فكرة التشيع قد جذبت إليها كثيراً من أهل الأهواء والأغراض، وهؤلاء بدءوا يُدخلون في الإسلام ما لا يتفق مع الإسلام، بل يتفق مع هواهم، فأضافوا إلى الفكر الشيعي أفكاراً جديدة أسهمت في كثرة تفرق من ينتسب إلى التشيع. وهذه الكثرة والظهور المتتابع جعلت العلماء لا يتفقون في عددهم لهم، ومن هنا بدأ علماء الفرق يسجلون ما يصل إليهم من عدد فرق الشيعة، فجاء عددهم غير منضبط لتجدد الأفكار الشيعية وتقلبها.

وربما أيضاً لتباعد هؤلاء العلماء فيما بينهم، ولكثرة ظهور الفرق الشيعية أيضاً في تتابع لم يمكّن العلماء من ملاحظته ورصده، بل وربما يوجد لكثير من هذه الفرق رغبة ملحّة في صرف الأنظار عنهم فيحاولون زيادة التشويش لصرف التوجيه إليهم ودراستهم ومتابعة حركاتهم المريبة، ليتم لهم تنفيذ مآربهم بهدوء دون أن يفتن الناس لهم.

إضافة إلى ذلك التشويش الحاصل فعلاً في طريقتهم عند طباعة كتبهم بحيث لا يهتدي الشخص إلى المكان الذي يريد تسجيله عليهم للاختلاف البعيد بين طبعات الكتاب الواحد، واختلاف الصفحات.

\* \* \* \* \*

## الفصل السادس دراسة أهم فرق الشيعة

### ١- السبئية:

السبئية : هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي.

قيل إنه من الحيرة<sup>(٣٦)</sup> بالعراق، وقيل -وهو الراجح- إنه من أهل اليمن من صنعاء<sup>(٣٧)</sup>، وقيل أصله رومي<sup>(٣٨)</sup>. أظهر الإسلام في زمن عثمان خديعة ومكراً، وكان من أشد المحرضين على الخليفة عثمان رضي الله عنه حتى وقعت الفتنة.

وهو أول من أسس التشيع على الغلو في أهل البيت، ونشط في التنقل من بلد إلى بلد؛ الحجاز والبصرة والكوفة، ثم إلى الشام، ثم إلى مصر وبها استقر، ووجد آذاناً صاغية لبث سمومه ضد الخليفة عثمان والغلو في علي، وهذا النشاط منه في نشر أفكاره مما يدعو إلى الجزم بأن اليهود يمولونه، إذ كلما طرد من بلد انتقل إلى آخر بكل نشاط، ولا شك أنه يحتاج في تنقله هو وأتباعه إلى من يمولهم وينشر آراءهم، ومن يتولى ذلك غير اليهود الذين آزره في إتمام خطته ليجنوا ثمارها بعد ذلك الفرقة وتجهيل المسلمين والتلاعب بأفكارهم.

وقد بدأ ينشر آراءه متظاهراً بالغيرة على الإسلام، ومطالباً بإسقاط الخليفة إثر إسلامه المزعوم. ثم دعا إلى التشيع لأهل البيت وإلى إثبات الوصاية لعلي إذ إنه -كما زعم- ما من نبي إلا وله وصي، ثم زعم بعد ذلك أن علياً هو خير الأوصياء بحكم أنه وصي خير الأنبياء.

ثم دعا إلى القول بالرجعة<sup>(٣٩)</sup>، ثم إلى القول بألوهية علي، وأنه لم يقتل بل صعد إلى السماء، وأن المقتول إنما هو شيطان تصور في صورة علي، وأن الرعد صوت علي، والبرق سوطه أو تبسمه، إلى غير ذلك من أباطيله الكثيرة.

(٣٦) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٥ .

(٣٧) انظر تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٠ .

(٣٨) انظر البداية والنهاية ج ٧ ص ١٧٣ .

(٣٩) انظر المقالات للأشعري ج ١ ص ٨٦ .

وفيما أرى أنه قد بيّت النية لمثل هذه الدعاوى، ولهذا لم يفاجئه موت علي بل قال وبكل اطمئنان وثبات لمن نعاه إليه: ((والله لو جئتمونا بدماعه في صرة لم نصدق بموته، ولا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها))<sup>(٤٠)</sup>.

وهذه الرجعة التي زعمها لعلي كان قد زعمها لمحمد صلى الله عليه وسلم، وكان يقول: ((إنه ليعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع)). واستدل بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} <sup>(٤١)</sup>.

وقد كذب عدو الله وأخطأ فهم الآية أو تعمد ذلك في أن المعاد هنا هو رجوع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا قبل يوم القيامة، فلم يقل بهذا أحد من المفسرين، وإنما فسروا المعاد بأنه: الموت.

- أو الجنة.

- أو أنه رجوع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه يوم القيامة.

- أو رجوعه إلى مكة<sup>(٤٢)</sup>.

وهي أقوال لكل واحد منها حظ من النظر بخلاف قول ابن سبأ، فإنه قول يهودي حاقد كاذب على الله دون مبالاة.

وقد تبرأ جميع أهل البيت من هذا اليهودي، ويذكر أن بعض الشيعة قد تبرأ منه أيضاً<sup>(٤٣)</sup>.

**موقف علي رضي الله عنه من ابن سبأ:**

اختلفت الروايات عن موقف علي رضي الله عنه من ابن سبأ حينما ادعى ألوهيته:

١- بعض الروايات تذكر أن علياً استتابه ثلاثة أيام فلم يرجع فأحرقه في جملة سبعين رجلاً<sup>(٤٤)</sup>.

٢- وبعض الروايات تذكر أن ابن سبأ لم يظهر القول بألوهية علي إلا بعد وفاته، وهذا يؤيد الرواية التي تذكر أنه نفاه إلى المدائن حينما علم ببعض أقواله، وغلوه فيه<sup>(٤٥)</sup>.

(٤٠) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٥ .

(٤١) القصص: الآية ٨٥

(٤٢) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٠٢-٤٠٣ .

(٤٣) انظر مقالات القمي ص ٢٠ .

(٤٤) منهج المقال ص ٢٠٣ للاسترابادي . وكذا قال الشيعي الحسن بن علي في كتابه ((الرجالي)) ص ٤٦٩ نقلاً عن الشيعة والتشيع ص ٥٦-٥٧ .

٣- وبعض الروايات تذكر أن علياً علم بمقالة ابن سبأ في دعوى ألوهيته، ولكنه اكتفى بنفيه خوف الفتنة واختلاف أصحابه عليه، وخوفاً كذلك من شماتة أهل الشام.

وكان هذا بمشورة ابن عباس رضي الله عنهما، أو الرفضة كما قيل في هذه الرواية<sup>(٤٦)</sup>.

والواقع أن الروايات التي تذكر أن علياً ترك ابن سبأ فلم يحرقه واكتفى بنفيه مع عظم دعواه وشناعة رأيه فيه -أمر فيه نظر، بل غير وارد كما أتصور، إذ يستبعد- حسبما يظهر لي- أن يتركه علي يعيث في الأرض فساداً، ويدعوا إلى ألوهيته أو نبوته أو وصايته أو التبرأ من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يكتفي بنفيه فقط إلى المدائن، وهو يعلم أنه باق على غلوه، وأنه سيفسد كل مكان يصل إليه.

ويمكن أن يقال -وهو أقل اعتذار: إنه تركه لعدم ثبوت تلك الأقوال عنده؛ لأن ابن سبأ كان يرمي بها من خلف ستار.

أو لأن دعوى الألوهية لم توجد إلا بعد وفاة علي رضي الله عنه كما يرى بعضهم، وأنه حينما نفاه إلى المدائن كانت دعواه لم تصل إلى حد تأليهه لعلي رضي الله عنه.

وقد جرأت هذه الدعوى الكثير بعد ذلك على دعوى الألوهية لأشخاص من آل البيت بل ومن غيرهم.

ومما يجدر التنبيه إليه وقوع أخطاء حول هذه الشخصية تناقلها بعض العلماء نيينها فيما يلي:

١- أن بعض علماء الشيعة، ومن المستشرقين أيضاً من يحاول إنكار وجود ابن سبأ ويزعم أن شخصيته أسطورية منتحلة<sup>(٤٧)</sup>.

وهؤلاء لا يوجد لهم مستند إلا شبهات واهية، وأصبح إنكارهم له أشبه ما يكون بإنكار ضوء الشمس في وسط النهار، إضافة إلى أن هذا الإنكار دعوى خطيرة، إذ لو صح التشكيك في وجوده لسهل التشكيك أيضاً في وجود غيره ممن امتلأت بهم مصادر المسلمين، ولعلها خطة يبيتها هؤلاء للوصول إلى هذا الهدف البعيد ليفقد المسلم بعد ذلك ثقته بتاريخه وفيما كتبه علماءه، فيكذبهم أو يبقى في حيرة وشك.

<sup>(٤٥)</sup> شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٠٩، وانظر الملل والنحل للشهرستاني . ج ص ١٥٧ .

<sup>(٤٦)</sup> انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٥ .

<sup>(٤٧)</sup> انظر ابن سبأ حقيقة لآخيال ص ٧ - ٢٤ .

٢- وقع لبعض العلماء التباس بين عبد الله بن سبأ، وعبد الله بن وهب الراسبي<sup>(٤٨)</sup>، ورأى أنهما شخصية واحدة، وهذا خطأ ظاهر.

فإن الراسبي هو زعيم المحكمة الأولى - كما سبق -، وابن سبأ هو زعيم الحركة السبئية .

٣- وجد من كلام بعض العلماء ما يشير إلى التفرقة بين ابن السوداء، وبين ابن سبأ<sup>(٤٩)</sup>. والواقع الصحيح غير ذلك فإن ابن سبأ هو نفسه ابن السوداء كما يسميه بعضهم. ومن فرق بينهما فلاشتباه الأمر عليه.

وأما بالنسبة للرد على المسألة الأخيرة ((دعوى ألوهية علي)) فهي واضحة البطلان، فإن ادعاء الألوهية لأي شخص كلام ساقط يدل على نية خبيثة ومعتقد رديء أو جنون صاحبه. ومثله الزعم بأن علياً لم يقتل، وأنه لا يجوز عليه الموت. وقد رد البغدادي في كتابه ((الفرق بين الفرق))<sup>(٥٠)</sup>، وكذا ابن حزم أيضاً<sup>(٥١)</sup> وغيرهما على مزاعم ابن سبأ بعدم موت عليّ بأدلة عقلية منها:

١- إن كان مقتول عبد الرحمن بن ملجم شيطاناً وليس بعليّ، فلم لعنتم ابن ملجم وقد قتل شيطاناً؟

٢- قولكم إن الرعد صوت علي، والبرق تبسمه أو سوطه يبطله أن البرق والرعد كانا موجودين ومعروفين منذ القدم، واختلفت الفلاسفة قبل الإسلام في علتها لا في وجودهما.

٣- موسى وهارون ويوشع أعظم رتبة في نفس ابن سبأ واليهود من علي ... فلم صدقوا بموتهم ونفوا حلول الموت بعليّ؟

٤- دعواهم أن الأئمة ينبع لهم العسل والسمن من الأرض<sup>(٥٢)</sup> - يكذبه أن الحسين وأصحابه بكريلاء قتلوا عطاشاً، ولم ينبع لهم الماء فضلاً عن السمن والعسل<sup>(٥٣)</sup>. زعمهم أن علياً في السحاب على حد ما قال إسحاق بن سويد<sup>(٥٤)</sup>.

(٤٨) انظر عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ٣٩ - ٤٢ .

(٤٩) المصدر السابق ص ٤٢ .

(٥٠) الفرق بين الفرق ص ٢٣٦ .

(٥١) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٠ .

(٥٢) يشير هنا قول ابن سبأ حينما بلغه قتل علي (( والله لينبغي لعلي في مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلاً والأخرى سمناً ويغترف منهما شيعته )) .

(٥٣) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٦ .

(٥٤) المصدر السابق .

برئت من الخوارج لست منهم\*\*\* من الغزّال منهم وابن باب  
ومن قوم إذا ذكروا علياً\*\*\* يردون السلام على السحاب

هذا الزعم يبطله أن السحاب متفرق فوق الأرض، يبدأ وينتهي في حركات متواصلة ومتقطعة.. ففي أي سحاب يكون؟ وعلى أي أرض يستقر؟  
ورغم تفاهة هذه الدعوى في علي رضي الله عنه إلا أنها وجدت مؤيدين ومناصرين، وقد صدق الله تعالى حين قال في وصف البشر حين يضلون الصراط المستقيم: { أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون } .  
ورغم تفاهة دعوى ابن سبأ في علي رضي الله عنه فقد ذكر علماء الفرق من الردود عليها والإلزامات الواردة عليها ما لا تستحق من الاهتمام.

## ٢- الكيسانية:

بدأ ظهور هذه الفرقة بعد قتل الخليفة الراشد علي رضي الله عنه، وعرفوا بهذه التسمية واشتهروا بمواليتهم لمحمد بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية، وظهر تكوّنهم بعد تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنهما (٥٥).  
فحينما تم الصلح مالوا عن الحسن والحسين وقالوا بإمامة محمد بن الحنفية، وقالوا: إنه أولى بالخلافة بعد علي، وهو وصي علي بن أبي طالب، وليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه أو يخرج بغير إذنه.

وقالوا: إن الحسن خرج لقتال معاوية بأمر محمد بن الحنفية، وإن الحسين خرج لقتال يزيد بإذن ابن الحنفية، بل وقالوا بأن من خالف ابن الحنفية فهو مشرك كافر.  
وفرقة من هؤلاء الكيسانية قالوا: إن الإمامة لعلي ثم الحسن ثم الحسين ثم لابن الحنفية لأنه أولى الناس بالإمامة كما كان الحسين أولى بها بعد الحسن (٥٦).

وقد اختلف في كيسان زعيم الكيسانية:

١- فقيّل إن كيسان رجل كان مولى لعلي بن أبي طالب.

(٥٥) مقالات القمي ص ٢٦ .

(٥٦) مقالات القمي ص ٢٣. وانظر لمزيد الأخبار فرق الشيعة للنوبختي .

٢- وقيل: بل كان تلميذاً لمحمد بن الحنفية<sup>(٥٧)</sup>.

٣- وقيل: بل هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، وقد كان يلقب بكيسان<sup>(٥٨)</sup>. وهذا غير صحيح لأن قيام الكيسانية كان قبل ظهور أمر المختار كما تقدم.

### ٣- المختارية:

#### كيف صارت الكيسانية مختارية؟

حينما تقرأ بعض كلام علماء الفرق تجد أن فيه مشكلة خفية وخطأ في التسمية، إذ يجعل بعضهم الكيسانية هي نفسها فرقة المختارية التي تزعمها المختار ابن أبي عبيد كما فعل القمي وغيره<sup>(٥٩)</sup>.

وبعضهم يجعل الكيسانية فرقة مستقلة، تزعمها رجل يقال له كيسان كما فعل الشهرستاني وغيره.

والذي يتضح لي أن الكيسانية عندما نشأت كانت فرقة مستقلة، تزعمهم رجل يسمى كيسان الذي هو تلميذ لمحمد بن الحنفية أو مولى لعلي، وحينما جاء المختار بن أبي عبيد انضم إليه هؤلاء وكونوا بعد ذلك فرقة المختارية...

ولقد كان لفرقة المختارية أحداث هامة في التاريخ بقيادة المختار. فمن هو المختار بن أبي عبيد الذي تلففته الكيسانية للانقضاء به على قتله الحسين ابن علي رضي الله عنه؟

#### المختار بن أبي عبيد الثقفي:

هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، ولد في الطائف في السنة الأولى للهجرة، ووالده صحابي استشهد في معركة الجسر حينما كان قائداً لجيش المسلمين في فتح العراق، وقام بكفالة المختار عمه سعيد بن مسعود الثقفي الذي كان والياً على الكوفة لعلي رضي الله عنه.

<sup>(٥٧)</sup> الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٤٧ .

<sup>(٥٨)</sup> انظر مقالات القمي ص ٢١ .

<sup>(٥٩)</sup> مقالات القمي ص ٢١ .

وقد نشأ المختار على جانب من الذكاء والفتنة مراوفاً ماكرأً غير صادق في تشيعه، وإنما كان يريد من ورائه تحقيق طموحه السياسي بأي وجه، وله مواقف تشهد بصحة هذا القول عنه ذكرها أهل التاريخ والفرق<sup>(٦٠)</sup>.

وقد لقب بكيسان لأسباب هي:

١- منهم من يقول: إنه نسبة إلى الغدر<sup>(٦١)</sup>، لأن كيسان في اللغة العربية اسم للغدر، وكان المختار كذلك.

٢- أنه أطلق عليه هذا اللقب باسم مدير شرطته المسمى بكيسان<sup>(٦٢)</sup> والملقب بأبي عمرة الذي أفرط في قتل كل من شارك ولو بالإشارة في قتل الحسين، فكان يهدم البيت على من فيه، حتى قيل في المثل: ((دخل أبو عمرة بيته)) كناية عن الفقر والخراب.

أنه أطلق على المختار هذا اللقب باسم كيسان الذي هو مولى علي بن أبي طالب<sup>(٦٣)</sup>. وذهب بعض الشيعة ومنهم النوبختي<sup>(٦٤)</sup> إلى أن هذا اللقب أطلقه عليه محمد بن الحنفية على سبيل المدح، أي لكيسه، ولما عرف عنه من مذهبه في آل البيت؛ لأن الكيسانية زعموا أن محمد بن الحنفية هو الذي كلف المختار بالثورة في العراق لأخذ الثأر للحسين، وهذا ليس بصحيح كما سيأتي.

وقد كان للمختار أدوار مع ابن الزبير، وخاض معارك في العراق خرج منها ظافراً فأعجبته نفسه، وأخذ يسجع كسجع الكهان، ويلمح لأناس ويصرح لآخرين أنه يوحى إليه، فانفض عنه كثير من أصحابه، وقُتل في حربه مع مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ، وتفرق أتباعه<sup>(٦٥)</sup>، وصدق عليه الحديث الذي روته أسماء بنت أبي بكر وغيرها أنه كذاب ثقيف<sup>(٦٦)</sup>.

### محمد بن الحنفية:

(٦٠) انظر ترجمة البداية ج ٨ ص ٢٨٩، وانظر والنحل ج ١ ص ١٤٧.

(٦١) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٧٥.

(٦٢) مقالات القمي ص ٢١، فرق النوبختي ص ٤٥.

(٦٣) مقالات القمي ص ٢٢، فرق النوبختي ص ٤٥.

(٦٤) فرق الشيعة ص ٤٨.

(٦٥) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٦٥.

(٦٦) سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٩٩.

أما ابن الحنفية الذي جعله المختار واجهة له...فهو محمد بن علي بن أبي طالب، وأمه خولة، قيل: بنت جعفر، وقيل: بنت أياس الحنفية، وهي من سبي اليمامة في حروب الردة، صارت إلى علي. وقيل: إنها سنديّة وكانت أمة لبني حنيفة فنسبت إليهم.

ولد ابن الحنفية سنة ١٦هـ في عهد عمر بن الخطاب، ونشأ شجاعاً فاضلاً عالماً، دفع إليه أبواه الراية يوم الجمل وعمره ٢١ سنة، وقد تنقل بعد وفاة والده فرجع إلى المدينة ثم انتقل إلى مكة ثم منى في عهد ابن الزبير ثم إلى الطائف، ثم قصد عبد الملك بن مروان بالشام وتوفي سنة ٨١هـ قبل بالطائف، وقيل بأيلة من فلسطين، وقيل لم يمت بل حبسه الله في جبل رضوى القريب من ينبع، وهذا من تحريف الشيعة.

وبعد وفاته اختلف الشيعة فيما بينهم:

فذهب بعضهم إلى أنه مات وسيرجع. وذهب آخرون إلى أنه لا زال حياً بجبل رضوى قرب المدينة عنده عينان نضاختان، إحداهما تفيض عسلاً، والأخرى تفيض ماءً، عن يمينه أسد يجرسه، وعن يساره نمُرٌ يجرسه، والملائكة تراجع الكلام، وأنه المهدي المنتظر، وأن الله حبسه هناك إلى أن يؤذن له في الخروج، فيخرج ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وفي هذه الخرافات يقول السيد الحميري أو كثير عزة على رواية في قصيدة له:

ألا حي المقيم بشعب رضوى \*\*\* واهد له بمنزله السلاما

وقل يا ابن الوصي فدتك نفسي \*\*\* أطلتَ بذلك الجبل المقاما

وما ذاق ابن خولة طعم موت \*\*\* ولا وارت له أرض عظاما

لقد أمسى بجانب شعب رضوى \*\*\* تراجع الملائكة الكلاما

وإن له لرزقاً كل يوم \*\*\* وأشربه يعل بها الطعاما

أضر بمعشر وآلوك منا \*\*\* وسموك الخليفة والإماما

وعادوا فيك أهل الأرض طرا \*\*\* مقامك عنهم سبعين عاما (٦٧)

وقد اختلف الكيسانية في سبب حبس ابن الحنفية بجبل رضوى:

(٦٧) أوردها القمي في مقالاته ص ٢١ - ٣٢، والنوبختي في فرقه ص ٥١ باختصار.

- ١- ذهب بعضهم -وأراد أن يقطع التساؤل- إلى القول بأن سبب حبسه سر الله، لا يعلمه أحد غيره، وهو تخلص من هذه الكذبة التي زعموها في حبسه.
- ٢- وبعضهم قال: إنه عقاب من الله له بسبب خروجه بعد قتل الحسين إلى يزيد بن معاوية، و طلبه الأمان له، وأخذه عطاءه.
- ٣- بعضهم قال: إنه بسبب خروجه من مكة قاصداً عبد الملك بن مروان هارباً من ابن الزبير ولم يقاتله<sup>(٦٨)</sup>.

والحقيقة أنك لا تدري كيف تبدلت عقول هؤلاء إلى حد أن يعتقدوا هذا الاعتقاد الغريب في أن الله غضب على ابن الحنفية من مجرد زيارته لهؤلاء الحكام من المسلمين، والذين لهم يد مشكورة في انتشار رقة الإسلام، فأوصل الله -بزعمهم- عقابه إلى هذا الحد من السنين الطويلة التي شكى منها الحميري سبعين عاماً، وقد بقي الكثير جداً والتي ستمتد إلى أن يغير هؤلاء الحمقى عقيدتهم هذه.

#### ٤- الزيدية:

- بعد قتل الحسين بن علي<sup>(٦٩)</sup> ظهرت معظم الفرق التي تزعم التشيع، بل وأخذت دعوى التشيع تتصاعد في الغلو.
- وفي أيام علي بن الحسين الملقب بزین العابدين طمع الشيعة في استجلابه إليهم غير أنه كان على ولاء تام ووفاء كامل لحكام بني أمية متجنباً لمن نازعهم<sup>(٧٠)</sup>، بل إن يزيد بن معاوية وهو خليفة كان يكرمه ويجلسه معه، ولا يأكل إلا معه<sup>(٧١)</sup>.
- وقد أنجب أولاداً، منهم:
- زيد بن علي بن الحسين.
  - محمد بن علي بن الحسين المكنى بأبي جعفر الباقر.
  - عمر بن علي بن الحسين<sup>(٧٢)</sup>.

(٦٨) وانظر أخباره في مروج الذهب ج ٤ ص ٨٥-١٢٣. وفي الفرق بين الفرق ص ٣٩-٥٣ وفي مقالات القمي ص ٣٠-٣١.

(٦٩) إذا أردت أن تعرف موقف يزيد من الحسن فانظر البداية والنهاية ج ٨ ص ١٩١-١٩٤.

(٧٠) انظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٥٤، التشيعة والتشيع ص ٢٠٤.

(٧١) الإمام زيد ص ٢٣.

وقد اختلف الشيعة في أمر زيد بن علي، ومحمد بن علي أيهما أولى بالإمامة بعد أبيهما؟ فذهبت طائفة إلى أن لزيد فسموا زيديّة، وهؤلاء يرتبون الأئمة ابتداءً بعلي رضي الله عنه، ثم ابنه الحسن، ثم الحسين، ثم هي شوري بعد ذلك بين أولادهما - كما ترى الجارودية منهم<sup>(٧٣)</sup> - ثم ابنه علي بن الحسين زين العابدين، ثم ابنه زيد وهو صاحب هذا المذهب، ثم ابنه يحيى بن زيد، ثم ابنه عيسى بن زيد - كما ترى الحصنية منهم فيما يذكره القمي<sup>(٧٤)</sup> -، وبعد ذلك يشترطون في الإمام أن يخرج بسيفه سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين.

وذهبت طائفة أخرى إلى أن الإمامة لمحمد بن علي بن الحسين المكنى بأبي جعفر الباقر<sup>(٧٥)</sup>. ونحن هنا بصدد دراسة الزيديّة كيف قامت؟ وما هي مواقف الناس منهم؟

وقد وصف أبو زهرة الزيديّة بأنهم ((أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية، وأكثر اعتدالاً، وتشيعهم نحو الأئمة لم يتسم بالغلو؛ بل اعتبروهم أفضل الناس بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، واعتدلوا في مواقفهم تجاه الصحابة، فلم يكفروهم وخصوصاً من بايعهم علي رضي الله عنه واعترف بإمامتهم))<sup>(٧٦)</sup>.

هكذا قال عنهم، والذي يظهر لي أن هذا الحكم غير صحيح على جميع الزيديّة - فإن بعض طوائفهم رافضة، وهم الذين خرجوا عن مبادئ زيد وآرائه، سواء كانوا متقدمين أو متأخرين فقد قسم أبو زهرة الزيديّة من حيث الاعتقاد إلى قسمين<sup>(٧٧)</sup>:

١ - المتقدمون منهم؛ المتبعون لأقوال زيد، وهؤلاء لا يعدون من الرافضة، ويعترفون بإمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

٢ - وقسم من المتأخرين منهم، وهؤلاء يعدون من الرافضة، وهم يرفضون إمامة الشيخين ويسبوئهما ويكفرون من يرى خلافتهما.

<sup>(٧٢)</sup> وتسمية علي ابن الحسين ابنه باسم عمر إفحام لكذب الشيعة فيما يدعون من كراهة علي لأبي بكر ولعمر، حيث إنهم يجنبون أولادهم التسمية باسم خيار الصحابة مثل أبو بكر وعمر وعائشة. بل ومثله سمي علي رضي الله عنه أولاده بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

<sup>(٧٣)</sup> المقالات والفرق ص ١٨.

<sup>(٧٤)</sup> انظر المقالات والفرق ص ٧٤.

<sup>(٧٥)</sup> انظر الشيعة والتشيع ص ٢٠٤.

<sup>(٧٦)</sup> تاريخ المذاهب الإسلامية ج ١ ص ٤٧، وانظر تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٢٩٦. وأهم الفرق الإسلامية للنيفر ص

٨٠.

<sup>(٧٧)</sup> تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٥٢ ج ١.

وهذا يحتاج من الزيدية إلى إعادة النظر؛ ليتقاربوا من إخوانهم أهل السنة، وإلا أصبحوا في صف الإمامية الرافضة، وعموماً فإن مذهبهم في الإمامة يحصرونه في أولاد فاطمة فقط من غير تحديد بأحد منهم، وإنما يشترطون أن يكون كل فاطمي اجتمعت فيه خصال الولاية من الشجاعة والسخاء والزهد، وخرج ينادي بالإمامة - يكون إماماً واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أو الحسين<sup>(٧٨)</sup>، عكس الاثني عشرية الذين حرصوا على الأئمة في أولاد الحسين فقط.

### زيد بن علي وهو الذي تنسب إليه الطائفة الزيدية:

وهو زيد بن علي بن الحسين بن علي، ولد سنة ٨٠ هـ تقريباً، وتوفي سنة ١٢٢ هـ، وأمه أمة أهداها المختر إلى علي زين العابدين فأنجبت زيداً<sup>(٧٩)</sup>.

وكان زيد - كما تذكر الكتب التي تترجم له - شخصية فذة، صاحب علم وفقه وتقوى، واتصل بواصل بن عطاء وأخذ عنه، واتصل بأبي حنيفة وأخذ عنه<sup>(٨٠)</sup>، وكان أبو حنيفة يميل إلى زيد ويتعصب له، وقد قال في خروجه لحرب الأمويين: ((ضاهى خروجه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر)) كما يذكر ذلك أبو زهرة<sup>(٨١)</sup>.

### موقفه من حكام بني أمية:

خرج زيد على الحكام الأمويين، وأشهر السلاح في وجوههم، فما هو الدافع لزيد على هذا الخروج؟ والجواب هو حسب ما قيل في بعض المصادر أن زيداً خرج على بني أمية منكرًا للظلم والجور، وبعضها يذكر أنه لم يكن يريد الخروج، ولا طلب الخلافة، ولكن حدث في تصرف هشام بن عبد الملك وعماله إهانات وإساءة لزيد لم يطق أن يعيش معها مسالماً لهشام بن عبد الملك، وذلك أن زيداً أحس أن والي المدينة من قبل هشام ويسمى خالد بن عبد الملك ابن الحارث

(٧٨) الملل والنحل ج ١ ص ١٥٤ ، وانظر فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٣ .

(٧٩) انظر ترجمته في كتاب (( الإمام زيد )) ص ٢٢ .

(٨٠) وبعض العلماء كالشهرستاني يصرح بتلمذة زيد لواصل ولأبي حنيفة ، ولكن الأستاذ أبو زهرة يرى أنها ليست تلمذة بمعنى الكلمة ، وإنما كان اتصاله يزيد على سبيل المذكرة لتسويهما في العمر إذا واصل بن عطاء وزيد بن علي ولد في سنة ٨٠ هـ ، ولكن هذا لا يمنع أن يتلمذا ويتأثر زيد بواصل وأن يتلمذ كذلك على أبي حنيفة ، فإن تأثر زيد بهما ، وتأثر الزيدية بعد ذلك بالمعتزلة والحنفية ظاهر على سبيل التلمذة لا المذاكرة التي يذهب إليها أبو زهرة ، ولهذا قيل (( الزيدية معتزلة في الأصول ، حنفية في الفروع )) .

(٨١) الإمام زيد ص ٧٢ .

ووالي هشام على العراق يوسف بن عمر الثقفي يتعمدان الإساءة له، وربما تصور أن ذلك بإيعاز من الخليفة هشام، فقرر أن يذهب للشام ويشرح أمره لهشام ليزيل ما في نفسه من خوف أن يثور عليه زيد.

لكن حدث ما لم يكن في حسبانته، فقد قابله الخليفة بمقابلة غير لائقة به حاصلها: أن زيداً وقف بباب هشام فلم يؤذن له بالدخول مدة، فكتب له كتاباً يشرح أمره ويطلب الإذن له فكتب هشام في أسفل الكتاب: ارجع إلى أميرك بالمدينة. فعزم زيد على مقابته وقال: والله لا أرجع إلى خالد أبداً.

وأخيراً أذن له وقد رتب هشام الأمر، فوكل به من يحصي عليه جميع ما يقول، وحينما صعد زيد إلى هشام قال زيد: والله لا يحب الدنيا أحد إلا ذل. فلما مثل بين يدي هشام لم ير موضعاً للجلوس فيه حيث انتهى به المجلس، وقال: يا أمير المؤمنين، ليس أحد يكبر عن تقوى الله، ولا يصغر دون تقوى الله.

فقال هشام: اسكت لا أم لك. أنت الذي تنازعتك نفسك الخلافة وأنت ابن أمة. فقال له: يا أمير المؤمنين، إن لك جواباً إن أحببتك أحببتك به، وإن أحببت أمسكت - ولو أن هشاماً يريد العافية لقال له أمسك - فقال: بل أجب. فقال: إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحاق، فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبياً، وجعله للعرب أباً، وأخرج من صلبه خير البشر محمداً صلى الله عليه وسلم، ثم تقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي؟

فقال هشام: اخرج.

فقال زيد: أخرج، ولا أكون إلا حيث تكره.

ومن هنا قرر أنه بين أمرين أحلاهما مر؛ فاختر الخروج<sup>(٨٢)</sup>...

وكم أسديت له من النصائح للرجوع عن رأيه، ولكنه -وبدفع من الشيعة- واصل سيره إلى أهل الكوفة الذين عاهدوه على نصرته ثم نكسوا على أعقابهم حين تراءى الجمعان، جيش

(٨٢) والله أعلم عن صحة ذلك كله، وقد علمت أن أكثر المؤرخين يتجاوزون في نقل الأخبار اعتماداً على الرواة تاركين لمن جاء بعدهم مهمة تحقيقها

الخلافة وهؤلاء، وفي هذا الموقف الحرج قام هؤلاء وسألوه- ليأخذوا حجة في الهرب ولرداءة معتقدتهم- قالوا له: إنا لننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب.

فقال زيد - دون نفاق - : إني لا أقول فيهما إلا خيراً، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيراً، وقد كانا وزيرى جدي، وإنما خرجت على بني أمية الذي قتلوا جدي الحسين، وأغاروا على المدينة يوم الحرة، ثم رموا بيت الله بالمنجنيق والنار.

فلما سمعوا هذا الجواب تفرقوا عنه ورفضوه. فقال لهم: رفضتموني؟

فسموا رافضة-، وبقي في شردمة قليلة سرعان ما قضى عليهم يوسف ابن عمر، وقد قتل زيد ودفن في ساقية فاستخرجه يوسف وكتب إلى الخليفة، فأمره هشام أن يصلبه مدة وأن يحرقه، وتم ذلك فيما ذكره علماء الفرق والمؤرخين<sup>(٨٤)</sup>.

### آراء زيد و الزيدية:

للشيعة عموماً آراء متضاربة متناقضة وأفكار تأثرت بجهات شتى من وثنية ومجوسية ويهودية ونصرانية إلا القليل منهم.

وأما بالنسبة لزيد فإن آراءه كما ذكر علماء الفرق والمؤرخين نوجزها فيما يلي:

١- في السياسة: يرى زيد جواز ولاية المفضل، أي إن الإمامة عنده ليست وراثية، فإذا اقتضت المصلحة تقديم المفضل فلا بأس بذلك، وكان مع تفضيله لعلي بن أبي بكر يرى أن خلافة الشيخين خلافة صحيحة.

ولما قيل له في ذلك قال: ((كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة إلى أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها، من تسكين ثائرة الفتنة وتطيب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريباً، وسيف أمير المؤمنين من دماء المشركين من قريش لم يحف بعد والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي، فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن لمن

(٨٤) انظر الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢٢٩ - ص ٢٣٥، ومن ٢٤٢ - ص ٢٤٧. وانظر مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٧ - ٢٢٠. وانظر البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٢٩ - ٣٣٠. وانظر مقاتل الطالبين ص ٨٦ - ١٠٢. ويجب أن تدرك المبالغات التي ذكرها المسعودي والأصفهاني صاحب مروج الذهب بناء على تشيعها.

عرفوا باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق في الإسلام، والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم (...))<sup>(٨٥)</sup> إلى آخر كلامه.

وفي هذا الجواب بعض الأمور التي فيها نظر، فإن الصحابة ما كانوا ليحقدوا عليه قتل أقربائهم من المشركين، وأما الشدة فإن عمر كان أشهر منه فيها وقد ولاه الصحابة أمرهم.

٢- القول بعدم عصمة الأئمة أو وصايتهم من النبي صلى الله عليه وسلم كما تقول الإمامية وبعض فرق الزيدية، فإن زعمهم عصمة الأئمة أو وصايتهم كان أساسه الاعتقاد الخاطيء أن تولي الأئمة كان من النبي صلى الله عليه وسلم. والنبي ما كان يتصرف إلا بوحى، ومن غير المعقول أن يختار الله ورسوله الأئمة ثم يجري عليهم الخطأ في أحكامهم وهم المرجع للدين بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

ولكن زيداً لم يلتفت إلى هذا القول الخاطيء والاعتقاد الباطل فيما قيل عنه<sup>(٨٦)</sup>. إذ لم تثبت العصمة لأحد غير الأنبياء فيما كلفوا بتبليغه.

٣- لم يقل بالمهدي المنتظر ولا بالغائب المكتوم<sup>(٨٧)</sup>.

وهي من عقائد الشيعة الأساسية، فكل طائفة منهم لها مهدي وغائب مكتوم، وتفرقوا في هذه الخرافة طوائف متعارضة: فالمهدي عند الكيسانية هو محمد بن الحنفية، وعند الاثني عشرية محمد بن الحسن العسكري، وعند بقية طوائفهم أئمة مهديون ينتظرون خروجهم بغتة يملأون الأرض عدلاً بزعمهم.

وسبب هذه الخرافة أنهم يعتقدون أن لآل البيت مزية عن غيرهم فهم يحيون قروناً، وأن الخلافة لا تخرج من أيديهم سواء كانوا ظاهرين أو مستترين، ولم يلتفت زيد إلى وجود مهدي سيخرج، كما يذكر عنه أبو زهرة<sup>(٨٨)</sup>.

<sup>(٨٥)</sup> الممل والنحل ج١ ص١٥٥ الإمام زيد ١٨٨ .

<sup>(٨٦)</sup> انظر الإمام زيد ص١٩١ ولكن الزيدية في عصرنا الحاضر يقولون بعصمتهم . انظر انظر نصيحة الإخوان ص٤ .

<sup>(٨٧)</sup> وقد زعمت الجارودية من الزيدية إن محمد بن عبدالله بن الحسن لم يمته وإنه يخرج ويغلب وفرقة أخرى زعمت . أن محمد

بن القاسم صاحب الطالقان حيي لم يمته وأنه يخرج ويقلب وفرقة قالت مثل في يحيى بن محمد صاحب الكوفة [ انظر مقالات

الإسلامية ج١ ص١٤١ ] .

<sup>(٨٨)</sup> انظر الإمام زيد ص ١٩٥ .

والواقع أن أهل السنة يؤمنون بمجيء مهدي في آخر الزمان على ما بينته الأحاديث<sup>(٨٩)</sup> ، لكن هؤلاء الشيعة استغلوا هذه القضية استغلالاً خاطئاً، وقرروا علماءهم وزعماءهم لأغراض سياسية أكثر منها دينية.

٤- حكم في مرتكب الكبيرة بأنه في منزلة بين المنزلتين تبعاً لرأي المعتزلة: وقيل: إنه خالفهم في تخليده في النار، وقال: لا يخلد في النار إلا غير المسلم<sup>(٩٠)</sup> هكذا ذكر عنه أبو زهرة. ولكن الأشعري ينقل عن فرق الزيدية القول بتخليد مرتكب الكبيرة في النار كما تقول الخوارج<sup>(٩١)</sup> والمعتزلة، وإنهم مجمعون على ذلك.

وأهل الحق يقولون: هم تحت المشيئة، ولا يقولون بحتمية دخولهم النار ولا بتخليدهم فيها. ٥- قال بالإيمان بالقضاء والقدر من الله تعالى، وأن العبد فاعل لفعله حقيقة، وله قدرة واختيار بتمكين الله له، وبها يحاسب فيثاب أو يعاقب كما يذكره عنه أبو زهرة<sup>(٩٢)</sup> رغم أن الزيدية معتزلة في الأصول بسبب تلمذة زيد لواصل بن عطاء الغزال زعيم المعتزلة.

٦- لم يقل بالبداء على الله، وهو القول بحدوث حوادث جديدة متغيرة في علم الله - على حسب ما يحدث-، وهذا القول تزعمته الكيسانية وكثير من الروافض، واعتقاده كفر. ومذهب زيد أن علم الله تعالى أزلي قديم، وأن كل شيء بتقديره سبحانه، وأن من النقص في علم الله أن يغير إرادته لتغير علمه<sup>(٩٣)</sup> ولم يتأثر بعقائد الإمامية في هذا .

٧- لم يقل بالرجعة المزعومة عند الشيعة. وهي بدعة غريبة، وهي أن كثيراً من العصاة سيرجعون إلى الدنيا ويجازون فيها قبل يوم القيامة، وينتصف أهل البيت ممن ظلموهم، كما أنه يرجع أقوام

<sup>(٨٩)</sup> توجد فروق بين أهل السنة والرافضة في المهدي كثيرة؛ هذا أحدها، ومنها تسمية المهدي عند أهل السنة اسمه محمد بن عبدالله، وعند الرافضة محمد بن الحسن العسكري. المهدي عند أهل السنة يحكم بالشريعة الإسلامية، ومهدي الرافضة يحكم بحكم داود. المهدي عند أهل السنة نعمة، ومهدي الرافضة نقمة وبلاء. المهدي عند أهل السنة يتميز بالعدل بين الناس، ومهدي الرافضة لإعلاء أمرهم فقط، المهدي عند أهل السنة يفر إلى البيت الحرام ويتبعه الناس فيبأيعونه دون حرص منه عليها، أما المهدي عند الرافضة فهو يخرج بمشيئته على اختلاف بينهم في مكان خروجه، المهدي عند أهل السنة له مدة محددة، ومهدي الرافضة ليس لحكمة تحديد.

إلى آخر الفروق بين أهل السنة والرافضة في قضية المهدي.

<sup>(٩٠)</sup> انظر الإمام زيد ص ٢٠٤.

<sup>(٩١)</sup> انظر المقالات ج١ ص ١٤٩، تاريخ الفرق الإسلامية ٢٩٤.

<sup>(٩٢)</sup> انظر ((الإمام زيد)) ص ٢٠٨.

<sup>(٩٣)</sup> الإمام زيد ص ٢١١ وانظر مواقف الرافضة منه ((مقالات الإسلامية ج١ ص ١١٣)).

آخرون لا عقاب عليهم لينظروا ما يحل بمن ظلم أهل البيت<sup>(٩٤)</sup> ، إلى غير ذلك من الآراء التي تم أهل الاختصاص والتفرغ لدراساتها.

ولكن: هل استمر الزيدية على هذه المبادئ التي قيلت عن زيد.

**والجواب:** لا، فقد جاءت طوائف حرفت مذهب زيد، ورفضوا خلافة الشيخين<sup>(٩٥)</sup>، وقالوا بالرجعة<sup>(٩٦)</sup> وعصمة الأئمة وغير ذلك من أقوال فرقهم الأربع التي هي: الجارودية، و السليمانية أو الجريرية، والبترية أو الصالحية، واليعقوبية. وأشهرها الجارودية.

## ٥ - الرفضية:

### ١ - معنى الرفضية لغة واصطلاحاً:

الرفض في اللغة يأتي بمعنى الترك. يقال: رفض يرفض رفضاً، أي ترك. وعرفهم أهل اللغة بقولهم: ((و الروافض كل جند تركوا قائدهم))<sup>(٩٧)</sup> ، هذا هو معنى الرفض في اللغة.

وأما في الاصطلاح: فإنه يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي صلى الله عليه وسلم، وأن خلافة غيرهم باطلة.

### ٢ - سبب تسميتهم بالرفضية:

أطلقت هذه التسمية على الرفضية لأسباب كثيرة:

١- قيل: إنهم سمو رافضة لرفضهم إمامة زيد بن علي، وتفرقهم عنه كما تقدم<sup>(٩٨)</sup>.

٢- وقيل: سمو رافضة لرفضهم أكثر الصحابة، ورفضهم لإمامة الشيخين<sup>(٩٩)</sup>.

<sup>(٩٤)</sup> انظر مقالات الأشعرية ج ١ ص ١٤٤ عن الفرقة البترية منهم ، وص ١٤٥ عن فرقة اليعقوبية حيث ظلوا على رأى زيد في إنكار الرجعة .

<sup>(٩٥)</sup> كما هو مذهب الجارودية فيهما ومذهب السليمانية في تكفيرهم عثمان رضي الله عنه عند الأحداث التي وقعت عليه أو البراءة منه كما هو مذهب البترية أصحاب الحسن بن صالح بن حي والنعيمية أصحاب نعيم بن اليمان حيث تبرأوا من عثمان ومن محارب علي وشهدوا عليه بالكفر وذكر الأشعري بعد ذكره ما تقدم أن الفرقة الخامسة من الزيدية يتبرأون من أبي بكر وعمر .

<sup>(٩٦)</sup> كالفرقة الخامسة منهم فإنهم لا ينكرون رجعة الأموات قبل يوم . ((المقالات ج١ ص ١٤٥)) .

<sup>(٩٧)</sup> انظر الصحاح للجوهري ج ٣ ص ١٠٧٨ ، وانظر القاموس المحيط ص ٣٤٤ .

<sup>(٩٨)</sup> انظر البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٣٠ .

<sup>(٩٩)</sup> مقالات الأشعري ج ١ ص ٨٩ .

٣- وقيل : لرفضهم الدين (١٠٠).

ولعل الراجح هو الثاني، ولا منافاة بينه وبين الأول، لأنهم كانوا رافضة يرفضون الشيخين وقد رفضوا زيدا كذلك إذ لم يرض مذهبهم.

### ٣ - وجود الرافضة قبل اتصاهم بزید:

وجدت هذه الطائفة قبل انضمامهم لزید بن علي، وكانت عقيدتهم هي الرفض، ولهذا طلبوا من زید أن يوافقهم على أهوائهم ويتبرأ من الشيخين فخبب آمالهم وانفصلوا عنه. وسبب ذلك يعود إلى تشبعهم بأفكار اليهودي ابن سبأ، وانحرافهم التام عن التشيع لأهل البيت الذي كان عبارة عن الحب والمناصرة.

### ٤ - أسماءهم قبل اتصاهم بزید:

ومن أسمائهم في تلك الفترة:

١- الخشبية.

٢- الإمامية (١٠١).

وسبب تسميتهم بالخشبية: أنهم - كما قيل - كانوا يقاتلون بالخشب ولا يجيزون القتال بالسيف إلا تحت راية إمام معصوم من آل البيت . وسبب تسميتهم بالإمامية: لزعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي رضي الله عنه نصاً ظاهراً وبقيناً صادقاً، ولم يكتف فيه بالوصف بل صرح بالاسم لعلي ولأولاده من بعده - كما يدعي هؤلاء.

### ٥ - فرق الروافض:

لقد تفرقت الشيعة الروافض إلى أقسام كثيرة لم يتفق العلماء على عددها، ولا على اعتبار من هم الأصول ومن هم الفروع منهم. ولا حاجة إلى التطويل بذكر جميع تلك الفرق الأصول والفروع؛ إذ الكل يجمعهم معتقد واحد حول الإمامة وأحقية علي بها، وأولاده من بعده، ورفض من عداهم.

(١٠٠) المصدر السابق ، تعليق محمد محيي الدين عبدالحميد .

(١٠١) انظر الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٥ ، وانظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٧٦ .

وأشهر فرق الروافض: الشيعة الاثنا عشرية - كما سندرهم بالتفصيل - ، وفرقة أخرى منهم تسمى المحمدية.

وسنقتصر على دراسة هاتين الطائفتين ليتضح من خلالهما مدى تناقض الشيعة في عقائدهم الهامة مثل الإيمان بالمهدي<sup>(١٠٢)</sup> والرجعة<sup>(١٠٣)</sup> وغير ذلك من عقائدهم، إضافة إلى أن هذه الفرقة لا تزال طائفة منهم - وهم الذين صدقوا بقتل زعيمهم الذي ينتسبون إليه - النفس الزكية - يأتون إلى قبره - الذي ظنوا بأنه دفن في مكانه ذلك - يأتون إليه ويتمسحون به ويدعون عنده إلى اليوم.

١- المحمدية: خلاصة أمر هذه المحمدية أنهم طائفة يعتقدون أن الإمام والمهدي المنتظر هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي، ويعرف بالنفس الزكية. ولد محمد سنة ٩٣هـ<sup>(١٠٤)</sup>، ويوصف بأنه كان فاضلاً صاحب عبادة وورع، ولذا أطلق عليه لقب النفس الزكية.

خرج بالمدينة المنورة سنة ١٤٥هـ على أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، فبعث إليه المنصور بعيسى بن موسى الهاشمي، فدارت المعركة على محمد فسقط قتيلاً بعد مدة قليلة من إعلان خروجه، وقد احتز عيسى رأس محمد وأرسله إلى أبي جعفر المنصور<sup>(١٠٥)</sup> جرياً على العادة التي سنها الأمويون من قبل لإرهاب المخالفين.

ومما يجدر ذكره أن شخصاً ماكرأ اسمه المغيرة بن سعيد العجلي كانت له آراء ضالة استغل توجه الناس إلى محمد بن علي بن الحسن فأخذ يدعو الناس إلى البيعة لمحمد، وجدد في ذلك، وزعم للناس أن المهدي المنتظر قد خرج، وأنه محمد بن الحسن، وبشر الناس بأن ملكه سيامتد طويلاً ويعيد الأمور إلى نصابها ويملا الأرض عدلاً، وأن على الجميع أن يبادروا بالطاعة والانطواء تحت لوائه للقيام بواجبهم نحو المهدي.

(١٠٢) لأن مهدي الاثني عشرية غير مهدي المحمدية .

(١٠٣) لأن المحمدية تؤمن برجعة كل الأموات قبل يوم القيامة قال شاعرهم :

إلى يوم يوب الناس فيه \*\*\*\* إلى دنياهم قبل الحساب

(( الفرق بين الفرق )) ص ٥٩ .

(١٠٤) حركة النفس الزكية ص ٥٥ .

(١٠٥) انظر مقاتل الطالبين ص ١٨٥ .

وحيثما قتل محمد في أول لقاء مع عيسى بن موسى أسقط في يد أتباعه من هؤلاء الحمقى الذين صدقوا أقواله وانقسموا فيما بينهم، فطائفة تبرأت من المغيرة وقالوا: لا يجوز لنا متابعتة بعد أن ظهر كذبه، فإن محمد بن عبد الله ابن الحسن مات مقتولاً ولم يملك ولا يملأ الأرض عدلاً، ولو كان هو المهدي لتكفل الله بظهوره.

وطائفة أخرى - لأغراض في أنفسهم ولبقاء شوكتهم - استمروا على الولاء للمغيرة ولمحمد بن عبد الله بن الحسن، ولجئوا إلى أقوال السبئية، فقالوا: إن محمداً لم يقتل، وإنما المقتول كان شيطاناً تصور للناس في صورة محمد بن عبد الله بن الحسن، وأن محمداً لا يزال حياً في جبل حاجر بنجد، ولا بد أن يظهر مرة أخرى، ويملأ الأرض عدلاً، وأن البيعة ستعقد له بين الركن والمقام في بيت الله الحرام بمكة<sup>(١٠٦)</sup>.

وقد ذكر لي بعض أهل المعرفة أن جماعة من الشيعة يأتون إلى مكان في المدينة المنورة خلف مسجد ثنية الوداع لزيارته لاعتقادهم أنه قبر محمد بن عبد الله بن الحسن، وقد أزيل هذا المكان في مشروع. ويظهر أن هؤلاء الشيعة هم من القسم الذين صدقوا بموته وفارقوا المغيرة. وقد استمر المغيرة على ضلالاته حتى قتله خالد بن عبد الله القسري.

## ٢- الاثنا عشرية:

هذه هي الواجهة الرئيسية والوجه البارز للشيعة في عصرنا الحاضر وهم القائمون على نشر هذا المذهب الرافضي والممول له بشتى الطرق والأساليب، وقد تحقق لهم الكثير مما أرادوه في العالم الإسلامي وذلك لما يبذلونه من مساعدات مادية ومعنوية.

فتعتبر هذه الطائفة أشهر فرق الشيعة، وأكثرها انتشاراً في العالم، وإليها ينتمي أكثر الشيعة في إيران والعراق وباكستان وغيرها من البلدان التي وصلت إليها العقيدة الشيعية، ولهم نشاط ملموس في كثير من البلدان في الآونة الأخيرة؛ حيث توغلوا إلى أماكن من بلدان المسلمين ما كان لهم فيها ذكر.

(١٠٦) انظر لأخبار هذه الفرقة: الفرق بين الفرق ص ٢٤٠-٢٤٢ .  
ومقالات الأشعري ج ١ ص ٩٨ ، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٧٧ .

وهم مجموعة من الطوائف المختلفة الآراء بعضها معلن وبعضها مستتر، ويجمعهم هدف عام واحد وهو علو المذهب الاثنا عشري الجعفري الذي زعم الخميني أن أتباعه يبلغون ٢٠٠ مليون شيعي، كان النواة الأولى فيها لمذهب التشيع هو الرسول وعلي بن أبي طالب و خديجة، حيث بدأ الرسول - حسب زعمه- يدعو للتشيع من نقطة الصفر<sup>(١٠٧)</sup>.

## ١- أسماءهم وسبب تلك التسميات:

للاثنا عشرية أسماء تطلق عليهم، بعضها من قبل مخالفينهم وبعضها من قبلهم هم، وهذه الأسماء هي:

### ١- الاثنا عشرية<sup>(١٠٨)</sup>.

وسبب تسميتهم بها لاعتقادهم وقولهم بإمامة اثني عشر رجلاً من آل البيت، ثبتت إمامتهم -حسب زعمهم- بنص من النبي صلى الله عليه وسلم، وكل واحد منهم يوصي بها لمن يليه. وأولهم: علي -رضي الله عنه- و آخرهم محمد بن الحسن العسكري المزعوم الذي اختفى في حدود سنة ٢٦٠ هـ ، وسيعود بزعمهم ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويسير الخير بين الناس وافرأ إلى آخر مزاعمهم الكثيرة، وفيه قال الشيرازي: ((كما تسمى الشيعة بالاثني عشرية لأنهم يعتقدون بإمامة الأئمة الاثني عشرية))<sup>(١٠٩)</sup>.

وهؤلاء الأئمة الاثنا عشر هم:

١. علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- .
٢. الحسن بن علي -رضي الله عنه- .
٣. الحسين بن علي -رضي الله عنه- .
٤. علي بن الحسين .
٥. محمد بن علي بن الحسين الباقر .
٦. جعفر بن محمد بن الحسين -أبو عبد الله- الصادق - .
٧. موسى بن جعفر الكاظم .

<sup>(١٠٧)</sup> انظر كتاب (( ولاية الفقيه )) ص ١٣٦ - ١٣٧ .

<sup>(١٠٨)</sup> انظر الفرق الإسلامية ص ٨٠ ، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٨١ .

<sup>(١٠٩)</sup> قضية الشيعة ص ٤ .

٨. علي بن موسى -الرضي- .

٩. محمد بن علي -الجواد- .

١٠. علي بن محمد الهادي.

١١. الحسن بن علي العسكري.

١٢. محمد بن الحسن العسكري الغائب الموهوم، كما يسميه الشيخ إحسان إلهي -رحمه الله

تعالى - ، ومن الملاحظ أن الشيعة الاثني عشرية حصروا الإمامة في أولاد الحسين بن علي

دون أولاد الحسن -رضي الله عنهما-، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تزوج الحسين بن

علي بنت ملك فارس يزيدجرد، ومجيء علي بن الحسين منها.

## ٢- الجعفرية:

نسبة إلى جعفر بن محمد الصادق الذي بنوا مذهبهم في الفروع على أقواله وآرائه - كما يزعمون - وهو بريء من أكاذيب الشيعة هذه، فإنهم يسندون إليه أقوالاً واعتقادات لا يقول بها من له أدنى بصيرة في الإسلام ، فكيف به؟

وهذا الاسم من أحب الأسماء إليهم بخلاف تسميتهم بالرافضة، فإنهم يتأذون منه، وهم أحق بتسميتهم بالرافضة لا الجعفرية؛ لأنهم لا يعرفون مذهب جعفر الصادق، وإنما هي تخرصات جمعوها، وتلفيقات استحسناها ثم نسبوها إليه<sup>(١١٠)</sup> ، وأكثرها مما لا يرضي الله ورسوله، بل ولا يقوله عاقل ولا طالب علم يعرف الشريعة الإسلامية، ومع ذلك يتبجح الشيعة بانتسابهم إليه ظلماً وزوراً.

يقول الخميني مفتخراً: نحن نفخر بأن مذهبنا جعفري ففقها هذا البحر المعطاء بلا حد، وهو من آثار جعفر الصادق<sup>(١١١)</sup>.

ويقول الشيرازي: كما تسمى الشيعة بالجعفرية لأن الإمام جعفر بن محمد الصادق - ع - تمكن أن يوسع نشر الإسلام أصولاً وفروعاً وآداباً وأخلاقاً، وأما سائر الأئمة فلم يتمكنوا من ذلك لما كانوا يلاقونه من الاضطراب، كما في زمان علي والحسن والحسين. - ع -؛ والكبت والإرهاب من أيدي الخلفاء الأمويين والعباسيين.

لكن الإمام الصادق - ع - حيث كان في زمن التصادم بين بني أمية وبني العباس اغتنم الموقف فرصة لنشر حقائق الإسلام بصورة واسعة، والشيعة أخذوا منه أكثر معالم الدين، ولذا نسبوا إليه<sup>(١١٢)</sup>.

## ٣- الرافضة:

الرافضة - أو الروافض - وهو اسم غير محبوب لديهم وقد سموا به، إما:

١ - لأنهم رفضوا مناصرة زيد بن علي - كما تقدم - .

٢ - أو لرفضهم أئمتهم وغدرهم بهم.

(١١٠) انظر مؤتمر النجف ص ١٠١ من الخطوط العريضة .

(١١١) الوصية الإلهية ص ٥ .

(١١٢) قضية الشيعة ص ٣ .

٣- أو لرفضهم الصحابة وإمامة الشيخين.

٤- أو لرفضهم الدين (١١٣).

٥- وهناك تعليل لبعض الشيعة وهو أنهم سموا بهذه التسمية من قبل خصومهم للتشفي

منهم.

ولكن توجد رواية في الكافي عن جعفر بن محمد أن الله هو الذي سماهم رافضة، وهذا ينقص ما زعموه أنهم لا يستحقون هذه التسمية. وكل تلك التعليلات غير الخامس تصدق عليهم.

جاء في الكافي عن محمد بن سليمان عن أبيه أنه قال: قلت لأبي -عبيد الله - جعفر -: جعلت فداك إننا قد نبزنا نبزاً أثقل ظهورنا وماتت له أفعدتنا واستحلت به الولاة دمائنا قال: فقال أبو عبد الله -ع- الرافضة؟ قلت: نعم. قال لا والله ما هم سموكم به ولكن الله سماكم به (١١٤).

#### ٤- الإمامية:

١- إما نسبة إلى الإمام ( الخليفة) لأنهم أكثروا من الاهتمام بالإمامة في تعاليمهم كما هو واقع بجوئهم.

٢- أو لزعمهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي وأولاده.

واختار هذا التعريف الشهرستاني (١١٥)، وهو التعريف الذي ذكره الشيرازي منهم حيث قال:

وتسمى الشيعة بالإمامية لأنهم يعتقدون بإمامة علي -أمير المؤمنين- وأولاده الأحد عشر (١١٦)

٣- أو لانتظارهم إمام آخر الزمان الغائب المنتظر - كما يزعمون-.

#### ٥- الخاصة:

وهذه التسمية هم أطلقوها على أنفسهم وأهل مذهبهم (١١٧).

(١١٣) قد سبق عزو هذه الأقوال .

(١١٤) انظر الشيعة والتشيع نقلاً عن الكافي - كتاب الروضة ص ٣٤ .

(١١٥) الملل والنحل ٦٢/١ .

(١١٦) قضية الشيعة ص ٣ .

(١١٧) انظر : الشيعة والتشيع ص ٢٧١ .

وقد ذكر العلماء كثيراً من الأمور التي شابه الشيعة اليهود فيها<sup>(١١٨)</sup>، ومن ذلك تسميتهم لأنفسهم الخاصة، ومن عداهم العامة كما فعلت اليهود حينما سمو أنفسهم -شعب الله المختار- ، وسموا من عداهم -الجوييم أو الأميمين- وتوجد بينهم وبين اليهود مشابكات في أشياء كثيرة سنذكر بعضها بعد قليل.

### سبب انتشار مذهب الرافضة وأماكن انتشارهم :

لقد انتشر هذا المذهب الرديء انتشاراً واسعاً، وسبب ذلك يعود -فيما يظهر لي- إلى أمور من أهمها:

١- جهل كثير من المسلمين بحقيقة دينهم الإسلامي.

٢- وإلى جهلهم بحقيقة مذهب الرافضة.

٣- وإلى نشاط هؤلاء الروافض في نشره بشتى الوسائل.

وقد اغتر بهم كثير من المسلمين متناسين أو جاهلين أنه لا فائدة للإسلام أو للمسلمين من شخص يدعي الإسلام ثم يلعن الصحابة ويكفرهم ويحكم عليهم بالردة، ويرى بأن القرآن فيه تحريف وزيادة ونقص، ثم ينتظر المهدي الذي يأتي ويسفك دماء أهل السنة بدون رحمة، كما قرروه في كتبهم تنفيساً عن أحقادهم عليهم.

### أهم الأماكن التي انتشر فيها هذا المذهب :

١- إيران: وهو المذهب الرسمي للدولة، وقد أعلن الخميني في دستورهم أن دين الدولة يقوم على المذهب الجعفري.

٢- العراق.

٣- الهند.

٤- باكستان.

وفي هذه البلدان أعداد منهم، وقد انبثوا في بقاع من سوريا ولبنان ودول الخليج، وكثير من البلدان الإسلامية مستغلين غفلة أهل السنة.

<sup>(١١٨)</sup> انظر (أوجه الشبه بين اليهود والرافضة في العقيدة) رسالة ما جستير للرحيلي ، وانظر كتاب (رسالة في الرد على الرافضة) .

ولم أثبت هنا أعدادهم في تلك البلدان لعدم اقتناعي بصحة تلك الأعداد التي تذكر عنهم؛ لما يحصل في الغالب من مغالطات في ذكر عدد نسبة السنة أو الشيعة في أي بلد لأغراض سياسية ودعائية.

## ٧- فرق الاثني عشرية وانقسامها:

انقسمت الشيعة الاثنا عشرية إلى فرق كثيرة<sup>(١١٩)</sup>، من أهمها وأشدّها خطراً وأكثرها نفوذاً وشوكة وتأثيراً في المجتمع الشيعي، ومن أشدها نشاطاً في دعوى ظهور المهدي: الشيخية و الرشتية، بغض النظر عن الخلاف بينهم وبين الاثني عشرية.

### ١- الشيخية:

قال الألويسي: وقد يقال لهم الأحمديّة<sup>(١٢٠)</sup>، وهي طائفة تنتسب إلى رجل يقال له الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي البحراني، المولود سنة ١١٦٦هـ، والمتوفى سنة ١٢٤٣هـ، وهو شيخ ضال ملحد، له آراء كفرية وزندقة ظاهرة، ومهد السبيل بآرائه لظهور ملاحدة جاءوا بعده. وأما بالنسبة للشيعة فقد مجدوه، وذكروا له ألقاباً هائلة من التبجيل والتعظيم، فأطلقوا عليه - كذباً وزوراً- ترجمان الحكماء، لسان العرفاء، غرة الدهر، فيلسوف العصر... إلخ. وقد عاش الإحسائي كاتباً ومدرساً في مدن الشيعة الهامة، مثل كربلاء و طوس وغيرها من البلدان، ونشر أفكاره ومعتقداته الضالة، وكون له أتباعاً كان لهم أثر في قيام حركات أخرى كالبايية والبهائية.

### أهم معتقداته:

- ١- زعم أن الله -تعالى عن قوله- تجلى في علي وفي أولاده الأحد عشر، وأنهم مظاهر الله، وأصحاب الصفات الإلهية، وهي عقيدة حلولية مستمدة من عقائد البراهمة وغلاة الصوفية.
- ٢- أرجع وجود هذا الكون وما فيه إلى وجود الأئمة، وأنهم هم العلة المؤثرة في وجوده إذ لولاهم ما خلق الله شيئاً، وبمثل هذا قال الغلاة عبارتهم المشهورة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم - بما لا يرضاه-: ((لولاك لولاك.. لما خلقت الأفلاك)) وهو غلو فاحش يجب التوبة منه.

(١١٩) عند الأشعري - ٣٠- فرقة بالزيدية . وفي مختصر التحفة الاثنا عشرية أنهم - ٣٩ - فرقة ص ٢١ .

(١٢٠) مختصر التحفة الاثنا عشرية ص ٢٢ .

٣- وزعم في محمد بن الحسن العسكري المهدي المزعوم عند الشيعة مزاعم غريبة، منها أن المهدي المذكور يتجلى ويظهر في كل مكان في صورة رجل يكون هو المؤمن الكامل، أو الباب إلى المهدي، وتحل فيه روح المهدي، ثم ادعى لنفسه وجود هذه الصفة فيه، وضلل كثيراً ممن سار على شاكلته إلى أن هلك.

## ٢- الرشيتية:

وبعد هلاك الشيخ أحمد الإحسائي قام بأمر الشيخية أحد تلامذته وخريجيه، ويسمى كاظم الحسني الرشيتي<sup>(١٢١)</sup> سنة ١٢٤٢ هـ .. ونهج نفس المنهج والطريق التي عليها سلفه في كثير من المسائل، وخالفه في أخرى، إلا أنه زاد الطين بلة حين: إنه حل فيه روح الأبواب كما حل في الإحسائي، ولكن آن الأوان لانقطاع الأبواب ومجيء المهدي نفسه. ومن هنا بدأ يلتمس ظهور المهدي، وهو في الحقيقة إنما بحث عن صيد فوجده، حيث وقع اختياره على شخصية من تلاميذه ليجعل منه المهدي المنتظر بعد أن لمس أن هذه الدعوى يمكن أن تجد لها أتباعاً.

وقد نشر الرشيتي مذهبه الفاسد حتى صارت له أماكن كثيرة وأتباع كثيرون من شيعة إيران وعربستان وأذربيجان والكويت، وانتشرت أفكاره أيضاً في الهند وباكستان، وافتتحت فيهما مراكز كثيرة، وتأتيهم المساعدات من تلك الأماكن التي وصل انتشار الشيخية إليها. وهناك فرقة أخرى هي محل نظر في إلحاقها بالشيعة الاثني عشرية أو الصوفية، وتسمى النوربخشية نسبة إلى رجل يسمى محمد نور بخش القوهستاني المولود سنة ٧٩٥ هـ (١٢٢).

\* \* \* \* \*

(١٢١) مختصر التحفة الإثنا عشرية ص ٢٢ .  
(١٢٢) انظر الشيعة والتشيع ص ٣٠٧ - ٣١٤ .

## الفصل السابع

### إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للرافضة

للمرافضة آراء اعتقادية كثيرة لا يتسع المقام هنا لسطها، إلا أننا سنقتصر في دراستنا لآرائهم على أهم المسائل الاعتقادية عندهم، والتي كان لها أثر هام في تباعدهم عن هدي الكتاب والسنة، وطريقة أهل الحق، وسنقتصر على المسائل الآتية على سبيل الإيجاز:

قصر استحقاق الخلافة في آل البيت. علي وذريته رضي الله عنهم، وأنها كانت بنص من النبي صلى الله عليه وسلم فيهم.

١. دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء.

٢. تدينهم بالتقية.

٣. دعواهم المهديّة.

٤. ودعواهم الرجعة.

٥. موقفهم من القرآن الكريم.

٦. موقفهم من الصحابة.

٧. القول بالبداة على الله تعالى.

وتوجد لهم آراء أخرى - كما ذكرنا - مثل دعوى النبوة في بعض من يتشيعون لهم... ومثل القول بالتناسخ والحلول، وغير ذلك. وهذه الآراء - الظاهر سقوطها وبطلانها - توجد في فرقهم القديمة والحديثة، وقد تخرج بعض فرقهم عن رأي وتلتزم بأخر لا يقل عنه سوءاً وضلالاً إلا من اعتدل منهم، كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق وهم قليل.

#### أولاً: موقفهم من الخلافة والإمامة:

هذه القضية هي الشغل الشاغل لهم، وهي مركز بحوثهم، ومن أهم الأسس لعقيدتهم، وأكثر المسائل الفرعية ترجع إليها، وأهم ما يدور من الخلاف بينهم وبين أهل السنة، أو فيما بينهم إنما يدور حولها.

ويعتبر الشيعة الإمامة وتسلسلها في آل البيت ركناً من أركان الإسلام، ويعتقدون أنها منصب ثبت من عند الله تعالى، يختار الله الإمام كما يختار الأنبياء والمرسلين. و الاثنا عشرية يحصرونها في علي وفي أولاده، ولا يصححونها في غيرهم. وفيما يلي نستعرض أهم آرائهم فيها:

١- الإمام له صلة بالله تعالى من جنس الصلة التي للأنبياء والرسل (١٢٣):

روى الكليني عن أبي عبد الله أنه قال: ((أشرك بين الأوصياء والرسل في الطاعة)) (١٢٤).

وفي هذا يروي الكليني في كتابه الكافي: ((أن الحسن بن العباس المعروف كتب إلى الرضا يقول

له: ((جعلت فداك، أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبى والإمام؟)).

قال: فكتب أو قال: ((الفرق بين الرسول والنبى والإمام، أن الرسول هو الذي ينزل عليه

جبريل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربما رأى منامه نحو رؤيا إبراهيم، والنبى ربما سمع

الكلام، وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى

الشخص)) (١٢٥).

أي أن الإمام- حسب هذا الكلام- يوحى إليه، وهذا خلاف ما يعتقد المسلمون من

انقطاع الوحي بمحمد صلى الله عليه وسلم، ولكن الشيعة- وهم يقررون أن رتبة الإمام لا يصل

إليها ملك مقرب ولا نبى مرسل- كما ادعى الخميني في هذا العصر (١٢٦)- لا يمنعهم مانع من

هذا الادعاء.

٢- الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله:

((روى أبو حمزة قال: قال لي جعفر ع: إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله

فإنما يعبد هكذا ضلالاً.

قلت: جعلت فداك. فما معرفة الله؟

(١٢٣) انظر الاضطراب إلى الحجة ص ١٢٨ . وباب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة ص ١٣٣ . وباب الفرق بين الرسول والنبى والمحدث ص ١٣٤ في الكافي ج ١ للكليني .

(١٢٤) الكافي ج ١ ص ١٤٣ .

(١٢٥) الكافي ، كتاب الحجة ج ١ ص ١٣٤ ، وذكر روايات غيرها .

(١٢٦) ولاية الفقيه ص ٦١ .

قال: تصديق الله عز وجل، وتصديق رسوله -ع- وموالاته علي -ع- والالتزام به وبأئمة الهدى ع، والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم... هكذا يعرف الله عز وجل)) (١٢٧).

ومن الذي أخبرهم أن معرفة الله لا تكفي بدون معرفة الإمام؟! ومتى كانت معرفة أهل البيت من أركان الإيمان بالله تعالى؟!!

٣- حرفوا معاني القرآن الكريم إلى هواهم في الأئمة، ومن ذلك:

أ- تفسيرهم لقول الله عز وجل: {وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} النور: الإمام علي والأئمة من بعده، كما فسره أبو عبد الله -حسب زعم الكليني (١٢٨).

ب- تفسيرهم لقول الله عز وجل: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} \* وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ (١٢٩) الحسنة: معرفة الولاية وحب آل البيت، والسيئة إنكار الولاية وبغض آل البيت، كما فسرها علي بن أبي طالب لعبد الله الجدلي، كما يزعم الكليني (١٣٠).

ج- تفسيرهم لقول الله عز وجل: {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} (١٣١) أي إمام يهديهم ابتداءً بعلي وانتهاءً بالمهدي (١٣٢).

إلى غير ذلك من الآيات التي فسروها بمثل هذه المعاني الباطلة في كتبهم المعتمدة، وأهمها الكافي.

٤- زعموا في الأئمة أنهم هم الذين جمعوا القرآن كله كما أنزل (١٣٣) ولا يعترفون بغير ذلك، وجحدوا جهود الخليفة الراشد أبي بكر رضي الله عنه، وأبي بن كعب، وغيرهما من خيار الصحابة رضي الله عنهم.

٥- الأئمة عندهم اسم الله الأعظم (١٣٤)، وعندهم الجفر وهو وعاء من آدم - فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، وعندهم مصحف فاطمة، وفيه مثل

(١٢٧) الكافي ج ١ ص ١٣٨ .

(١٢٨) الكافي ج ١ ص ١٥٠ .

(١٢٩) سورة النمل : ٨٩ ، ٩٠ .

(١٣٠) الكافي ج ١ ص ١٤٢ .

(١٣١) سورة الرعد : ٧ .

(١٣٢) الكافي ج ١ ص ١٤٨ .

(١٣٣) انظر باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام وأنهم يعلمون كله (( الكافي ج ١ ص ١٧٨ ، وأورد روايات وأحاديث كثيرة نسبها إلى أبي عبدالله وأبي جعفر )) .

قرآنا ثلاث مرات، وليس فيه من قرآنا حرف واحد<sup>(١٣٥)</sup>، وأن الأئمة لا يموتون إلا بمشيئتهم واختيارهم<sup>(١٣٦)</sup>.

٦- وأن الإمام إذا مات لا يغسله إلا الإمام الذي يليه، وهو أكبر أولاده<sup>(١٣٧)</sup>.

ومن خرافاتهم في خلق الإمام من الإمام ما يرويه يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله أنه قال: ((إن الله عز وجل، إذا أراد أن يخلق الإمام من الإمام بعث ملكاً وأخذ شربة من ماء تحت العرش، ثم أوقعها أو دفعها إلى الإمام فشرها، فيمكث في الرحم أربعين يوماً لا يسمع الكلام، ثم يسمع الكلام بعد ذلك.

فإذا وضعت أمه بعث الله إليه ذلك الملك الذي أخذ الشربة فكتب على عضده الأيمن ((ومت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته)). فإذا قام بهذا الأمر رفع الله له في كل بلدة مناراً ينظر به إلى أعمال العباد<sup>(١٣٨)</sup>. وهذا منتهى الكذب فلا يعلم بأعمال العباد إلا الذي خلقهم، وهذا المنار المزعوم لا وجود له إلا في أذهانهم.

وإذا كانت هذه الرواية في الكافي، فإن رواية أخرى هي أيضاً في نفس هذا الكتاب تناقض هذه الرواية حيث تقول: ((روى غير واحد من أصحابنا أنه قال -أي جميل بن دراج-: لا تتكلموا في الإمام فإن الإمام يسمع الكلام وهو في بطن أمه))<sup>(١٣٩)</sup>. إلى آخر ترهاتهم ومبالغاتهم الباطلة في الأئمة.

وجميع العقلاء -وعلى رأسهم أهل السنة- يعرفون أن الخليفة إنسان ككل الناس، يولد كما يولدون، ويعلم أو يجهد كما يعلمون ويجهلون، ليس له مزية إلا أن كفايته وأخلاقه جعلت الناس يختارونه لتنفيذ الأحكام فيما بينهم، فإذا جار وخرج عن حكم الله متعمداً فلا طاعة له. أما عند الشيعة فالخير ما فعله الإمام، والشر ما تركه أي كان ذلك.

---

(١٣٤) الكافي ج ١ ص ١٧٨ باب ما أعطي الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم .  
(١٣٥) انظر كتاب الحجة من الكافي ج ١ ص ١٨٥ باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة ع والأحاديث كما يسمونها التي أوردتها في هذا الغلوا الفاحش .  
(١٣٦) ج ١ ص ٢٠١ .  
(١٣٧) ج ١ ص ٣١٥ .  
(١٣٨) ج ١ ص ٣١٨ .  
(١٣٩) انظر : كتاب الحجة من الكافي ٣١٩/١ .

ومعلوم أن عقيدتهم في الإمام تشمل الفكر وتميته وتعطي للحاكم سلطة لا حد لها ولا حصر، فالعدل ما حكم به مطلقاً، والجور ما لم يحكم به بغض النظر عن صواب الحكم أو خطئه، فهم المشرعون وهم الحاكمون، والله عز وجل حين قال: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا... }<sup>(١٤٠)</sup> لم يشمل تشريعات الأئمة حسب معتقد هؤلاء، حيث جاء هؤلاء الأئمة بتشريعات - حسب ما يروونه عنهم - لم يأت بها الشرع من قبل. والشيعنة حين قصروا استحقاق الخلافة في علي رضي الله عنه وفي الأئمة من بعده تلمسوا لهم شبهاً كثيرة ودعاوى مردودة، على أن ما ذهبوا إليه هو الصواب كما يرون<sup>(١٤١)</sup>. نذكر منها ما يلي:

- ١- قالوا: إن أمر الإمامة لا يحتمل عدم البيان، والرسول صلى الله عليه وسلم بعث لرفع الخلاف، فلا يجوز أن يترك بيان الإمام الذي يليه إلى اختلافات الناس واجتهاداتهم<sup>(١٤٢)</sup>.
- ٢- يستدلون ببعض الروايات الواردة في فضائل علي رضي الله عنه ومن ذلك:
  - أ - ((من كنت مولاه فعلي مولاه))<sup>(١٤٣)</sup>.
  - ب - ((أقضاكم علي))<sup>(١٤٤)</sup>.
  - ج - ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))<sup>(١٤٥)</sup> زاد الرافضة في الحديث ((إنه لا ينبغي أذهب إلا وأنت خليفتي))<sup>(١٤٦)</sup>.
- ٣- استدلو ببعض الاستنباطات من وقائع يزعمون أنها كانت من النبي صلى الله عليه وسلم تشير إلى خلافة علي منها:
  - أ- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر على علي أحداً من الصحابة، فحيثما انفرد عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أو سفر كان هو الأمير<sup>(١٤٧)</sup>.

(١٤٠) سورة المائدة : ٣ .

(١٤١) أدلتهم على ذلك كثيرة جداً ، حيث لفقوا عشرات الأحاديث في إثبات الوصية والخلافة في علي وأولاده كما فعل العاملي في كتابه المراجعات انظر من ص ٢٣٩ إلى ص ٢٤٦ ، وانظر باباً خاصاً في الوصية هو المراجعة رقم ٨٦ .

(١٤٢) انظر فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب ص ١٦٣ .

(١٤٣) الكافي ج ١ ص ٢٣٣ .

(١٤٤) الملل والنحل ج ١ ص ١٦٣ .

(١٤٥) صحيح البخاري ج ٧ ص ٧١ .

(١٤٦) انظر : المراجعات ص ١٦٢ وانظر أضواء علي خطوط محب الدين العريضة لعبد الواحد الأنصاري ص ٩٨ .

(١٤٧) الملل والنحل ج ١ ص ١٦٣ .

ب- أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل علياً بسورة براءة ليقراها على الناس في الحج مع أن أمير الحج هو أبو بكر رضي الله عنه حينئذ، فأرجعه كما يزعم عبد الواحد الأنصاري (١٤٧).

والواقع أن فضائل الإمام علي مما يتباهى به أهل السنة، ويحرصون على ذكرها، إلا أنه ليس فيما ذكره الرافضة من الأخبار ما يدل صراحة على ما زعموه .

فأما قولهم: إن أمر الإمامة لا يحتمل عدم البيان، وأن الرسول بيّنه -فصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّنه بمقدمات كثيرة، تدل على استخلافه لأبي بكر، وإن كان هناك خلاف بين أهل السنة هل بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم خلافة أبي بكر بالنص الصريح أو الإشارة، إلا أن أسعدهم بالدليل من قال إنها ثبتت بالنص والإشارة معاً.

ومن ذلك ما جاء عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه.

قالت: أ رأيت إن جئت فلم أجذك؟ كأنها تقول الموت.

قال صلى الله عليه وسلم: ((إن لم تجديني فأت أبا بكر)) (١٤٨).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر)) (١٤٩).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: ((ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى: ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)) (١٥٠).

وأحاديث أخرى كثيرة عرف منها الصحابة أحقية الصديق بالخلافة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس للشيعة في دفعها إلا الكذب والبهتان، وليس معهم أي دليل عن علي رضي الله عنه ثابت يدعي فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم نص على استخلافه، كما شهد

(١٤٧) أضواء علي خطوط محب الدين ص ٩٥ .

(١٤٨) أخرجه البخاري ج ٧ ص ١٧ ، ومسلم ج ٤ ص ٢٤٩ .

(١٤٩) أخرجه الترمذي ج ٥ ص ٦٠٩ .

(١٥٠) أخرجه مسلم ج ٥ ص ٢٤٨ .

بذلك المنصفون من الشيعة أنفسهم في كتبهم<sup>(١٥١)</sup> . ولو قال علي ذلك لما كذبه أحد من الناس، وكان علي يعلم أن الخلافة ليست بالوراثة، وإنما تكون إذا اجتمع رأي أهل الحل والعقد من المسمين على اختيار من يتولى الخلافة، ثم تعقب ذلك المبايعة العامة في المسجد.

وقد رد علي من قال له: استخلف علينا - كما يرويه ابن كثير - فقال: لا، ولكن أترككم كما ترككم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن يرد الله بكم خيراً بجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١٥٢)</sup>.

والشاهد في هذا النص أن علياً لم يذكر نصاً من الرسول صلى الله عليه وسلم على ولايته، وفيه شاهد أيضاً على اعترافه بفضل أبي بكر رضي الله عنه.

ويزيد هذه الحقيقة وضوحاً ما ورد أن ابن العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم طلب إلى علي أن يتحدث ويطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ليوصي لبني هاشم بالخلافة، أو يوصي بهم الناس فأبى علي ذلك وقال: ((إنا والله لئن سألتها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسأها رسول الله صلى الله عليه وسلم))<sup>(١٥٣)</sup>.

وهذا يدل على بعد نظره وقوة فهمه رضي الله عنه، فلو كان يعلم نصاً في ذلك لما تردد في إعلانه، وقد دعت الضرورة إليه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد ثبت عنه، بل أعلن على منبر الكوفة أمام جمهور أتباعه أن الخلفاء الثلاثة من قبله هم أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم: ((أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ولو شئت أن أسمى الثالث لسميته)).

وعنه أنه قال نازل من المنبر (( ثم عثمان ثم عثمان ))<sup>(١٥٤)</sup>

وحينما تمت مبايعة الحسن بعد استشهاد الإمام علي لم يذكر فيها تصريحاً ولا تلميحاً أن هناك نص من أبيه على مبايعته، وإنما كان أول من تقدم لمبايعته قيس بن سعد بن عبادة قائلاً له: ((ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه)) فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده<sup>(١٥٥)</sup>.

(١٥١) انظر الشيعة والتصحيح للموسوي ص ١٩-٢٠ .

(١٥٢) انظر البداية والنهاية ج ٣٢٥ .

(١٥٣) البخاري ٨ / ٣٢٥ .

(١٥٤) انظر البداية والنهاية ج ٨ ، ص ١٣ ، ١٤ .

(١٥٥) انظر البداية والنهاية ج ٨ ، ص ١٤ .

ولو أن الحسن يعرف نصا على استخلافه لما جاز له ترك الخلافة ولا السكوت عن إخبار الصحابة به وإعلامهم بحقيقة الأمر ليخرج أقل ما يقال من إثم الكتمان ، إذا أغفلنا النظر عن حقيقة هامة وهي أنه كان من الذين لا يخافون في الله لومة لائم .

وإذا كان الحسن قد تنازل عن الخلافة لمصلحة المسلمين وحقن دمائهم ، فإنه من الكذب أن يقال أنه أوصي للحسين من بعده ، فكيف يوصي بها للحسين وقد تنازل عنها ، وصارت حقاً لغيره ، وإذا كان هو زهد عنها وكرهها ، فكيف يرضاها لأحد من أهل بيته ؟

وإذا كان تنازله عنها لحقن الدماء أفيوصي بسفكها بعد موته؟

إضافة إلى أنه لا يوجد لأحد من أهل البيت نص ثابت يدل على دعوى ثبوت الخلافة فيهم، لا عن الحسن، ولا عن الحسين، ولا عن غيرهما من أهل البيت لا فيهم، ولا في غيرهم، وقد وجد من المسلمين من كانت له ميول قوية في إسناد الخلافة إلى من يصلح من آل البيت خصوصاً حينما أسندت إلى بعض بني أمية الذين ما كانوا في المنزلة المرضية بمقارنة بعضهم بآل البيت، وتجلى ذلك كثيراً حينما تولى الخلافة يزيد مع وجود الحسين وغيره من كبار آل البيت.

ثم ما كان لبعض الولاة من الأمويين من معاملة سيئة لبعض أهل البيت. إضافة إلى تلك الطريقة التي كان يتم بها نقل الخلافة دون اختيار ولا مشورة، ومع ذلك كله فإنه لم يزعم أحد من بني هاشم أن لديه أي نص من الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي يعطي له ولبنيه الحق في تولي هذا الأمر من بعده أو توارثه في أعقابهم ولا أعقاب أعقابهم، كما قرره علماء الشيعة.

ومما لا شك فيه أن الأحداث السيئة التي تلاحقت بآل البيت خصوصاً استشهاد الحسين مما أثار في النفوس تعاطفاً قوياً نحو آل البيت، وقد ظهر هذا التعاطف في كثير من الأمور أنه كان لمصلحة بعض المغامرين الذين يتطلعون إلى تحقيق أهداف لهم، كما فعل المختار وغيره ممن تظاهر بالتشيع وحب أهل البيت ليصل إلى غرضه من أقرب الطرق.

وأما استدلالهم بقوله صلى الله عليه وسلم: ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) فجوابه أن هذه الولاية لا تستلزم الولاية العامة بمعنى الإمارة. فقد وردت نصوص كثيرة فيها إثبات مولاة المؤمنين بعضهم لبعض في كتاب الله تعالى وسنة نبيه، وأن المؤمنين أولياء لله، وأن الله وملائكته والمؤمنين موالى رسوله.

كما أن الله ورسوله والذين آمنوا أولياء المؤمنين، وليس معناه أن من كان ولياً لآخر كان أميراً عليه دون غيره، وأنه يتصرف فيه دون سائر الناس، قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (١٥٦) وقال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} (١٥٧) {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} (١٥٨).

وولاية علي رضي الله عنه واجبة على كل أحد، من جنس موالاته المؤمنين بعضهم بعضاً، فكل من كان الرسول صلى الله عليه وسلم مولاة فعلي مولاة ولا شك، فالذي لا يتولى الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون ولياً لعلي رضي الله عنه، ولم يكن المراد من الحديث من كنت مولاة أي أميراً عليه فعلي مولاة أي أميراً عليه؛ لأن معناه لا يوحى بهذا.

وأما استدلالهم بحديث: ((أفضاكم علي)) فالجواب أنه على فرض صحته ليس فيه نص على الخلافة لعلي، فإن معرفة الإنسان بشيء لا يلزم أن يكون هو المتولي له، فلا يلزم من معرفة الشخص للقضاء أن يكون هو الحاكم أو الخليفة للمسلمين.

وصحيح أن معرفة القضاء أمر مهم في الحكم إلا أنه ليس من شرط الإمامة أن يكون أعلم الناس بالقضاء، وقد جاء في القرآن الكريم أن داود عليه السلام كان هو الخليفة، ومع ذلك خفي عليه إصابة الحكم في بعض القضايا، وفهمها سليمان كما أخبر الله بذلك في قصة التحاكم في الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم: {فَفهمناها سليمان} (١٥٩) ولم يوجب هذا الموقف أن يكون سليمان هو الخليفة في عهد أبيه.

ولو كان الحديث يؤدي إلى ما فهم الشيعة لوجب على الناس تغيير الحكام باستمرار كلما وجد شخص أعرف من غيره.

وأما استدلالهم بحديث: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)).

فالجواب أن هذا الحديث ليس فيه نص على إمامة علي رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن هارون لم يكن هو خليفة موسى فقد مات قبله.

(١٥٦) سورة التوبة ٧١ .

(١٥٧) سورة محمد: ١١

(١٥٨) سورة التحريم: ٤

(١٥٩) سورة الأنبياء: ٧٩ .

وسبب الحديث يوضح مراد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أراد أن يتوجه إلى تبوك ترك علياً في المدينة للنظر في أمور المسلمين، فقال بعض المنافقين في المدينة: إنما خلف علياً لأنه يستثقله ولا يحبه.

فلما علم علي بذلك أخذ سيفه ولحق بالرسول وهو نازل بالجرف<sup>(١٦٠)</sup>، وأخبره بقول المنافقين. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى))، فبين له أن استخلافه على المدينة لم يكن لاستثقاله كما زعم أولئك، وإنما كان استخلافه كاستخلاف موسى لهارون حينما ذهب موسى لميقات ربه، ولم يستخلف موسى هارون بغضاً له أو استثقلاً، كما أن الحنان الذي كان بين موسى وهارون يوجد مثله بين الرسول صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه، وهذا بعيد عن الخلافة والولاية، وإنما هو من الرسول صلى الله عليه وسلم كهارون من موسى في الوصية له ووجوب احترامه ومعرفة فضله. وأما استدلالهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يؤمر على أبي بكر وعمر غيرهما من الصحابة، ولم يؤمر على علي أحداً. فجوابه:

### فجوابه :

- ١- أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ولى أبا بكر أموراً كثيرة لم يشركه فيها أحد، مثل ولاية الحج والصلاة بالناس، وغير ذلك.
- ٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ولى من هو بإجماع أهل السنة والشيعة من كان عنده دون أبي بكر مثل عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وخالد بن الوليد، وهذا يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك ولاية أبي بكر في بعض الأمور لكونه ناقصاً عن هؤلاء.
- وقد ولى الرسول صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم على المدينة كما ولى غيره في بعض أمره فلم ينفرد علي رضي الله عنه بالولاية.
- ربما ترك الرسول صلى الله عليه وسلم ولايته في بعض الأمور لأن بقاءه عنده أنفع له منه في تلك الولاية، وحاجته إليه في المقام عنده وغناه عن المسلمين أعظم من حاجته إليه في الولاية.

<sup>(١٦٠)</sup> الجرف مكان معروف كان خارج المدينة علي طريق تبوك ، والآن قربت المساكن في المدينة أن تتصل به ، ولا يزال بهذه التسمية إلى الآن .

وأما إرساله -صلى الله عليه وسلم- لعلي بسورة براءة فلم يكن ذلك لرد أبي بكر عن ولاية الحج، ولكن أردفه لينبذ إلى المشركين عهدهم، وقد كانت عادتهم ألا يعقد العقود ولا يحلها إلا المطاع المسؤول العام، أو رجل من أهل بيته فقط، وعلي له هذه القرابة.

وأيضاً كان علي يصلي خلف أبي بكر كسائر أهل الحج. ومن قال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل علياً لرد أبي بكر عن إمارة الحج فقد كذب باتفاق أهل العلم، فإن المهمة التي كلف بها علي إنما هي تنفيذ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في إخبار المشركين بنبذ العهد الذي بينهم وبين المسلمين كما أمر الله تعالى (١٦١).

### ثانياً: دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء:

هذه إحدى خرافات الشيعة في أئمتهم فقد ادعوا عصمتهم من كل الذنوب والخطايا، الصغائر والكبائر، لا خطأ ولا نسياناً منذ طفولتهم إلى نهاية حياتهم وجوباً لا شك فيه.

#### سبب ذلك:

وعند البحث عن سبب هذا الاعتقاد الذي جعلهم ينزلون أئمتهم هذه المنزلة المستحيلة، نجد أن الذي حملهم على ذلك هو أن العصمة عندهم شرط من شروط الإمامة (١٦٢)، ثم رفعوا أئمتهم وغلوا فيهم غلواً فاحشاً إلى أن اعتبروهم أفضل من الأنبياء، لأنهم نواب أفضل الأنبياء (١٦٣).

ثم زادوا فادعوا لهم أنهم يعلمون الغيب (١٦٤)، وأن جزءاً إلهياً حل فيهم وإذا كان الأمر كذلك فالعصمة أمر طبيعي أن توجد فيهم.

إضافة إلى ذلك قالوا: إن تنصيب الإمام إنما شرع من أجل جواز الخطأ على غير الأئمة، فلو جاز الخطأ على الإمام وهو الهادي إلى الحق لاحتجنا إلى هاد آخر، وهذا الهادي يمكن أن يلحقه الخطأ فيحتاج إلى هاد آخر، وهكذا فيلزم التسلسل قطعاً للتسلسل ينبغي أن يكون كل

(١٦١) انظر كتاب منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. ص ٨٧، ومن ص ٩٢ إلى ص ٩٤، وص ٢٢١، ومن ص ٨٤ إلى ص ٨٧.

(١٦٢) كما نص على ذلك الطوسي في كتاب الغيبة ص ٤/٣.

(١٦٣) مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٢٨٤.

(١٦٤) انظر كتاب الحجة من الكافي ونصه: ((باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفي عليهم شيء صلوات الله عليهم ج ١ ص ٢٠٣ لترى الغلو في الأحاديث التي أوردها وسماها أحاديث أيضاً، وانظر أيضاً باب نادر فيه ذكر الغيب ص ٢٠٠ ج ١ لترى النصوص على أن الأئمة يعلمون الغيب).

إمام من أولئك معصوماً في وقته - حسب زعمهم - حتى يؤمن على حفظ الشريعة، وإلا احتجنا إلى حافظ آخر، إذ كيف يؤمن على الشريعة شخص معرض للخطأ<sup>(١٦٥)</sup>.

كذلك من الأسباب أيضاً في استنادهم في القول بعصمتهم إلى ما يزعمونه من النصوص عن أئمتهم، فقد نقل الكليني - فيما يكذب الشيعة على آل البيت - أن جعفر الصادق قال: ((نحن خزان علم الله، ونحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون، أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا.. نحن حجة الله البالغة على من دون السماء وفوق الأرض)).

وفي رواية أنه قال لرجل اسمه سدير حين سأله بقوله: جعلت فداك، ما أنتم؟ قال: نحن خزان علم الله، ونحن تراجمة وحي الله، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض<sup>(١٦٦)</sup>.

وادعاء الشيعة لأئمتهم علم الجفر هو غلو آخر منهم، وهو عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر والمحتوي على كل ما كان وما يكون كلياً وجزئياً، وأنه علم يتوارثه أهل البيت ومن ينتمي إليهم، ويأخذ منهم المشائخ الكاملون، وكانوا يكتمونونه كل الكتمان.

ويذكر الجرجاني أن الجفر والجامعة كتابان ذكر فيهما على طريقة الحروف والحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم كما يدعي هؤلاء الغلاة.

وقيل: إن الجفر كتاب وضعه جعفر الصادق، وهو مكتوب على جلد الجفر لأخبار أهل البيت.

وقال ابن خلدون: إن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، وسماه الجفر باسم الجلد الذي كتب فيه، لأن الجفر في اللغة هو الصغير، وهذا لا شك من الكذب الذي اختلقه غلاة الشيعة في أئمتهم، فإنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، ولم يكتب الله لأحد علم المغيبات.

ولقد جاء الكليني بالغرائب عن أبي عبد الله تحت باب سماه هكذا: ((باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام))<sup>(١٦٧)</sup> حيث عرّف بالصحيفة والجفر والجامعة

<sup>(١٦٥)</sup> انظر كتاب الغيبة ص ١٥ .

<sup>(١٦٦)</sup> الكافي، كتاب الحجة ج ١ ص ١٤٩ .

<sup>(١٦٧)</sup> المصدر السابق ص ١٨٤

ومصحف فاطمة في حديثه الآتي: ((عدة من أصحابنا ... عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله فقلت له: جعلت فداك، إني أسألك عن مسألة، ههنا أحد حتى يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله ((ع)) ستراً بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه، ثم قال: يا أبا محمد، سل عما بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك، إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم علياً باباً يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال: يا أبا محمد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ((ع)) ألف باب، يفتح من كل باب ألف باب.

قال: قلت: هذا والله العلم.

قال: فنكت ساعة في الأرض، ثم قال: إنه لعلم، وما هو بذلك.

قال: ثم قال: يا أبا محمد، وإن عندنا الجامعة، وما يدرهم ما الجامعة؟

قال: قلت: جعلت فداك، وما الجامعة؟

قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله، وإملائه من فلق فمه، وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش. وضرب بيده إلى وقال: أتأذن لي يا أبا محمد؟ قال: جعلت فداك، إنما أنا لك فاصنع ما شئت.

قال: فغمزني بيده وقال: حتى أرش هذا، كأنه مغضب.

قال: قلت: وهذا والله العلم.

قال: إنه لعلم وليس بذاك. ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن عندنا الجفر، وما يدرهم ما الجفر؟

قال: قلت: وما الجفر؟

قال: وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل.

قال: قلت: إن هذا هو العلم.

قال: إنه لعلم، وليس بذاك. ثم سكت ساعة. ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة (ع)، وما

يدرهم ما مصحف فاطمة؟

قال: قلت: وما مصحف فاطمة (ع)

قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد.

قال: قلت: هذا والله العلم.

قال: إنه لعلم، وما هو بذاك. ثم سكت ساعة، ثم قال: إن عندنا علم ما كان، وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.

قال: قلت: جعلت فداك. هذا والله هو العلم.

قال: إنه لعلم، وليس بذاك.

قال: قلت: جعل فداك، فأبي شيء العلم؟

قال: ما يحدث بالليل والنهار، الأمر بعد الأمر، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة<sup>(١٦٨)</sup>.

ثم أورد روايات أخرى كثيرة، ولا نملك إزاء هذه الخرافات إلا أن نقول: **{سبحانك هذا بهتان عظيم}** <sup>(١٦٩)</sup>.

ولا تستغرب أيها القارئ الكريم حين يتحدثون ويكذبون على أبي عبد الله، فقد كذبوا حتى على حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم عفير، حيث أورد الكليني في ذلك رواية طويلة قال في آخرها:

إن حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم عفير كلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بأبي أنت وأمي، إن أبي حدثني عن أبيه، عن جده، عن أبيه أنه كان مع نوح في السفينة، فقام إليه نوح فمسح على كفله، ثم قال يخرج من صلب هذا الحمار، حمار يركبه سيد النبيين وخاتمهم... فالحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار. <sup>(١٧٠)</sup>

وكانت نهاية هذا الحمار فيما يذكر الكليني أنه حين مات الرسول صلى الله عليه وسلم قطع الحمار خطامه، ثم فر يركض حتى أتى بئر بني خطمة بقباء فرمى بنفسه فيها، فكانت قبره.

إنهم لا يتورعون عن الحديث حتى على الحيوانات فما بالك بأئمتهم؟

ومن كلام الخميني - وهو أحد أئمتهم في هذا العصر - قوله عن هذه الخرافة: ((نحن نفخر بأن أئمتنا هم الأئمة المعصومون، بدءاً من علي بن أبي طالب وختماً بمنقذ البشرية الإمام المهدي صاحب الزمان، عليه وعلى آبائه التحية والسلام، وهو بمشيئة الله القدير حي يراقب الأمور)) <sup>(١٧١)</sup>.

<sup>(١٦٨)</sup> الكافي ١ / ١٨٥ .

<sup>(١٦٩)</sup> سورة النور : ١٦ .

<sup>(١٧٠)</sup> الكافي ص ١٨٤ .

<sup>(١٧١)</sup> الوصية الإلهية للخميني ص ٥

وقد أعان الله على الكاذب بالنسيان - كما يقال - إذ توجد لهم روايات في كتبهم يخبرون فيها عن بعض أهل البيت من الأئمة، وفيها اتهامات لهم ودم في مقابل ذلك الغلو فيهم فيصفونهم أحياناً بقلّة العلم، وأحياناً أخرى بالغفلة والتناقص في أفكارهم أيضاً؛ بل ويصفونهم بصفات شنيعة مما يكذب هذه العلامات والشروط التي تصوروا وقوعها في كل إمام من أئمتهم. قال الطوسي في ذم جعفر بن علي بعد سباب كثير له قال فيه: ((وما روي فيه وله من الأقوال والأفعال الشنيعة أكثر من أن تحصى نزه كتابنا عن ذلك)) (١٧٢).

ثم انظر تفضيل الخميني لإيران في عصره على الحجاز في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى الكوفة والعراق في عهد علي رضي الله عنه، حيث قال: ((إنني أقولها بجرأة: إن شعب إيران بجماهيره المليونية في العصر الحاضر هو أفضل من شعب الحجاز، في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشعب الكوفة والعراق على عهد أمير المؤمنين والحسين بن علي)) (١٧٣).

### إبطال ما ادعته الشيعة من عصمة أئمتهم:

أما اعتقادهم خوف وقوع الخطأ من الإمام لو لم يكن معصوماً، فإنه من المعلوم عند الناس أن المقصود من تنصيب الإمام هو تنفيذ الأحكام ودرء المفساد، وحفظ الأمن والنظر في مصالح العامة وغير ذلك، وليس من شرط بقائه في الحكم أن يكون معصوماً. ولم يطالبه الشرع بإصابة عين الحق حتماً في كل قضية، وإنما المطلوب منه أن يتحرى العدل بقدر الإمكان، ولا مانع بعد ذلك أن يخطئ ويصيب كبقية الناس.

وادعواؤهم أنه لا يجوز عليه الخطأ يكذبه العقل والواقع.

وكذلك زعمهم أنه لا بد من إمام معصوم للناس، فإنه لا يكفي إمام واحد فإن البلدان متباعدة، ووجود إمام واحد في كل عصر لا يكفي للجميع، فوجب إذاً أن يكون في كل بلد إمام معصوم يباشر الحكم بنفسه وإلا هلك الناس، ولا يجوز له أن ينيب أحداً مكانه لجواز الخطأ عليه، وفي هذا من العنت ما لا خفاء فيه.

(١٧٢) كتاب الغيبة ص ١٣٧ .

(١٧٣) الوصية الإلهية ص ١٦ .

ولو طلب من هؤلاء الشيعة الذين يدعون عصمة أئمتهم أن يأتوا بدليل واحد من القرآن أو السنة النبوية أو عن الصحابة، أو عن إجماع الأمة لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، إذ القرآن الكريم لم يصرح بعصمة أحد، بل أثبت أن المعصية من شأن الإنسان، فإنه قد صدرت من آدم الذي هو أبو البشر، وأخبر عن موسى بأنه قتل، وعن يونس أنه ذهب مغاضباً. وفيه عتاب من الله تعالى لبعض أنبيائه ورسله بسبب تصرفات صدرت منهم.

وورد في السنة النبوية ما يشير إلى ذلك في وقائع صدرت من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ} (١٧٤)، وما ورد في عتابه عن أخذهم الفداء من أسارى معركة بدر، وغير ذلك مما هو معروف في الكتاب والسنة وأقوال علماء الإسلام.

ومن العجيب أنه قد صدح كل الأئمة بعدم عصمتهم في كثير من المناسبات، ثم يروي الشيعة بعض ذلك في كتبهم، ثم لا يأخذون بها.

روى الكليني في باب التسليم على النساء، عن علي رضي الله عنه أنه كان يكره التسليم على الشابة منهن ويقول: ((أتخوف أن يعجبني صوتها، فيدخل علي أكثر مما أطلب من الأجر)) (١٧٥). وكان يقول لأصحابه: ((لا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل فيني لست آمن أن أخطئ)) (١٧٦).

وروا كذلك أن الحسين بن علي بن أبي طالب كان يبدي الكراهية من صلح أخيه الحسن مع معاوية، ويقول: ((لو جز أنفي كان أحب إلي مما فعله أخي)) (١٧٧).

ومن المعلوم أنه إذا خطأ أحد المعصومين الآخر ثبت خطأ أحدهما بالضرورة، فأين العصمة بعد ذلك؟

ثم أن دعوى عصمة أحد من الناس -إلا ما ورد فيه الخلاف في عصمة الأنبياء- دعوى تعارض الطبيعة البشرية المركبة من الشهوات، كما أنه لا يمدح الإنسان لأنه معصوم، بل يمدح لأنه يجاهد نفسه على فعل الخير كما أخبر الله بذلك في أكثر من موضع من كتابه الكريم.

(١٧٤) سورة التوبة: ٤٣ .

(١٧٥) الكافي ج ٢ ص ٤٧٣ ولو كان علي يدعي العصمة لنفسه كما يزعم جهال الشيعة لما خاف الإثم

(١٧٦) انظر مختصر التحفة الإثني عشرية ص ١٢١

(١٧٧) المصدر السابق ، نفثس الجزء والصفحة .

ولهذا رتب الله الجزاء على حسب قيام الشخص بما كلفه الله به، وأعطاه القدرة والإرادة ليكون بعد ذلك طائعاً أو عاصياً، فاعلاً أو تاركاً، ولو عصم الله من المعاصي أحداً -غير الأنبياء- لما كان للتكليف معنى، بل حتى الأنبياء كلفهم الله تعالى ولم يرفع الله عن أحد التكليف وامتنال أمره ونهيته، ما دام الشخص في كامل عقله وصحته، ولو لم يكن الإنسان محلاً للطاعة والعصيان لما كان للتكليف معنى.

### ثالثاً: تدينهم بالتقية:

التقية في اللغة يراد بها الحذر. يقال توقّيت الشيء أي حذرته. والتقية في مفهوم الشيعة معناها أن يظهر الشخص خلاف ما يبطن. أي أن معناها النفاق والكذب والمراوغة والبراعة في خداع الناس، لا التقية التي أباحها الله للمضطّر المكره (١٧٨).

وقد ذمهم في هذا الموقف بعض علمائهم الذين يجبون الإنصاف، فهذا الدكتور موسى الموسوي يقول:

((لقد أراد بعض علمائنا -رحمهم الله- أن يدافعوا عن التقية، ولكن التقية التي يتحدث عنها علماء الشيعة وأملتّها عليها بعض زعاماتها هي ليست بهذا المعنى إطلاقاً، إنها تعني أن تقول شيئاً وتضمّر شيئاً آخر، أو تقوم بعمل عبادي أمام سائر الفرق وأنت لا تعتقد به، ثم تؤديه بالصورة التي تعتقد به في بيتك)) (١٧٩).

ونجد مصداق هذا في أصح الكتب عندهم حيث يروي الكليني عن أبي عبد الله أنه قال: ((خالطوهم بالبرانية، وخالطوهم بالجوانية)) (١٨٠).

وللتقية عند الشيعة مكانة مرموقة، ومنزلة عظيمة فقد اعتبروها -على حسب المفهوم السابق عندهم- أصلاً من أصول دينهم لا يسع أحداً الخروج عنها، وقد بحثوها في كتبهم كثيراً، وبينوا أحكامها وما ينال الشخص من الثواب الذي لا يعد ولا يحصى ولا يصدق لمن عمل بها، وعامل

(١٧٨) انظر الخطوط العريضة ص ٧، الشيعة في الميزان ص ٨٦، الشيعة وتحريف القرآن ص ٣٦.

(١٧٩) انظر الشيعة والتصحيح ص ٥٢.

(١٨٠) الكافي ج ١ ص ١٧٥

الناس بموجبها فخدعهم وموه عليهم، وكم تأثر الناس وانخدعوا بحيل هؤلاء الذين جعلوا التقية مطية لهم.

ولبيان منزلة التقية عند الشيعة نورد الأمثلة التالية:

١- التقية أساس الدين، من لا يقول بها فلا دين له.

روى الكليني عن محمد بن خلاد قال: سألت أبا الحسن (ع) عن القيام للولاء فقال: قال أبو جعفر (ع): ((التقية من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له))<sup>(١٨١)</sup>.

وفيما يرويه عن أبي عبد الله أنه قال لأبي عمر الأعجمي: ((يا أبا عمر، إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له))<sup>(١٨٢)</sup>

بل وصل اعتناؤهم بالتقية إلى حد تأويل الآيات عليها، مثل قوله تعالى: **{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ}**<sup>(١٨٣)</sup> قال أبو عبد الله - كما زعم الكليني -: ((الحسنة: التقية: والسيئة: الإذاعة))<sup>(١٨٤)</sup>.

٢- اعتقدوا أن التقية عز للدين، ونشره ذل له. كما روى الكليني عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله: ((يا سليمان، إنكم على دين من كتبه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله))<sup>(١٨٥)</sup>

ولا شك أن هذا قلب للحقائق، فإن الله عز وجل طلب من الناس جميعاً نشر العلم وبيانه. وقد قال الله عز وجل: **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ}**<sup>(١٨٦)</sup>، وقال الله: **{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}**<sup>(١٨٧)</sup>.

وقد امتثل الرسول صلى الله عليه وسلم أمر ربه فلم يكتب من العلم شيئاً، بل وطلب إلى أمته أن ينشروا العلم بكل وسيلة، فقال صلى الله عليه وسلم: ((بلغوا عني ولو آية))<sup>(١٨٨)</sup>، وقال: ((نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع))<sup>(١٨٩)</sup>.

(١٨١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٤ .

(١٨٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٢ .

(١٨٣) سورة فصلت : ٣٤ .

(١٨٤) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٣ .

(١٨٥) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٦ .

(١٨٦) سورة المائدة : ٦٧

(١٨٧) سورة الحجر: ٩٤

(١٨٨) صحيح البخاري ج ٦ ص ٤٩٦ .

(١٨٩) لهذا الحديث طرق كثيرة إستوعبها الشيخ عبدالمحسن العباد في كتابه (( دراسة حديث (( نضر الله امرأ سمع مقالتي )) .

وقد أثنى الله في كتابه الكريم على الصادقين الشجعان الذين لا يخافون في الله لومة لائم، فقال عز وجل: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ} (١٩٠)

وقال تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} (١٩١)

كما ذم الله تعالى المنافقين المخادعين للناس فقال تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} (١٩٢)

وقال تعالى: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ} (١٩٣).

وليس من هدي الإسلام استحلال الكذب على طريقة الشيعة، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)) (١٩٤).

٣- جعل الشيعة ترك التقية مثل ترك الصلاة تماماً. قال القمي: ((التقية واجبة، من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة)) (١٩٥). وهذا من أغرب الأقوال، فإن التقية رخصة جعلها الله في حالة الضرورة القصوى، بشرط أن لا يشرح بالكفر صدرًا فكيف يعاقب من تركها، بل قال البغوي: ((والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية، قال تعالى: {إِلَّا مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} (١٩٦)، ثم هذا رخصة! فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم (١٩٧).

(١٩٠) سورة الأحزاب: ٣٩

(١٩١) سورة الأحزاب: ٢٣ - ٢٤

(١٩٢) سورة المنافقون: ١

(١٩٣) سورة البقرة: ١٤

(١٩٤) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠١٣ .

(١٩٥) نقلا عن الشيعة والسنة ص ١٥٧ ، عن الاعتقادات ، فصل التقية للقمي .

(١٩٦) سورة النحل: ١٠٦

(١٩٧) تفسير البغوي ج ١ ص ٢٩٢ .

٤ - حدد الشيعة لجواز ترك التقية بخروج القائم من آل محمد (المهدي المنتظر).

قال القمي: ((التقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج على دين الله تعالى، وعن دين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة))<sup>(١٩٨)</sup>.

والحقيقة أن من تركها لا يخرج إلا عن دين الإمامية فقط وعن خرافاتها.

٥ - حرفوا معاني الآيات إلى ما يوافق هواهم، وكذبوا على آل البيت.

قال القمي: ((وقد سئل الصادق عليه والسلام عن قول الله عز وجل: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }<sup>(١٩٩)</sup> قال: أعلمكم بالتقية))<sup>(٢٠٠)</sup>، أي على هذا التفسير أكرمكم هو أكذبكم على الناس.

٦ - زعم الشيعة أن المعيار الصحيح لمعرفة الشيعي من غيره هو الاعتقاد بالتقية، وينسبون إلى الأئمة المعصومين - في زعمهم - أنهم هم الذين قالوا هذا الكلام.

فقد رووا عن الحسين بن علي بن أبي طالب الإمام الثالث أنه قال: ((لولا التقية ما عرف ولينا من عدونا))<sup>(٢٠١)</sup>.

ومعنى هذا أن معرفة خداع الناس، والمبالغة فيه هو الذي يميز الشيعة عن غيرهم.

٧ - ساوى الشيعة بين التقية وبين الذنوب التي لا يغفرها الله كالشرك.

فرووا عن علي بن الحسين الإمام الرابع أنه قال: ((يغفر الله للمؤمن كل ذنب ويطهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين، ترك التقية، وترك حقوق الإخوان))<sup>(٢٠٢)</sup>.

ولكن الله تعالى قد قال: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} (٢٠٣)

وهذه المواقف للشيعة تجعل من الصعوبة بمكان التفاهم المخلص بينهم وبين المخالفين لهم - خصوصاً أهل السنة - وذلك أن الشيعي إذا رأى أنه في موقف الضعف لجأ إلى التقية، وفي هذه

(١٩٨) الشيعة والسنة ص ١٥٧ .

(١٩٩) سورة الحجرات : ١٣ .

(٢٠٠) الشيعة والسنة ص ١٥٧ . نقلا عن كتاب الاعتقادات للقمي .

(٢٠١) الشيعة والسنة ص ١٥٧ . نقلا عن كتاب الاعتقادات للقمي .

(٢٠٢) المصدر السابق ص ١٨٥ .

(٢٠٣) النساء: من الآية ١١٦

الحال له من الأجر الذي قدّره الشيعة ما يعادل مصافحته لعلي رضي الله عنه أو الصلاة خلف نبي من الأنبياء (٢٠٤) كما افتروا على الله وعلى رسوله.

وأقرب مثال على عدم حصول التفاهم تلك المحاولات التي قامت للتقريب بين الشيعة وأهل السنة، ثم خابت الآمال وتيقن أهل السنة أنه لا وفاء ولا إخلاص ولا صدق عند أولئك الذين يتعبدون الله بالتقية.

### أسباب قول الشيعة بالتقية:

اختلفت كلمة الشيعة في الأسباب الحاملة لهم على التمسك بالتقية واعتبارها أساساً في الدين، وفيما يلي نوجز أهم ما قيل فيها:

١- قالت طائفة: إن التقية تجب للحفاظ على النفس أو العرض أو المال أو الإخوان.

٢- وقالت طائفة: إن التقية تجب لأنها فضيلة، والفضائل يجب التحلي بها، وسواء كانت التقية للحفاظ على النفس أو لغير ذلك فهي واجبة في نفسها، وصاحبها أعرف بحاله، بينما روى الكليني عن أبي جعفر أنه قال: ((التقية في كل شيء يضطر إليه ابن آدم، فقد أحله الله له)) (٢٠٥).

٣- والحق أنهم أوجبوا التقية لظروف أحاطت بهم، ورأوا أن لا خلاص لهم إلا بالاتكاء على دعوى التقية.

### ومن ذلك:

أ- أنهم وقفوا على أقوال متضاربة عن الأئمة المعصومين عندهم يختلفون في الشيء الواحد، وتتناقض فيه أقوالهم دون أن يجدوا مبرراً لذلك التناقض؛ فخرجوا من ذلك بدعوى أن ذلك الكلام صدر من الأئمة على سبيل التقية.

وهذه الأقوال أكثرها من أكاذيب رواتهم، ليست من الأئمة الذين عرفوا بالشجاعة والصراحة، كما صرح بذلك أحد علماء الشيعة المنصفين (٢٠٦).

(٢٠٤) انظر مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٢٩٠ .

(٢٠٥) الكافي ج ٢ ص ١٧٥ .

(٢٠٦) الشيعة والتصحيح ص ٥٨ .

ب- ومنها ما وجدوه من كلام الأئمة في مدح الصحابة الذين تبرأ منهم الشيعة ويعتبرونهم كفاراً، فزعموا أن ذلك المدح إنما كان تقية.

ومهما كان، فإن التقية التي يراها الشيعة لا يجوز اعتقادها في الإسلام لأنها قائمة على الكذب والخداع.

وما روه عن الأئمة وأنهم كانوا يلجؤون إليها كذب، بل كذبوا أنفسهم بأنفسهم حيث يذكرون روايات كثيرة لأناس سألوها بعض الأئمة المعصومين -حسب زعمهم- عن مسائل فأجابوا فيها بجواب، ثم سألوهم بعد مدة فأجابوا فيها بجواب آخر دون أن يوجد أي داع للتقية لصدور تلك الإجابات المختلفة من إمام واحد عن مسألة واحدة بين خاصة الإمام وشيعته وأنصاره كما صرحت بهذا مصادرهم...

وهذا اعتراف منهم بأن الأئمة لا يلجؤون إلى التقية بسبب الخوف وإنما هو بسبب الجهل، ولا شك أن هذا طعن شنيع في أولئك الذين يدعون عصمتهم.

فانظر إلى ما أورده النوبختي عن عمر بن رباح، وما أورده عنه أيضاً الكشي في رجاله أنه سأل أبا جعفر (ع) عن مسألة فأجاب فيها بجواب، ثم عاد إليه في عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجاب فيها بخلاف الجواب الأول فقال لأبي جعفر: هذا خلاف ما أجبتني في هذه المسألة العام الماضي، فقال له: إن جوابنا ربما خرج على وجه التقية فشكك في أمره وإمامته.

فلقي رجلاً من أصحاب أبي جعفر يقال له محمد بن قيس فقال له: إني سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني فيها بجواب، ثم سألته عنها في عام آخر فأجابني فيها بخلاف جوابه الأول، فقلت له: لم فعلت ذلك؟ فقال: فعلته للتقية: وقد علم الله أنني ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتيني به وقبوله والعمل به، فلا وجه لاتقائه إياي وهذه حالي.

فقال محمد بن قيس: فلعلَّه حضرك من اتقاه؟ فقال: ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غيري، لا، ولكن جوابيه جميعاً خرجا على وجه التبخيت ولم يحفظ ما أجاب به العام الماضي فيجيب بمثله، فرجع عن إمامته وقال: ((لا يكون إماماً من يفتي بالباطل على شيء بوجه من الوجوه ولا في حال من الأحوال، ولا يكون إماماً من يفتي تقية بغير ما يجب عند الله)) (٢٠٧).

وما أحسن ما أجاب به سليمان بن جرير الشيعي عن تخليط الشيعة في تمسكهم بالتقية ليجعلوها مخرجاً لأكاذيبهم على أئمتهم، حيث قال كما يرويه عنه النوبختي، وهو من كبار علماء الشيعة:

((إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالاتين لا يظهرن معها من أئمتهم على كذب أبدأ، وهما القول بالبداء، وإجازة التقية. فأما البداء فإن أئمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتهما في العلم فيما كان ويكون، والإخبار بما يكون في غد، وقالوا لشيعتهم: إنه سيكون في غد وفي غابر الأيام كذا وكذا، فإن جاء ذلك الشيء على ما قالوه، قالوا لهم: ألم نعلمكم أن هذا يكون. فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الأنبياء، وبيننا وبين الله عز وجل مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت، وإن لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا إنه يكون على ما قالوا، قالوا لشيعتهم بدا الله في ذلك بكونه.

وأما التقية، فإنه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم في الحلال والحرام وغير ذلك من صنوف أبواب الدين فأجابوا فيها، وحفظ عنهم شيعتهم جواب ما سألوهم وكتبوه ودونوه، ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة بتقدم العهد وتفاوت الأوقات، لأن مسائلهم لم ترد في يوم واحد، ولا شهر واحد بل في سنين متباعدة وأشهر متباينة وأوقات متفرقة.

فوقع في أيديهم في المسألة الواحد عدة أجوبة مختلفة متضادة، وفي مسائل مختلفة أجوبة متفقة، فلما وقفوا على ذلك منهم ردوا إليهم هذا الاختلاف والتخليط في جواباتهم وسألوهم عنه، وأنكروا عليهم، فقالوا: من أين هذا الاختلاف وكيف جاز ذلك؟

قالت لهم أئمتهم: إنما أجبنا بهذا للتقية، ولنا أن نجيب بما أحببنا وكيف شئنا لأن ذلك إلينا، ونحن أعلم بما يصلحكم وما فيه بقاؤكم وكف عدوكم عنا وعنكم، فمتى يظهر من هؤلاء على كذب؟ ومتى يعرف لهم حق من باطل)) (٢٠٨).

ولا شك أن هذه الصراحة تامة وشهادة على الشيعة منهم، وهذا التخليط إنما هو إفك علمائهم لا من الأئمة الذين ينتسبون إليهم مثل جعفر الصادق وغيره، وقد حاول محمد صادق

آل بحر العلوم المعلق على كتاب النوبختي إيجاد مبررات ورد لهذا القول، لكنها مبررات واعتذارات مثل بيت العنكبوت.

### أدلة الشيعة على جواز التقية:

تلمس الشيعة لمبدأ التقية بمفهوم لها نصوصاً حملوها ما لم تحتمله من المعاني التي يعتقدون أنها تؤيد ما يذهبون إليه.

ومن تلك الأدلة التي تمسكوا بها ما ذكره بحر العلوم في تعليقه على فرق الشيعة للنوبختي بقوله: ((التقية مما دل على وجوبه العقل إذا كانت لدفع الضرر الواجب، وقد دل عليه أيضاً القرآن العظيم، ثم نقل عن الطبرسي بعض الآيات يحتج بها (٢٠٩):

١ - قوله تعالى: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} (٢١٠).

٢ - قوله تعالى: {فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ\* فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ} (٢١١)

٣ - قوله تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} (٢١٢).

٤ - قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} (٢١٣).

وفي هذا يقول محمد مهدي الحسيني الشيرازي عن الشيعة: وهم يرون التقية لقوله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} (٢١٤).

والواقع أن استدلالهم بهذه الآيات على التقية التي يرونها استتال خاطئ وهذه الآيات وآيات أخرى كثيرة ليس فيها دلالة للشيعة على التقية التي هي بمعنى الكذب واستحلاله، بل تشير إلى جواز التورية في ظاهر الكلام إذا لزم الضرورة، كقول إبراهيم عليه السلام: {إِنِّي سَقِيمٌ} (٢١٥)

(٢٠٩) انظر فرق الشيعة تعليق ص ٨٥-٨٦. وانظر الكافي ج ٢ ص ١٧٢.

(٢١٠) سورة البقرة: ١٩٥

(٢١١) سورة الصافات: ٨٨

(٢١٢) سورة آل عمران: ٢٨

(٢١٣) سورة النحل: ١٠٦

(٢١٤) قضية الشيعة ص ٦. والآية من سورة آل عمران: ٢٨.

(٢١٥) سورة الصافات: ٨٩.

أي من عملكم وعبادتكم للأوثان، وليس هو من الكذب بل فيه تعريض لمقصد شرعي كما يذكر العلماء<sup>(٢١٦)</sup> وهو تكسير آلهتهم بعد ذهابهم عنها.

وأما الاستدلال بالآية: (إلا أن تتقوا منهم تقاة) فإن معناها الأمر بالاتقاء من الكفار. قال البغوي: ((ومعنى الآية أن الله نهي المؤمنين عن موالاته الكفار ومداهنتهم ومبايحتهم إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين، أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان؛ دفعاً عن نفسه من غير أن يستحل دماً حراماً أو مالاً حراماً، أو يظهر الكفار على عورات المسلمين))<sup>(٢١٧)</sup>.

وأما الآية {إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ} أي إلا من كان حاله مشرفاً على الخطر، واضطر إلى القول بالكفر فله أن يتقول به من غير أن يعتقد ويعمل به، بل يقول ما فيه تورية ومعاريض مع طمأنينة قلبه بالإيمان، وبحيث لا يشرح صدور الكفار بالمدح الظاهر لهم ولديانتهم، وإنما يلجأ إلى المعاريض التي يكون فيها صادقاً، ولا تؤثر في دينه، كأن يقول لهم إنكم على معرفة، وعندكم تقدم ظاهر، قصوركم عالية وبساتينكم مثمرة، ويريد به أنهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة غافلون)).

قال ابن جرير في معنى الآية، بعد أن ذكر أنها نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه: ((فتأويل الكلام إذن، من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره على الكفر، فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، موقن بحقيقته، صحيح على عزمه، غير مفسوح الصدر بالكفر، لكن من شرح بالكفر صدرًا فاختره وآثره على الإيمان، وباح به طائعاً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم))<sup>(٢١٨)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن هذه التقية الشيعية الباطلة لم يقصروها على الناس فقط بل جوزوها حتى على الأنبياء، وهذا خطأ وخلاف الحق، فإن الأنبياء لا يسلكون التقية التي يريدونها الشيعة، ولا تجوز أبداً، فالكذب لا يجوز عليهم، وكتمان الحق وإظهار الموافقة للكفار كذلك لا يجوز لهم، وإلا لما انتشرت دعوتهم، ولما ظهر الخلاف بينهم وبين أقوامهم، ولما حصل عليهم من المتاعب

(٢١٦) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٣ .

(٢١٧) انظر تفسير البغوي ج ١ ص ٢٩٢ .

(٢١٨) انظر جامع البيان ج ١٤ ص ١٨٢ .

والأخطار ما حصل مما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم مما لم يكن ليقع أبداً لو استعمل الأنبياء التقية الشيعية المملوءة جبناً ونفاقاً، وحاشا أن يسلكوا ذلك.

وقد يقول بعض الشيعة في احتجاجهم بالسنة: إننا نجد أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يلين القول ويبتسم في وجوه بعض الفسقة والظلمة، وهذا كما يرى هؤلاء تقية.

والواقع أن هذه الأفعال التي صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كانت من باب المداراة، ومن باب حسن الخلق وتأليف القلوب، مع أنه حصل مثل هذه المواقف لأناس ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاف من جانبهم شيئاً حتى يقال إنها تقية منه لهم، ثم لم تكن هذه المداراة في أمور الدين إذ لم يعرف عن أحد من الأنبياء أنه دارى أحداً في دينه، وإنما هو حسن الخلق ومقابلة الناس بالبشر مع تألفهم لأقوامهم، ولا ينافي هذا أن يقع في القلب كراهية ما هم عليه من فجور مع محبة الخير لهم وإرشادهم إليه وبذل النصيح لهم بصدق وإخلاص.

وفي مختصر التحفة الاثني عشرية فوائد في هذا المعنى، ارجع إليها إن أحببت الزيادة<sup>(٢١٩)</sup>.

وفي الختام نود التنبيه إلى أن ما ينسبه الشيعة إلى علي رضي الله عنه من قوله بالتقية - غير صحيح بروايات الشيعة أنفسهم وتناقضهم من حيث لا يعلمون. شأن كل باطل:

فقد رووا في كتبهم أن علياً كان يهدد عمر في مواقف كثيرة، بل ويصل أحياناً إلى الضرب والإهانة ورفع الصوت فيما يزعمون، وأن علياً لو شاء لخسف بعمر وبغيره، وهذا يدل على أن علياً ما كان بحاجة إلى التقية.

ثم رووا عن علي أيضاً أنه توقف عن بيعة أبي بكر زمناً (( ستة أشهر )) لو كان يرى وجوب التقية لبايعه وأبطن الخلاف.

وعلى هذا فإنهم حين ينسبون إلى الأئمة القول بالتقية، ثم يثبتون لهم صفات لا تليق إلا بالله يعتبر كلامهم متناقضاً.

فقد روى الكليني أن الأئمة لا يموتون إلا برغبتهم واختيارهم، وقد أجمع الشيعة على صحة هذا.

كما روى أيضاً أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء، ومن كانت هذه صفاته فإن التقية في حقه تعتبر جناً وخوفاً لا داعي له، وكيف يلجؤون إلى التقية وهم يعلمون كل ما سيجري عليهم.

ثم يتناقض كلامهم في القضية الواحدة تبعاً لحال الإمام وظروفه، ولنفرض أنهم يصادفون متاعب من مخالفيتهم فهل يجمل بهم الهرب منها بالتقية وخداع الناس؟ فأين فضيلة الصبر وامتنال أمر الله وتحمل المشاق في سبيل الله؟ لأن هذه هي وظيفة الأنبياء والمصلحين من الناس، وهي فضيلة لا يليق بهم تجنبها باستحلال الكذب.

وأخيراً فإنه يلزم الشيعة أن يصفوا الحسن بن علي رضي الله عنه بأنه ليس له كرامة وفضل، لأنه لم يلتزم بالتقية مع معاوية، وأن المنافقين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل الناس لأنهم أتقاهم أي أكثرهم عملاً بالتقية حسب تفسير الشيعة الخاطئ<sup>(٢٢٠)</sup>.

ولولا شدة التعصب وتزيين الشيطان لهم أعمالهم لرأوا أن هذه الخرافات التي جعلت أعداء الإسلام يسخرون منهم بسببها أنها من أهم ما ينبغي عليهم محاربتها، وأن عليهم أن يحرروا أفكارهم من هذه الشنائع التي هي إلى الوثنية أقرب - وكل ذلك من أهم ما ينبغي عليهم القضاء عليه إذا أرادوا تصحيح دينهم وتحرير عقولهم من هذه المبادئ البدائية:

يقول الدكتور الموسوي في رده على علماء الشيعة:

((إن على الشيعة أن تجعل نصب أعينها تلك القاعدة الأخلاقية التي فرضها الإسلام على المسلمين، وهي أن المسلم لا يخادع، ولا يداهن، ولا يعمل إلا الحق، ولا يقول إلا الحق ولو كان عليه، وأن العمل الحسن حسن في كل مكان، والعمل القبيح قبيح في كل مكان. وليعلموا أيضاً أن ما نسبوه إلى الإمام الصادق من أنه قال التقية ديني ودين آبائي ((إن هو إلا كذب وزور وبهتان على ذلك الإمام العظيم))<sup>(٢٢١)</sup>.

#### ٤- المهديّة والرجعة عند الشيعة:

#### من هو المهدي؟

(٢٢٠) انظر لمزيد التفاصيل مختصر التحفة الاثني عشرية الصفحات المشار إليها سابقا، حيث ذكر أشياء كثيرة يضيق المجال عن ذكرها.  
(٢٢١) الشيعة والتصحيح ص ٥٩.

يؤمن أهل السنة بالمهدي الذي صحت به الأحاديث، ولكن غير مهدي الشيعة الخرافي الذي وصلوا في إيمانهم به وانتظاره وترقبه إلى حد جعلهم محل سخرية العالم منهم، وأخباره عندهم أكثر من أن تذكر، وقد أفرد الطوسي بكتابه المسمى: ((كتاب الغيبة)).

إن القول بالمهدي وانتظاره من عقائد الشيعة البارزة والأساسية، ذلك المهدي الذي يزعمون أنه غاب عنهم لأسباب مؤقتة، وسيرجع وسيملاً الأرض عدلاً ورحاءً كما ملئت ظلماً وجوراً (٢٢٢).

ولهذا فهم يقيمون على سردابه بسامراً الذي زعموا أنه مقيم فيه دابة ترابط دائماً ليركبها إذا خرج من سردابه، ويقف جماعة ينادون عليه بالخروج يا مولانا اخرج، يا مولانا اخرج، ويشهرون السلاح، وفي أثناء مرابطتهم لا يصلون خشية أن يخرج وهم في الصلاة فينشغلون بها عن خروجه وخدمته، بل يجمعون الخمسة الفروض.

وليس هذا فقط عند السرداب، بل أحياناً يكونون في أماكن بعيدة عن مشهده ويفعلون هذا إما في العشر الأواخر من شهر رمضان، وإما في غير ذلك يتوجهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية، يطلبون خروجه مع أنه لا مهدي هناك. وإنما هي خرافة نفذ منها ومن غيرها أعداء الإسلام إلى الطعن في الإسلام وتجهيل حامليه، وإلا فما الداعي لمثل رفع هذه الأصوات وهذه المرابطة المضنية؟

فإنه على فرض أن هذا المهدي موجود هناك، فإنه لا يستطيع أن يخرج إلا بإذن الله، ثم إذا أذن الله له فإنه يحميه وينصره ويبسر له كل ما يحتاجه، وليس هو في حاجة إلى أولئك الغلاة الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

فعملهم على كل الاحتمالات باطل لا يؤيده عقل ولا نقل، وكيف سيملاً الله به الأرض عدلاً ورحاءً بعد خروجه ولا يحميه حتى تلك اللحظات عند خروجه؟ أليس هذا تناقضاً؟ لأنه قد تقرر في عقيدتهم حسبما يؤكد الكليني في ((الكافي)): أن الأرض لا تخلو من إمام حجة إلا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يوماً، فحينئذ لا يوجد حجة، ولا تقبل توبة من

(٢٢٢) مما ينبغي الإشارة إليه هنا هو أنه ليس للشيعة مهدي واحد ينتظرون عودته بل لهم مهديون كثيرون حسب معتقداتهم وأما مهدي الإثني عشرية فهو ابن الحسن العسكري كما سيأتي .

أحد<sup>(٢٢٣)</sup>. ومن الغريب أن يؤكد الكليني أيضاً أنه لا يجوز السؤال عن اسمه بأي حال، وأنه لا يسميه باسمه إلا كافر، ويكتفي عن ذكر اسمه بذكر لقبه القائم، حيث لقب بذلك لأنه يقوم بعد ما يموت حسب الرواية التي أوردها الطوسي عن أبي سعيد الخراساني عن أبي عبد الله<sup>(٢٢٤)</sup>.  
 وأنه يحج في سنة ماشياً على رجله، ثم لا يرى عليه أثر السفر<sup>(٢٢٥)</sup>.  
 وأن أقرب ما يكون الناس إلى الله حين ينتظرون الغائب، وأشد ما يكونون بغضاً عند الله حينما يفتقدونه ولم يظهر لهم<sup>(٢٢٦)</sup>.

بل وسمى الكليني أمة محمد صلى الله عليه وسلم أشباه الخنازير والأمة الملعونة لعدم إيمانهم بغيبة المهدي<sup>(٢٢٧)</sup> والتي سوف لا تتأخر كثيراً فقد سأل الأصبع بن نباته أمير المؤمنين عن مدة الغيبة فقال: ستة أيام، أو ستة أشهر، أو ست سنين<sup>(٢٢٨)</sup> فهو لا يتأخر بعد أن امتن الله به على خلقه، فإن الكليني يذكر أن موسى بن جعفر فسّر قول الله تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ }<sup>(٢٢٩)</sup>

قال: إذا غاب عنكم إمامكم، فمن يأتيكم بإمام جديد<sup>(٢٣٠)</sup>.

وقد وقعت علامات كثيرة تبشر بقرب ظهوره، فإنه قبل ظهوره تقع الفتن بين الشيعة ويسمي بعضهم بعضاً كذابين، ويتفل بعضهم في وجوه بعض<sup>(٢٣١)</sup>، ثم أورد الكليني روايات وقصصاً كثيرة حول علم المهدي بالمغيبات وأساطير وخرافات كثيرة ذكرها عنه.

(٢٢٣) انظر للمزيد من أخباره كتاب الغيبة للطوسي، وانظر كتاب الحجة من المافي من ص ٢٦٤ - ص ٢٧٧ الأبواب التالية:

باب في تسمية من رآه (ع)

باب في النهي عن الاسم (٢) وانظر كتاب الغيبة للطوسي.

باب نادر في حال الغيبة.

وانظر باب في الغيبة.

وانظر ص ٣٠٠ باب كراهية التوقيت إلى ص ٣٠٣ باب التمحيص والامتحان.

وانظر باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذه الأمر أو تأخر.

ثم انظر باب مولد الصاحب (ع) وانظر جزء ٢ الصفحات ٢٦٤ / ٢٦٥ / ٢٦٦ / ٢٦٨

وانظر من كتب السلف: منهاج السنة ج ١ ص ١٢. ٢٩ - ومختصر التحفة الإثني عشرية ص ٢٠٠، ٢٩٤ - والشيعة والتشيع

ص ٣٥١ - ٣٨٨.

(٢٢٤) انظر كتاب الغيبة ص ٢٦٠.

(٢٢٥) الكافي ج ٢ ص ٢٦٨.

(٢٢٦) الكافي ج ٢ ص ٢٦٩.

(٢٢٧) الكافي ج ٢ ص ٢٧٢.

(٢٢٨) الكافي ج ٢ ص ٢٧٣.

(٢٢٩) الكافي ج ٢ ص ٢٧٤. وقوله تعالى { فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّافُورِ } أي ظهر الإمام ج ٢ ص ٤٣١.

(٢٣٠) الكافي ج ٢ ص ٢٧٥.

(٢٣١) الكافي ج ٢ ص ٢٧٦.

وأما الطوسي في كتابه المسمى كتاب الغيبة فقد حطب في أخبار المهدي بليل، ولذا فلا أدري ما الذي أذكره عنه في أخبار هذا المهدي غير أنني سأشير إلى بعض ذلك فيما يلي:  
أكد الطوسي أن المهدي الغائب شوهد مرات عديدة حول الكعبة وهو يدعو بهذا الدعاء:  
((اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم انتقم لي من أعدائك))<sup>(٢٣٢)</sup>.

وأنه يظهر في كل سنة لخواصه يوماً واحداً، فيحدثهم ويحدثونه، ويقلب لهم الحصى ذهباً<sup>(٢٣٣)</sup> وهو لا يجب أن يساكن أحداً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد ذكر الطوسي عنه أنه قال - كما أوصاه أبوه -: ((لا أجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم، ولهم الخزي في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب أليم))<sup>(٢٣٤)</sup>.

وقد أورد الطوسي روايات كثيرة تفيد علم المهدي بالمغيبات<sup>(٢٣٥)</sup>.

واقراً هذا العنوان: ((فصل، وأما ظهور المعجزات الدالة على صحة إمامته في زمان الغيبة فهي أكثر من أن تحصى، غير أنا نذكر طرفاً منها))<sup>(٢٣٦)</sup> فإذا استطعت أن تقرأه فإنك ستجد ما يدهش العقل ويضيق الصدر من الأخبار التي لا يحتمل سماعها من له عقل وذوق.

واقراً توقيعات المهدي لنوابه حال غيبته عنهم<sup>(٢٣٧)</sup>، وما أورده من الفتاوى والأقوال الجاهلة في تلك التوقيعات المزورة على أيدي أولئك النواب والذين كثر عددهم إلى حد أنهم أصبحوا فريقين متضادين، وكلاء وسماسرة ممدوحين وعددهم عند الطوسي ١٣ رجلاً، ووكلاء وسماسرة مذمومين وعددهم ٦، له ولسائر الأئمة ومنهم سفراء ممدوحين وعددهم ٣، وآخرين مذمومين وهم عدد كثير، قال الطوسي بعد أن ذكر عدداً من أسماء السفراء قال: ((فهؤلاء جماعة المحمودين وتركنا ذكر استقصائهم لأنهم معروفون مذكورون في الكتب فأما المذمومون فجماعة، ثم ذكر عدداً كثيراً منهم<sup>(٢٣٨)</sup> .

---

(٢٣٢) انظر ص ٤٣١ - ٤٤١ .  
(٢٣٣) ص ١٥٢ .  
(٢٣٤) كتاب الغيبة ص ١٦١ .  
(٢٣٥) ص ١٦٢ .  
(٢٣٦) كتاب الغيبة ص ١٧٠ .  
(٢٣٧) ص ١٧٢ .  
(٢٣٨) انظر : ص ١٩٩ - ٢٤١ .

وهناك الكثير من المزاعم والتهويلات حول شخصية هذا المهدي في كتب الشيعة، لعل فيما أشرنا إليه من ذلك ما يكفي لمعرفة مدى ضحالة هذه الأفكار، ونسيان أهلها لعقولهم، وتلاعب الشيطان بهم واستخفافهم بعقول الناس عند شغفهم بتثبيت آرائهم، وإظهار مذاهبهم، وركوبهم لذلك كل صعب وذلول غير مبالين بنتائج تهورهم وشناعة معتقداتهم.

أما هذا المهدي عندهم فهو الإمام الثاني عشر من أئمتهم حسب ترتيبهم لهم، واسمه محمد بن الحسن العسكري.

ومع كل اهتمام الشيعة بأخباره والتلهف على لقائه فلقد اضطرب كلامهم حوله وتناقضت فيه أقوالهم، ومع أنه - كما هو الصحيح عند أكثر العلماء - أنه شخصية خيالية لا وجود له إلا في أذهان الشيعة الذين يزعمون إمامته وينتظرون خروجه بعد غيبته الكبرى<sup>(٢٣٩)</sup>، ومن تلك التناقضات الشيعية ما تجده من :

#### ١- اختلاف الشيعة في وجود محمد بن الحسن وولادته.

فقد اختلفت كلمتهم في وجود هذا الشخص، فبعضهم ذهب إلى أن الحسن العسكري مات ولم يعرف له ولد أصلاً، وقال هؤلاء بأن الحسن العسكري حين توفي ظن بعضهم أن بجارته حملاً فوكلوا بها من يراقبها حتى تبين أن لا حمل بها.

واستدلوا أيضاً بأن الحسن العسكري حينما مات أخذ أخوه جعفر تركته، ولو كان للحسن ولد لما حصل على ذلك.

٢- وذهب آخرون إلى إثبات ولادة محمد بن الحسن، بل وحددها محمد صادق آل بحر العلوم المعلق على فرق الشيعة للنوبختي بأنها كانت يوم الجمعة منتصف شعبان على أشهر الأقوال كما زعم سنة ٢٥٥هـ، بينما الكليني في الكافي يذكر أنه ولد سنة ٢٥٦هـ<sup>(٢٤٠)</sup>، بينما هو يقرر أنه خفي الولادة والمنشأ<sup>(٢٤١)</sup>.

وهؤلاء الذين أثبتوا ولادته تناقضت أقوالهم واضطربت أفكارهم فيه أيضاً، فبعضهم قال بأنه ولد بعد وفاة والده الحسن بثمانية أشهر، وكذبوا من زعم غير هذا كما نص عليه النوبختي.

<sup>(٢٣٩)</sup> لأنهم يزعمون أن له غيبتين : إحداهما يوم وفاة أبيه وهي الصغرى ومدتها ٨ أو ٩ وستين سنة وثانيتها : الكبرى وتبدأ من وفاة أبي الحسين على بن محمد السمري آخر السفراء الأربعة المزعمون ...  
<sup>(٢٤٠)</sup> الكافي (( باب الإشارة والنص إلى صاحب الدار )) .  
<sup>(٢٤١)</sup> الكافي ج ٢ ص - ٢٧٧ .

وقال آخرون: إنه ولد قبل وفاة والده بسنين.

وقال بعضهم: بخمس سنوات.

كما اختلفوا كذلك في تحديد السنة التي اختفى فيها، فبعضهم يجعلها سنة ٢٥٦هـ، وآخرون

٢٥٨هـ، وغيرهم ٢٥٥هـ.

كما اختلفوا في اسم أمه على أقوال:

\* فقييل: اسمها نرجس.

\* وقيل: صقييل أو صيقل.

\* وقيل: اسمها حكيمة.

\* وقيل اسمها سوسن (٢٤٢).

وأقوال أخرى كثيرة مضطربة يطول نقلها، وهذا الاختلاف كله دليل على أن هذا الإمام لم يولد وإنما هو استحساناتهم وتخميناتهم، وهذه الاختلافات تدل أيضاً على مدى تخبطهم وعلى الجهل الذي يخيم عليهم إذ كيف تخفى ولادة محمد بن الحسن العسكري وهم متأكدون - حسب شروطهم في الخلافة والإمامة ورواياتهم العديدة - أن الحسن العسكري هو الإمام الحادي شعر، ولا بد أن يخلفه عقب منه هو أكبر أولاده، وهو الذي يتولى الأمر بعده، ويغسله ويصلي عليه كما يقررون ذلك.

ثم إن شخصية كهذه تملأ الأرض عدلاً ونوراً لا ينبغي بل ولا يصدق أن تكون ولادته محل خلاف أو خفاء.

ولك أن تستنتج من مواقفهم المتناقضة ما يزيدك يقيناً برداءة مذهبهم فيه، هذا مع ما لهم من حكايات وخرافات هي من نسيج الخيال الغير معقول رواها الطوسي في كتابه ((الغيبة)) عن حكيمة والخادم نسيم، كلها تدور حول ما حدث عند ولادة المهدي مباشرة.

فإنه حين سقط من بطن أمه كان يقرأ القرآن بصوت مسموع، وأنه كان متلقياً الأرض بمساجده، وأن والده أمره أن يتكلم فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم استفتح فقال: أشهد أن

(٢٤٢) انظر لأخبار هذا المهدي للشيعة ((كتاب الغيبة)) لشيخ الطائفة أبي محمد بن الحسن الطوسي حيث جاء بكل ما عندهم من الخرافات والأقوال في إثباته، وانظر أيضاً كتاب فرق الشيعة للنوبختي وتعليق بحر العلوم عليها من ص ١١٥ إلى ص ١٣٢، وانظر الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٩٣ و ص ١٨١ والشيعة والتشيع ص ٢٧٣ إلى ص ٢٨٢.

لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم صلى على أمير المؤمنين -علي بن أبي طالب- وعلى الأئمة إلى أن وقف على أبيه ثم تلا قول الله تعالى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} \* وَمُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} (٢٤٣).

كما زعم الطوسي أن خادم الحسن العسكري حينما عطس بحضرة المهدي وكان عمر المهدي عشر ليال قال هل المهدي: يرحمك الله، قال الخادم: ففرحت بذلك. فقال له: ألا أبشرك في العطاس؟ هو أمان من الموت ثلاثة أيام (٢٤٤).

وجاء الطوسي بأخبار كثيرة وكلمات نسبها إلى المهدي وهو طفل رضيع لا يعرفها إلا فيلسوف، وأنه حينما ولد كانت الملائكة تهبط وتصعد وتسلم عليه وتتبرك به، وأن روح القدس طار به ليعلمه العلم مدة أربعين يوماً، وأنه حينما ولد كان مكتوباً على ذراعه الأيمن {جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً} (٢٤٥).

وزعموا كذلك في رواياتهم على لسان الحسن العسكري أن ابنه المهدي كان ينمو في السنة والواحدة مثل نمو سنتين من غيره (٢٤٦).

كشأن سائر الأئمة، ومزاعم كثيرة ظاهرها يشهد عليها بالكذب والتهويل الأجوف لولا خوف الإطالة لكان في ذكرها ما يتعجب من العاقل على جرأة هؤلاء على التلفيق الذي لا يقبله عقل سليم ولا فطرة نقية، كما فعل الطوسي في كتاب (الغيبة) (٢٥٨) صفحة، كلها مثل هذه المبالغات والتلفيقات دون أن يجد الشخص جواباً شافياً لما يدور في ذهنه من أسئلة مهمة.

لماذا اختفى المهدي في السرداب مع انه لا داعي لهذا الخوف ما دامت الملائكة تحميه وتتبرك به وتنصره، فإن ملكاً واحداً يكفيه كل أهل الأرض؟

ثم لماذا يختفي الآن وقد ذهب كل من كان يخاف منهم، وجاء قوم يتلهفون على خروجه ونصرته، فلماذا إذاً تخلف عنهم بدون عذر مقبول، وهم يصيحون ليل نهار عجل الله خروجه؟

(٢٤٣) سورة القصص ٥-٦

(٢٤٤) كتاب الغيبة ص ١٣٩ . ١٤٢ . ١٤٧ .

(٢٤٥) سورة الإسراء: ٨١ .

(٢٤٦) انظر لهذه المبالغة والتوقيعات التي كان يرسلها المهدي وهو في عييته حسب زعمهم كتاب الغيبة عدة صفحات منه ، وانظر العنوان (( أخبار بعض من رأى صاحب الزمان وهو لا يعرفه أو عرفه فيما بعد ص ١٨٥ - ١٧٠ . وانظر معجزات الحجة ص ١٧٠ . في ذكر التوقيعات ص ١٧٢ ، ص ١٩٩ التي كان يرسلها لهم من سردابه بواسطة السفراء الأربعة) - انظر ص ١٥٠ ، ١٤٢ .

ثم لماذا لم يشب ولم ينم الحسن والحسين - سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم - مع عظم مكائتهما مثلما شب ابن الحسن والعسكري بتلك العجلة؟ وما الداعي أيضاً لتلك العجلة في تنموه ومصيره أن يختفي في السرداب ثم لا يراه أحد بعد ذلك ولا ينتفع به أحد؟  
قد تجد عند الطوسي<sup>(٢٤٧)</sup> وغيره من علمائهم بعض الإجابات التي لفقوها في أسباب غيبته، ولكنها إجابات غير كافية ولا مقنع فيها لأحد، ومن أعجب الأمور أن ينكر الهاشميون وجود ولد الحسن العسكري على مرأى من الناس ومسمع، وذلك حينما ادعى شخص زمن المقتدر الخليفة العباسي أنه هو ابن الحسن العسكري، فجمع الخليفة جميع بني هاشم وعلى رأسهم نقيب الطالبين أحمد بن عبد الصمد المعروف في كتب التاريخ - بابن الطومار - للبت في أمر هذا الرجل، فشهد الجميع على كذبه بدليل أن الحسن العسكري لم يعقب، فحبس المدعي وشُهر وضرب.

ورغم أن أهل البيت أدري بم فيه، لكن هؤلاء الشيعة أبوا إلا المكابرة مهما كانت النتائج، وادعوا وجود هذا المهدي ولا بد أن دافعاً قوياً دفعهم إلى هذه المجازفة، فما هو السبب في هذا الإصرار على وجود هذه الشخصية؟ سنذكر الجواب إن شاء الله في آخر الكلام عن هذه الشخصية.

## مكان وجود المهدي:

اختلف الشيعة في المكان الذي اختفى فيه مهديهم محمد بن الحسن العسكري على أقوال متضاربة توحى لأهل كل مكان ذكروه بقرب المهدي منهم.

ومن تلك الأقوال، وهي كثيرة:

١- أنه مختف في سامراء، في سرداب دار أبيه، وهذا من أشهر أقوال الشيعة والمتداول بينهم، وفي كتبهم<sup>(٢٤٨)</sup>.

٢- أنه مختف في المدينة المنورة.

<sup>(٢٤٧)</sup> انظر كتاب الغيبة ص ٦٦ . ٧٣ ، ١٩٩ .

<sup>(٢٤٨)</sup> انظر رواية محمد بن يعقوب بإسناده عن ضوء بن علي العجلي عن رجل من أهل فارس ، كتاب الغيبة ص ١٤٠ / ١٤٦ .

قال أبو هاشم الجعفري للحسن العسكري: ((يا سيدي هل لك ولد؟ قال: نعم. قلت: فإن حدث حادث فأين أسأل عنه؟ فقال: بالمدينة (٢٤٩)

٣- أنه مختلف بمكة المكرمة (٢٥٠).

وقد أورد الطوسي روايات كثيرة في هذا، وأورد الكليني حديثاً في هذا.

٤- وبعضهم قال: هو بذات طوى (٢٥١).

٥- وبعضهم قال: إنه في اليمن بواد يسمى شمروخ (٢٥٢).

٦- وبعضهم قال: إنه بالطائف حسب رواية الطوسي الطويلة عن علي بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي (٢٥٣).

وكل هذه الخلافات دليل على بطلان تلك الدعوى، والباطل أهله يخلفون فيه حتماً، ولا يخفى التباعد بين هذه الأماكن، وهذا التباعد بينها دليل على أنها افتراضات مبنية على هوى وأغراض سياسية، إذ لا يمكن لأي شخص أن يجمع بينها ويصل إلى نتيجة مرضية مهما أوتي من المعرفة والذكاء، ولكن هكذا شريعة الهوى والسياسة حيث لا تستند على أي أساس ثابت. وإذا كان المهدي قد اختار أن يختفي ويتوارى عن الأنظار فهل يجعل لذلك الاختفاء والهرب عن الناس حداً ومدة يعود بعدها إلى قيادة الشيعة، ومتى يتم ذلك؟ الجواب نذكره فيما يلي.

### رجعة المهدي ومتى تتم؟

يؤمن سائر العقلاء أنه لا رجعة لأحد بعد موته ليعيش في الدنيا- ويؤمن المسلمون برجعة واحدة تكون في يوم القيامة حين يجمع الله الخلائق لفصل القضاء، كما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة، بخلاف ما عليه كثير من الشيعة من إمكان ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة. فقد قرروا في عقائدهم أن النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته عليّ والحسن والحسين وبقية الأئمة سيرجعون. وفي المقابل يرجع أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية، ويزيد وابن ذي الجوشن، وكل من آذى أهل البيت بزعمهم.

(٢٤٩) كتاب الغيبة ص ١٣٩ .

(٢٥٠) المصدر السابق ص ١٥١ / ١٥٢ ، وانظر الكافي ج ١ ص ١٨٠ .

(٢٥١) كشف الأستار للطبرسي ص ٢١٤٥ ، نقلاً عن الشيعة والتشيع ص ٣٥٤ .

(٢٥٢) الأنوار النعمانية للجزائري ج ٢ ص ٦٥ نقلاً عن الشيعة والتشيع ص ٣٥٤ .

(٢٥٣) كتاب الغيبة ص ١٥٩ - ١٦١ .

كل هؤلاء سيرجعون إلى الدنيا مرة أخرى قبل يوم القيامة عند رجوع المهدي إلى الظهور - كما قرره لهم عدو الله ابن سبأ- يرجعون ليتم عقابهم كما آذوا أهل البيت واعتدوا عليهم ومنعوا حقوقهم، فينالهم العقاب الشديد ثم يموتون جميعاً، ثم يحيون يوم القيامة للجزاء الأخير مرة أخرى.

وقد بلغ بهم كرههم للصحابة أن زعم غلاتهم ومتعصبيهم وهو الشريف المرتضي أن أبا بكر وعمر يصلبان على شجرة في زمن المهدي وهي خضراء فتبيس فيضل بسبب ذلك جمع كثير من الناس، وهم يقولون: إن هذين البريئين قد ظلما ولذا صارت الشجرة الخضراء يابسة، وقيل: تكون تلك الشجرة يابسة قبل الصلب ثم تصير رطبة خضراء بعد الصلب فيهددي كثير من الناس. قال الألويسي: ((والعجيب أن هؤلاء الكاذبين مختلفون بينهم في هذا الكذب أيضاً)) (٢٥٤).

ولهم في هذه الرجعة أخبار غريبة وخرافات يمجهها العقل السليم. وقد أحاطوها بتهويلات عظيمة حتى يخيل للقارئ أن رجوع المهدي هو يوم القيامة الذي أخبر الله عنه، وهل خيالات وخرافات لا يصدقها إلا من لم يمن الله عليه بمعرفة دين الإسلام.

وقد ذكر الطوسي أن المهدي يخرج يوم عاشوراء يوم السبت بين الركن والمقام. وهذه الرواية عن أبي جعفر، وذكر رواية عن أبي عبد الله أنه ينادي باسم المهدي ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم يوم عاشوراء يوم قتل الحسين (٢٥٥).

وفي بعضها أن جبريل ينادي يوم ستة وعشرين من شهر رمضان باسم القائم، ويقوم في يوم عاشوراء اليوم الذي قتل فيه الحسين بين الركن والمقام، فتسير إليه شيعته، ومنهم من يطير طيراناً، ومنهم من يمشي في السحاب، وهم أفضل أصحابه، وتكون الملائكة حوله صاقين ومعه جميع الكتب المقدسة التي أنزلها الله على الأنبياء من أولهم إلى آخرهم.

ثم يأمر بحصر المخالفين للشيعة فينكل بهم، ثم تعلق كلمة الشيعة ويمتد حكمهم إلى جميع الأرض وتكون الغلبة لهم... إلخ.

(٢٥٤) انظر مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٢٠١ .

(٢٥٥) كتاب الغيبة ص ٢٧٤ .

ويذكر الطوسي عن أبي الحسن الرضا أنه قال: ((ينادون في رجب ثلاثة أصوات من السماء ..صوتا منها..ألا لعنة الله على الظالمين، والصوت الثاني: أذفت الآزفة يا معشر المؤمنين، والصوت الثالث: يرون بدنا بارزاً نحو عين الشمس، هذا أمير المؤمنين، قد كرّ في هلاك الظالمين (٢٥٦)، وأن أول من تنشق عنه الأرض في الرجعة هو الحسين بن علي رضي الله عنه)).

وأما عن الغلظة التي سيسير عليها فقد زعموا تنفيساً عن أحقادهم ضد العرب - كما دلّت عليه رواياتهم - أنه بعد رجعة المهدي أول ما يبدأ به أنه يقتل قريشاً ويصلبهم أحياءً وأمواتاً، أي بعد أن يحيي الله من مات منهم فيجازيهم أشد الجزاء بسبب ما فعلوا نحو أهل البيت فيضع السيف فيهم لا يستتیب أحداً منهم، ويستمر في هذا القتل مدة ثمانية أشهر لا يضع السيف عن عاتقه.

وزعم الطوسي في روايته عن أبي عبد الله أن المهدي يقطع أيدي بني شيبه ويعلقها في الكعبة (٢٥٧)، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي سلمهم مفتاحها. كما زعموا أن يقتل سبعين قبيلة من قبائل العرب (٢٥٨).

كما افترى علماء الشيعة على الله تعالى وردوا شهادته في كتابه الكريم في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي برأها الله من كل سوء... فزعموا أن المهدي يقيم عليها الحد، فيجلدها الحد (٢٥٩)، لعن الله من اعتقد هذا الاعتقاد وأخزاه الله في الدنيا والآخرة، وهذه الزندقة ذكرها الصافي في تفسيره (٢٦٠).

وبعد ذلك قالوا: إنه سيستأنف طريقة جديدة كما استأنف رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، قال الطوسي عن أبي عبد الله (ع) قال: ((إذا قام القائم جاء بأمر غير الذي كان)) (٢٦١).

وقد فسروا هذا الاستئناف بأنه يسير على حكم سليمان بن داود - كما يذكر الطوسي (٢٦٢)، بل ويهدم ما كان قبله ويستأنف الإسلام من جديد (٢٦٣).

(٢٥٦) كتاب الغيبة ص ٢٦٨ .

(٢٥٧) كتاب الغيبة ص ٢٨٢ .

(٢٥٨) المصدر السابق ص ٢٨٤ .

(٢٥٩) تفسير الصافي ص ٣٥٩ نقلاً عن الشيعة والتشيع ص ٣٧٨ .

(٢٦٠) تفسير الصافي ص ٣٥٩ نقلاً عن الشيعة والتشيع ص ٣٧٨ .

(٢٦١) كتاب الغيبة ص ٢٨٣ .

ومعنى هذا أنه يكفر بالإسلام ويبدأ من جديد - على حسب هذه النصوص - هذا هو الظاهر. ووصل سوء الأدب بأولئك أن اعتقدوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم في الرجعة الثانية لعلي رضي الله عنه يكون جندياً يقاتل بين يدي علي بن أبي طالب، ويبايع كذلك المهدي هو وسائر الأنبياء كما يروي العياش عن جعفر أنه قال لم يبعث الله نبياً ولا رسولاً إلا ردهم جميعاً إلى الدنيا حتى يقاتلون بين يدي علي بن أبي طالب (٢٦٤).

وأن دابة الأرض المذكورة في القرآن هي علي بن أبي طالب (٢٦٥).

ونترك خرافات كثيرة يمجها العقل، وتستثقل ذكرها النفس، إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى الحقد والكرهية التي كان عليها كتاب مثل هذه الأفكار وشدة كيدهم للإسلام ولزعماء المسلمين من الصحابة الكرام فمن بعدهم الذين قضوا على اليهودية والوثنية المجوسية، وأنزلوهم من عروشهم وساووهم بعامة المسلمين.

مما أغضب هؤلاء الذين لفقوا مثل هذه الأخبار والترهات في ذم قريش وحكام المسلمين أجمعين، وذم كثير من أهل البيت وزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا كله بخلاف ما هو معلوم من دين الإسلام، بل وجميع الأديان السماوية مجمعة على أن الإنسان إذا انتهى عمره في الدنيا ومات فإنه لا رجعة له إلا للقاء ربه يوم القيامة للحساب والجزاء.

وهذا هو ما صرح به الله عز وجل في القرآن الكريم؛ حيث قال رداً على من تمنى الرجعة إلى الدنيا: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ} (٢٦٦)، وهذا هو اعتقاد جميع المسلمين، ولم يقل بخلاف هذا أحد لا سلف الأمة ولا أحد من آل البيت الذي تزعم الشيعة أنهم تبع لهم، والقرآن صريح وواضح في إبطال هذه البدعة، والخرافة العقديّة التافهة.

وقولهم: إن المهدي هو الذي يحاسب الناس وينزل بهم العقاب بسبب ما قدموه في حق آل البيت، فإن الإسلام يصرح بأن الله عز وجل يتولى حساب جميع خلقه، ويثيب أو يعاقب.

(٢٦٢) المصدر السابق ص ٢٨٣ .

(٢٦٣) بجار الأنوار ١٣ ص ١٩٤ نقلاً عن الشيعة والتشيع ص ٣٨٢ .

(٢٦٤) تفسير العياشي ج ١ ص ٢٨١ نقلاً عن الشيعة والتشيع ص ٣٨٦ .

(٢٦٥) مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٢٠١ .

(٢٦٦) سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠

أما البشر، فليس لهم ذلك لقوله تعالى: {إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} (٢٦٧).

وقول هؤلاء الشيعة إنما اقتبسوه من قول النصارى بأن المسيح هو الذي يتولى حساب الخلق -تشابحت قلوبهم.

وقول هؤلاء: إن الرسول يقاتل بين يدي عليّ بن أبي طالب، ويبايعه المهدي الذي هو من ولدهما - إهانة واستخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم، وإهانة أيضاً لعلي رضي الله عنه، إضافة إلى تفسيرهم دابة الأرض بأنها علي رضي الله عنه، ولقد صدق عليهم الحديث: ((إذا لم تستح فاصنع ما شئت)) (٢٦٨).

وأما ما زعموه من عقوبة خيار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من صلبهما على شجرة وهي رطبة فتصبح يابسة، فهو افتراء ومخالفة للعقل والواقع، إذ كيف يعقل أن يجازيا بقتل الحسين وليس لهم بذلك صلة، ثم إن ذنبهما - إن كان أخذ الخلافة ذنب - لا يعقل أن يصل إلى هذا الحد من العقوبة.

ثم كيف يجازيهما الله أمام أقوام لم يشهدوا ذنبهما ولم يعرفوا له سبباً، إذ الأولى أن يتم جزاءهما أمام من شهد أمرهما في الوقت الذي آذوا فيه أهل البيت حتى تقر أعينهم بجزائهما، مع أن إثبات هذا العقاب يؤدي في النهاية إلى عكس ما يريد الشيعة، ويناقض أقوالهم، وذلك:

١ - أن أولئك الناس لو أرجعهم الله إلى الدنيا للجزاء قبيل يوم القيامة لكان أمرهم في الآخرة إلى الجنة، إذ من الظلم أن يعذبوا مرة أخرى، فحصل لهم بتعذيبهم في رجعتهم إلى الدنيا تخفيف وراحة.

وهذا ينقض ما ذهب إليه الإمامية، فإنه على أصولهم أن عذاب جهنم لا بد وأن يكون مستمراً على من آذى آل البيت، ثم ما هو الداعي إلى هذه العجلة يخرجهم فيعذبهم ثم يموتون ويعذبون مرة أخرى، وأيضاً لماذا لم تكن هذه العجلة في وقت وقوع الجريمة لتكون أنكى، أما تركهم هذه المدة كلها ثم يعذبهم في زمن المهدي فهو برود مثل برود الشيعة في أكاذيبهم.

(٢٦٧) سورة مريم: ٩٣

(٢٦٨) أخرجه البخاري ٣٥١٥/٦، الفتح، وأحمد في المسند ٤/ ١٢١، وأبو داود ١٤٨/٥ وابن ماجه ٢/ ١٤٠٠.

٢- أن الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم الذين حكم الشيعة عليهم بالرجوع، لعظم ما ارتكبوه في حق آل البيت وجزاؤهم الشديد في الدنيا ثم يموتون-بزعمهم- ويبعثون يوم القيامة. ذنوبهم بإقرار الشيعة غضب الخلافة وبعض حقوق آل البيت -على زعم الشيعة-، وهذا الذنب -إذا جاز تسميته ذنباً- لا يصل إلى درجة الكفر بالله والشرك به بل هو فسق والفسق لا يصل إلى هذا الحد من العقاب ولا يوجب الرجعة في الدنيا، ولو كان الأمر يقتضي الرجعة لكان إرجاع الكفرة والمشركين والذين ادعوا الألوهية مع الله- كفرعون ونمرود وغيرهما- أولى بالرجوع، والشيعة لم يقولوا بذلك، فوجب أن يكون - حسب مقياسهم- أن غضب الخلافة أو التعدي على آل البيت أعظم جرماً من الشرك ومن ادعاء الألوهية وقتل الأنبياء بغير حق، وهم لا يقولون بهذا؛ فظهر بطلان قولهم بوجوب إعادة ورجعة أولئك الخلفاء لعقابهم في الدنيا بسبب غضبهم الخلافة، أو أخذ أبي بكر لفدك بغير حق كما يدعون لجهلهم بنص النبي صلى الله عليه وسلم فيها.

٣- ثم إن قولهم برجوع النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وسائر الأئمة وإخراجهم من قبورهم لحضور هذا العقاب في الرجعة -فيه تعذيب لهم بالموت مرة أخرى، والموت أشد آلام الدنيا... فلم يجوز الله سبحانه وتعالى إيلاهم أحبائه عبثاً؟ إذ الموت لا بد أن يشمل كل كائن حي، وإذا أحيا الله هؤلاء فلا بد من تجرعهم الموت مرة أخرى- على حسب هذا المعتقد الخرافي-، فكيف يعذب أوليائه بالموت مرتين في الدنيا وغيرهم مرة واحدة؟

٤- إنه على عزم الشيعة بإعادة هؤلاء وإيقاع العذاب عليهم في الدنيا - فيه نفع لهؤلاء المبعوثين إلى الدنيا إذ يعلمون حينئذ أنهم أخطئوا فيتوبون حتما توبة نصوحاً، والتوبة مقبولة في الدنيا ولو بعد الرجعة، فكيف بعد ذلك يمكن تعذيبهم، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. فوجب على معتقد الشيعة برجعتهم أن يقولوا بأنهم في الآخرة في الجنة لصدق توبتهم في الدنيا في الحياة الثانية.

إلى غير ذلك من الردود التي تدحض مذهب الشيعة في القول بالرجعة، وأنه خلاف العقل والنقل والواقع، والله الهادي إلى سواء السبيل<sup>(٢٦٩)</sup>.

(٢٦٩) انظر مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٠١ - ٢٠٣، ص ٢٩٤.

ومما ينبغي الإشارة له هنا أنه قد خرج عن القول بالمهدي على تلك الصورة المزعومة عند الشريعة بعض فرقهم كالزيدية، وقد أنكروا عودة المهدي وردّوها بروايات عن الأئمة أيضاً، وكفى الله المؤمنين القتال.

وقد سبقت الإشارة إلى هذه القضية في درس الزيدية، كما سبقت الإشارة إلى أن الشيعة ليسوا كلهم على مذهب واحد في المهدي المنتظر، وإنما اشتهر اسم محمد بن الحسن العسكري بالمهدي المنتظر، لأنها عقيدة الرافضة الإمامية في عصرنا الحاضر.

## أما متى يخرج المهدي؟

فقد وُتت بعض الشيعة لخروج المهدي زمناً معيناً، وذلك بعد وفاة الحسن العسكري بزمن، إلا أن الذين وقتوا خروجه بزمن حينما انتهى التقدير ورأوا أن المسألة ستتضح ويظهر فيها الكذب مددوا هذه الغيبة إلى وقت غير مسمى، واختلقوا لذلك أعداراً كاذبة، فرواية وردت عن الأصبع بن نباته - كما ينقلها الكليني - تذكر أنه سيخرج بعد ستة أيام أو ستة أشهر أو ست سنوات، وهذه الروايات هي المتقدمة والقريبة من وفاة الحسن العسكري (٢٧٠).

ورواية أخرى يذكرها الكليني عن أبي جعفر تذكر أنه سيخرج بعد سبعين سنة، ثم مددت هذه المدة أيضاً حين أفشي السر إلى أجل غير مسمى، وذلك حسب ما روى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر أن الله تبارك وتعالى قد كان وقت هذا الأمر في السبعين، فلما أن قتل الحسين - صلوات الله عليه - اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض فأخّره إلى أربعين ومائة، فحدثناكم فأذعنتم الحديث فكشفتهم قناع الستر، ولم يجعل له بعد ذلك وقتاً... إلخ (٢٧١).

والواقع أنه لن يخرج حتى تخرج هذه العقيدة من أذهانهم ومعتقداتهم التي صنعها علماءهم لأغراض ومقاصد كثيرة، في أولها حرب الدولة الإسلامية وإعادة السيطرة الفارسية.

وقد أبان سر هذه المهزلة المهديّة أحد الشيعة وهو علي بن يقطين حين سئل عن المهدي فأجاب: ((إن أمرنا لم يحضر فعللنا بالأماني، فلو قيل لنا: إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتي

وانظر أيضاً بحار الأنوار للمجلسي فيما ينقله عنه إحسان إلهي رحمه الله في كتابه الشيعة والتشيع من ص ٣٧٦ إلى ص ٣٩٠ .  
وانظر دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص ١٤٨ - ١٥٢ .

وانظر الشيعة في الميزان ص ٧٧ - ٨٤ .

(٢٧٠) الكافي كتاب الحجة ج ١ ص ٢٧٢ .

(٢٧١) المصدر السابق ص ٣٠٠ .

سنة أو ثلاثمائة سنة -لقتت القلوب، ولرجع عامة الناس عن الإسلام، ولكن قالوا: ما أسرعه وما أقربه تألفاً لقلوب الناس، وتقريباً للفرج)) (٢٧٢) .

فانظر إلى هذه الشهادة عليهم، وقارن بينهم وبين السلف الذين ينتظرون المهدي الذي أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم لترى ثبات السلف وعدم وجود تلك العجلة واللهثة التي توجد في الشيعة، لأن السلف مطمئنون واثقون بدينهم ونبِيِّهم، ويعلمون أن العجلة لا تقدمه ولا تؤخره، ولأنهم كذلك ليست لهم أحقاد يريدون أن يشتفوا من المخالفين لهم عند ظهور المهدي.

### سبب إصرار الشيعة على القول بوجود محمد بن الحسن العسكري

عرفنا فيما تقدم عمق هذه الفكرة في أذهان الشيعة وتشبثهم بوجود ابن للحسن العسكري الذي جعلوا منه مهديهم المنتظر، ومكابرتهم وإصرارهم على القول بولادته، فما هو السر في هذا؟ والجواب حاصله أن الشيعة قد وضعوا شروطاً وقواعد وأوصافاً للإمام ألزموا أنفسهم بتصديقها وهي من صنع الخيال، وبالتالي فهي صعبة المنال ثم جعلوها جزءاً من العقيدة الشيعية، بحيث لو لم تتحقق لانتقض جزء كبير من تعاليمهم، ولأصبحوا في حرج.

وأكثر تلك الشروط هي تقول على الله ومجازفة وحكم على الغيب، فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

١- أن الإمام لا يموت حتى يكون له خلف من ذريته هو الذي يتولى الإمامة من بعده حتماً لازماً وقد روى الطوسي عن عقبة بن جعفر قال: قلت لأبي الحسن: قد بلغت ما بلغت وليس لك ولد؟

فقال: يا عقبة بن جعفر، إن صاحب هذا الأمر لا يموت حتى يرى ولده من بعده (٢٧٣)

٢- أن الإمامة لا تعود في أخوين بعد الحسن والحسين أبداً؛ بل في الأعقاب وأعقاب الأقباب.

(٢٧٢) المصدر السابق ص ٣٠١ .  
(٢٧٣) كتاب الغيبة ص ١٣٣ . وذكر الكليني على هذا الزعم أحاديث كثيرة في كتاب الحجة في الجزء الأول الذي يبدأ هذا الكتاب من ١٢٨ إلى ٤٥٩ .

ومعنى هذا أن الحسن العسكري - وهو الإمام الحادي عشر - لو مات دون عقب لانتقضت هذه القاعدة، وقد روى الطوسي عن أبي عيسى الجهني قال أبو عبد الله ع: لا تجتمع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين رضي الله عنهما، إنما هي في الأعقاب وأعقاب الأعقاب (٢٧٤).

٣- الإمام لا يغسله إلا إمام هو أكبر أولاده.

ولقد ذكر ابن بابويه القمي عن علي بن موسى بن جعفر كثيراً من الشروط التي اشتملت على خرافات وآراء ضالة ليست من الإسلام في شيء، كقولهم: ((للإمام علامات: يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس، ويولد محتوناً، ويكون مطهراً، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه، ولا يكون له ظل.

وإذا وقع على الأرض من بطن أمه وقع على راحته رافعاً صوته بالشهادة ولا يحتلم، وتنام عينيه ولا ينام قلبه، ويكون محدثاً، ويستوي عليه درع رسول الله صلى الله عليه وسلم - لأنها محفوظة بزعمهم عند الأئمة يتوارثونها - ولا يرى له بول ولا غائط، لأن الله عز وجل قد وكل الأرض بابتلاع ما يخرج منه، ويكون له رائحة أطيب من رائحة المسك.

ويكون أولى الناس منهم بأنفسهم، وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم، ويكون أشد الناس تواضعاً لله عز وجل، ويكون آخذ الناس بما يأمرهم به، وأكف الناس عما ينهى عنه، ويكون دعاؤه مستجاباً حتى إنه لو دعى على صخرة لانشقت نصفين، ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه محفوظ عند الأئمة والسيف ذو الفقار.

ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة، وصحيفة فيها أسماء أعدائهم إلى يوم القيامة، وتكون عنده الجامعة وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً، فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم ويكون عنده الجفر الأكبر والجفر الأصغر؛ إهاب ماعز وإهاب كبش فيهما جميع العلوم حتى أرش الخدش، وحتى الجلدة ونصف الجلدة وثلاث الجلدة، ويكون عنده مصحف فاطمة)) (٢٧٥).

ويروي الكليني عن أبي جعفر قال: ((للإمام عشر علامات: يولد مطهراً محتوناً، وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يجنب، وتنام عينيه ولا ينام قلبه، ولا

(٢٧٤) المصدر السابق ص ١٣٦ .

(٢٧٥) ذكرها عنه احسان الهي في كتابه (( الشيعة والتشيع )) ص ٢٨٦ . نقلاً عن كتاب القمي ص ٥٢٧ .

يتشاءب، ولا يتمطى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، ونجوه كرائحة المسك، والأرض موكلة بستره وابتلاعه، فإذا لبس درع رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عليه وفقاً، وإذا لبسها غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً، وهو محدث إلى أن تنقضي أيامه)) (٢٧٦).

وبغض النظر عن دراسة هذه الخيالات والخرافات التي يمجها العقل ويرفضها الفكر ويكذبها الواقع، إذ لا يوجد رجل تتوفر فيه هذه الشروط التي لم تتوفر حتى في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مجتمعة - بغض النظر عن ذلك كله فإن الذي يهمننا هنا هو معرفة السر الذي أصرَّ بموجبه الشيعة على القول بوجود ابن للحسن العسكري يخلف والده في إمامتهم.

وقد اتضح مما تقدم أن الذي حمل الشيعة على ذلك الإصرار هي تلك الشروط التي تنص على أن الإمام لا يموت حتى يوجد له عقب من أولاده هو الذي يتولى تجهيزه ودفنه، والقيام بأمر الشيعة بعده حتماً... وكان موت الحسن من دون ولد يهدم تلك الشروط التي وضعوها.

ومن هنا قرروا أن يوجدوا للحسن ولداً تخلصاً من هذا المأزق الذي وضعوا أنفسهم فيه، وليكن بعد ذلك ما يكون، وهم على ثقة بأن لكل صوت صدى، بل هم واثقون من أن استجابة الأكثر من الناس للخرافات والخزعبلات أقوى من استجابتهم للحق، وأقرب إلى نفوس الكثير من بني آدم.

وإضافة إلى ما تقدم في سبب دعواهم وجود المهدي، فإنه ينبغي ملاحظة أنه قد مرت بالشيعة ظروف سياسية واجتماعية ودينية ذاقوا فيها مرارة الحرمان من عدم إقامة دولة لهم تنظر

---

(٢٧٦) كتاب الكافي ج ٢ ص ٣١٩ . وقد ذكر الكليني في هذا الكتاب في الجزء الأول في كتاب الحجة كثيراً من تلك المبالغات في الأئمة مثل قولهم :

باب أن الحجة لا تقوم على خلقه إلا بإمام ص ١٣٥ .

باب أن الأئمة هم أركان الأرض ص ١٥٢ .

باب أن الأئمة هم أركان الأرض ص ١٥٢ .

باب عرض الأعمال على النبي والأئمة ص ١٧٠ .

باب أن الأئمة معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة .

باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ومتاعه ص ١٨١ .

باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة ص ١٨٥ .

باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم ص ٢٠٢ .

باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله وسلامه عليهم ص ٢٠٣ .

باب أن الإمام لا يغسله إلا إمام من الأئمة ص ٣١٥ .

وأبواب أخرى كثيرة تركتها خوف الإطالة ، وقد حشيت تلك الأبواب بمبالغات وأكاذيب على أئمتهم لا يقبلها عاقل له أدنى تمييز .

إليهم بالعين التي يريدونها من تقديمهم واعتبار آرائهم، وغير ذلك مما كانوا فيه من العزة والتناول على الناس، واعتبار عنصرهم أفضل العناصر.

وحيثما غلبتهم الدولة الإسلامية وبلغ السيل الزبي بإخضاع الدولة الأموية لهم -فكر رؤسائهم في ذلك الوقت في أمر يجتمع عليه عامتهم؛ لئلا يذوبوا في غيرهم، ويئسوا من استعادة أمرهم، فبدأوا في حبك المخططات السرية والعلنية، وتوجيه أنظار جميع الشيعة إلى الالتفاف حول أمل إذا تحقق عادت به سيادتهم كما يتصورون.

وهو انتظار المهدي الغائب<sup>(٢٧٧)</sup> الذي سيزيل عند رجوعه جميع من ناوهم، ويقضي على قريش بخصوصهم بكل شراسة حتى يقول الناس: لو كان هذا من قريش لما فعل بهم هكذا حسب ما يرويه النعماني<sup>(٢٧٨)</sup>، وحسبما يروونه عنه في كتبهم.

وهذه الشراسة والشدة على العرب بخصوصهم ومنهم قريش تدل دلالة واضحة على أن هذا المهدي ليس له صلة بالعرب، فهو عدو شرس لهم ليس بينه وبينهم أية عاطفة أو صلة.

وفعلاً هذا المهدي ليس من قريش، بل هو مهدي فارسي متعصب ليزدجرد وللأسرة الساسانية التي قضى عليها الإسلام، يتضح ذلك في هذه الرواية التي يروها الطوسي عن أبي عبد الله أنه قال:

((اتقوا العرب فإن لهم خبر سوء، أما إنه لا يخرج مع القائم منهم أحد))<sup>(٢٧٩)</sup> وبهذا يتضح أن

هذا المهدي مصنوع بمعرفة الشيعة وعلى طريقتهم، حقود شديد، يمثل الغلظة بأجلى صورها.

## ٥- موقفهم من القرآن الكريم:

القرآن الكريم كلام الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تكفل الله بحفظه وحمايته من أيدي العابثين وتأويلات المبطلين فقال عز وجل: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (٢٨٠)، وقال تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} (٢٨١).

(٢٧٧) انظر فجر الإسلام ص ٢٧٤ / ٢٧٥ ، وانظر دراسة عن الفرق ص ١٦٠ .

(٢٧٨) كتاب الغيبة للنعماني ، نقلاً عن الشيعة والتشيع ص ٣٧٦ .

(٢٧٩) كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٨٤ .

(٢٨٠) سورة الحجر: ٩

(٢٨١) سورة الحاقة : ٤٥ - ٤٦

نزل به جبريل الأمين على قلب محمد سيد المرسلين وبلغنا رسول الله كما تبليغه عن الله تعالى، جمع الله به الكلمة، ووحده به القلوب، ولا تزال البشرية بخير ما تمسكوا به، مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور كما أنزله الله لم يزد فيه ولم ينقص منه بشهادة الله عز وجل. هكذا يعتقد المسلمون في القرآن الكريم، فما هو رأي غلاة الشيعة (الرافضة) في صون القرآن عن التبديل والتغيير؟

إن الحق والواجب أن يكون القرآن الكريم بعيداً عن أي مساس، وأن يكون نواة تجتمع عليها كلمة كافة المسلمين، وأن يجعل الحكم له في كل قضية، إلا أنه -ومع الأسف الشديد- لم يسلم القرآن الكريم من تدخل أهواء الشيعة -المتعمقين في الغلو- فقالوا بأقوال لا تجتمع معها كلمتهم وكلمة أهل السنة أبداً حتى يرجعوا عنها؛ لأنهما يسيران في طريقين متباعدين لا يلتقيان. لقد أعلن غلاة الشيعة أن في القرآن تحريفاً ونقصاً كثيراً، ولم يكن هؤلاء من عامة الشيعة أو علمائهم غير المشاهير، بل هم من علمائهم الكبار عندهم كالقمي والكليني وأبي القاسم الكوفي والمفيد والأردبيلي والطبرسي والكاشي والمجلسي والجزائري<sup>(٢٨٢)</sup> والكاازراني وغيرهم، وهؤلاء قد صرّحوا وبكل وضوح أن في القرآن نقصاً وتحريفاً في الآيات التي يذكر فيها علي بن أبي طالب، أو الآيات التي فيها ذم المهاجرين والأنصار ومثالب قريش، وأن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا علي فقط.

كما يعتقدون أن مصحفاً مفقوداً سيصل إلى أيديهم يوماً ما يسمى ((مصحف فاطمة)) فيه أضعاف ما في المصحف العثماني الموجود بين أيدي المسلمين، وأنه يختلف عن هذا المصحف اختلافاً كثيراً.

وتوجد نماذج كثيرة من تحريفاتهم للقرآن الكريم، اهتم علماء السنة بذكرها عنهم قديماً وحديثاً لعلّ المقام لا يتسع لسرد أسماء من كتب في هذا أو سرد الآيات التي يدعي الشيعة أنها محرفة أو ناقصة عن مصحف آل البيت فيما يذكره كتاب ((فصل الخطاب)) في تحريف كتاب ((الآرباب)) للطبرسي))، وفي الكافي وغيرها من كتب الشيعة.

(٢٨٢) نعمة بن عبدالله الجزائري .

والحقيقة أن هذا الموقف لا يمت للإسلام بأدنى صلة، ومعتقدده لا شك في كفره وخروجه عن الملة مهما كان ادعاؤه للإسلام بعد ذلك.

ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه كبير علماء النجف الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، والذي بلغ من إجلالهم له عند وفاته سنة ١٣٢٠ هـ أنهم دفنوه في بناء المشهد المرتضوي بالنجف، في إيوان حجرة بانو العظمى بنت السلطان الناصر لدين الله، وهو أقدس مكان عندهم.

هذا الرجل أُلّف سنة ١٢٩٢ هـ وهو في النجف عند القبر المنسوب للإمام عليّ كتابه المسمى: ((فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)) جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة قديماً وحديثاً أنهم يعتقدون بوجود النقص والتحريف في القرآن الكريم، وطبع الكتاب في إيران.

وعند طبعه قامت ضجة كبيرة حوله، خصوصاً ما أبداه بعض عقلائهم لا لأجل ما في الكتاب، وإنما كانوا يرغبون أن يبقى التشكيك في القرآن سراً ماثوئاً في كتبهم المعتمدة لا أن يذاع في كتاب واحد تقوم به الحجة عليهم.

وبدلاً من أن يستكين مؤلفه أو يعتذر أُلّف كتاباً آخر سماه: ((رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)) دافع فيه عن ما أودعه في كتابه السابق ((فصل الخطاب))، وقد كتب هذا الدفاع قبل موته بسنتين (٢٨٣).

### ولبيان نظرهم إلى القرآن نورد بعض الشواهد والأمثلة فيما يلي:

١- ادعى الشيعة أن سورة من القرآن تسمى سورة ((الولاية)) قد أسقطت من المصحف العثماني، ونصها:

((يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبي والولي اللذين بعثناهما يهديانكم الصراط المستقيم\*)) (نبيّ ووليّ بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير\*) (إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم\*) (والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبين\*) (إن لهم في جهنم مقاماً عظيماً إذا نودي

بهم يوم القيامة أين الظالمون المكذبون للمرسلين (\*) ما خلفهم المرسلين إلا بالحق وما كان الله ليظهرهم إلى أجل قريب (\*) فسبح بحمد ربك وعليّ من الشاهدين ((٢٨٤)).

فانظر إلى هذا الكلام الفارغ الذي لو قدمه تلميذ في مادة الإنشاء لاستحق عليه الرسوب، كلام مفكك ركيك، ثم يزعمون أنه كلام الله تعالى، وأن هذه سورة من عند الله تعالى أنزلها ضمن القرآن الكريم.

وفي كتاب الكافي وفصل الخاطب من الآيات التي زعم الشيعة أنها محرفة وناقصة ما جعلني أحتار في أيها أثبتته هنا وأيها أتركه فهي كثيرة جدا، أخذت صفحات عديدة، وكلها مما يقتل النفس أسى على ضلال هؤلاء وتطاولهم على كتاب الله دون خوف من الله ولا مبالاة بمشاعر المسلمين.

وبعد البحث وبذل الجهد في تصفح كتاب فصل الخطاب عثرت على الطامة الكبرى وهي ((سورة الولاية)) بكاملها، وقد رغبت أن أنقلها ليعتبر المؤمن، ويرجع المغالط، ويعرف أهل الشر على حقيقتهم؛ فقارن أيها القارئ الكريم بين كتاب الله وبين هذا القرآن الذي يزعمه علماء الشيعة ويتقولونه على الله تعالى، ولا تنخدع بأكاذيبهم حين يجحدون مثل هذا الافتراء، فإنهم يقدسون الكليني والطبرسي أشد تقديس، ولم يظهر منهم أحد يشنع عليهما ويرد ضلالتهم ويبرأ إلى الله من أباطيلهما وجرأتهم على كتاب الله الذي تكفل الله بحفظه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

### سورة الولاية كما هي في فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب للطبرسي:

قال الطبرسي فيما ينقله عن صاحب كتاب ((بستان المذاهب)) بعد ذكر عقائد الشيعة ما معناه: وبعضهم يقولون: إن عثمان أحرق المصاحف، وأتلف السور التي كانت في فضل علي وأهل بيته عليهم السلام، ومنها هذه السورة: ((بسم الله الرحمن الرحيم الله الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويجذرانكم عذاب يوم عظيم (\*) نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم (\*) إن الذين يوفون ورسوله في آيات لهم جنات النعيم (\*) والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون في الجحيم (\*)

(٢٨٤) انظر التعليق الموجود في ص ٢٢ من مختصر التحفة الإثني عشرية وصورة ((سورة الولاية)).

ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يسقون من حميم (\*) إن الله الذي نور السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم (\*) قد مكر الذين من قبلهم برسلمهم فأخذهم بمكرهم إن أخذي شديد أليم (\*) إن الله قد أهلك عاداً واثموداً بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة أفلا تتقون (\*) وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين (\*) ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون (\*) إن الله يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون إن الجحيم مأواهم وإن الله عليم حكيم (\*).

يا أيها الرسول بلغ إنذاري فسوف يعلمون (\*) قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون (\*) مثل الذين يوفون بعهدك إني جزيتهم جنات النعيم (\*) إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم (\*) وإن علياً من المتقين (\*) وإنا لنوفيه حقه يوم الدين (\*) ما نحن عن ظلمه بغافلين (\*) وكرمناه على أهلك أجمعين (\*) فإنه وذريته لصابرون (\*) وإن عدوهم إمام المجرمين (\*) قل للذين كفروا بعدما آمنوا أطلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون (\*).

يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات مبینات فيها من يتوفاه مؤمناً ومن يتولاه من بعدك يظهر (\*) فأعرض عنهم إنهم معرضون (\*) إنا لهم محضرون في يوم لا يغني عنهم شيء ولا هم يرحمون (\*) وإن لهم في جهنم مقاماً لا يعدلون (\*) فسبح باسم ربك وكن من الشاهدين (\*). ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل (\*) فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعناهم إلى يوم يبعثون (\*) فاصبر فسوف يبصرون (\*) ولقد آتينا بك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين (\*) وجعلنا لكم منهم وصياً لعلهم يرجعون (\*) ومن يتول عن أمري فيأني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلاً فلا تسأل عن الناكثين (\*).

يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهداً فخذها وكن من الشاكرين (\*) إن علياً قانتاً بالليل ساجداً يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعدابي يعلمون (\*) سنجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون (\*).

إنا بشرناك بذريته الصالحين (\*) وإنهم لأمرنا لا يخلفون (\*) فعليهم مني صلوات ورحمة أحياءٍ  
وأمواتاً يوم يبعثون (\*) وعلى الذين يبيعون عليهم من بعدك غضبي إنهم قوم سوء خاسرين (\*)  
وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الغرفات آمنون (\*) والحمد لله رب العالمين (\*)  
..((

وبعد أن أورد الطبرسي هذا الهذيان -حاشا ما سرقه من القرآن الكريم- قال: ((قلت: ظاهر  
كلامه أنه أخذها من كتب الشيعة، ولم أجد لها أثراً فيها غير أن الشيخ محمد بن علي بن شهر  
أشوب المازندراني ذكر في كتاب ((المثلب)) على ما حكى عنه أنهم أسقطوا من القرآن تمام سورة  
الولاية، ولعلها هذه السورة (٢٨٥).

فانظر أيها القارئ المسلم إلى مدى ما وصل إليه ضلال هؤلاء؛ حيث جعلوا هذا الكلام  
الفراغ قرآناً أنزله الله، لعن الله من قاله وغضب عليه.

وقد أوردت ((السورة)) -كما يسميها هؤلاء الفجار- بتمامها لكي يتضح المقارنة بينها  
وبين ((سورة الولاية)) التي هي سبع آيات كما يكذبون... فكيف زادت بعد ذلك؟

هذا التساؤل يزول إذا عرفت أيها القارئ الكريم أن الشيعة يزيدون في كل نص لهم فيه غرض  
على منواله إن كان شعراً أو نثراً مع عزوه إلى أصل الكلام، وما الذي يمنعهم من ذلك وقد كذبوا  
على الله تعالى.

واعلم أيها القارئ الكريم أنني تركت مئات الآيات من كتاب الله سطي عليها الطبرسي  
وأوردها على أنها زائدة أو ناقصة أو محرفة.

وأرى أنه يكفي مرارة أنني نقلت من كتابه الرديء ((سورة الولاية)) هذه، بل وأرى أن مجرد  
قراءة هذه السورة يكفي لجلب الغثيان وإثارة الأسى والحزن على ما وصل إليه هؤلاء وهم  
يتظاهرون بعد ذلك بالإسلام.

على أن هذه السورة لا تحتاج في نقدها وتعريتها خوائها وضحالة فكر من اخترعها -قبّحه  
الله- إلى أدنى اهتمام.

وأما الكليني فقد جاء من كتابه ((الكافي)) بمئات الآيات التي زعم أن الله أنزلها هكذا، ونأخذ كمثال الآيات الآتية التي أوردها في ((باب فيه نكت من التنزيل في الولاية)) (٢٨٦).

١- عن أبي بصير عن أبي عبد الله في قول الله عز وجل: ((ومن يطع الله ورسوله في ولاية عليّ وولاية الأئمة من بعده فقد فاز فوزاً عظيماً)) هكذا أنزلت (٢٨٧).

٢- عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (ع) في قوله: ((ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من ذريتهم فنسي)). هكذا والله أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم ((لعن الله الكاذبين)).

٣- عن جابر قال: نزلت جبريل (ع) بهذه الآية على محمد هكذا ((وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله)) (٢٨٩).

٤- عن الرضا (ع) في قول الله عز وجل: (كبر على المشركين بولاية عليّ ما تدعوهم إليه يا محمد ولاية علي)) هكذا في الكتاب مخطوطة (٢٩٠).

٥- عن أبي عبد الله في قول الله تعالى: (سأل سائل بعذاب واقع (\*) للكافرين بولاية عليّ ليس له دافع)) ثم قال: هكذا والله نزل بها جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم

٦- عن أبي جعفر (ع) قال: نزل جبريل (ع) بهذه الآية على محمد صلى الله عليه وسلم هكذا ((فبدل الذين ظلموا آل محمد حقهم قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا آل محمد حقهم رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون)) (٢٩١).

٧- قرأ رجل عند أبي عبد الله (ع): {وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون} (٢٩٢).

قال: ليس هكذا هي، إنما هي والمؤمنون فنحن المأمونون)) (٢٩٣).

(٢٨٦) الكافي ج ١ ص ٣٤١ .

(٢٨٧) الكافي ص ٣٤٢ .

(٢٨٨) الكافي ص ٣٤٤ .

(٢٨٩) الكافي ص ٣٤٥ .

(٢٩٠) الكافي ج ١ ص ٣٥٦ .

(٢٩١) الكافي ص ٣٤١ .

(٢٩٢) سورة التوبة : ١٠٥

(٢٩٣) المصدر السابق .

وهناك آيات أخرى كثيرة على هذا الصنيع تلاعب بها أولئك الفجار تركتها اكتفاءً بالأمثلة السابقة، ولعلمهم حينما وضعوها كانوا يظنون ويتمنون أنها ستقرأ في المساجد والصلوات على حسب تحريفاتهم؛ لأنهم لا يعلمون أن الله تكفل بحفظ كتابه، وأن المسلمين يكتشفون كل محاولة للتلاعب بالقرآن مهما كان خفاؤها بتوفيق الله لهم.

وفد نتج عن هذا التلاعب بالقرآن أن اختلط أمره على عامة الشيعة فلم يوجد عندهم التمييز بين كلام الله في القرآن وما أدخله أولئك الفجار عليه، وهذا ما يرويه الكليني بقوله: ((روى عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان، عن بعض أصحابه، عن أبي الحسن - أي أبو الحسن الثاني علي بن موسى الرضا المتوفى سنة ٢٠٦ قال: قلت له: جعلت فداك، أنا أسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها، ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال: لا، اقرؤوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم)) (٢٩٤).

ينبى عن مدى التشويش الذي أصاب الشيعة من جراء أكاذيب علمائهم عليهم وعلى أئمتهم المعصومين بزعمهم، وتوجيهه لأنظار الشيعة عامة إلى ترقب مجيء من يعلمهم بمصحف آل البيت، مصحف فاطمة الذي يختلف تمام الاختلاف مع المصاحف الموجودة بأيدي المسلمين، وقرآنه يختلف مع القرآن الذي عرفه المسلمون من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم . روى الكليني عن أبي بصير قال: ((دخلت على أبي عبد الله... إلى أن قال أبو عبد الله - جعفر الصادق - كما يزعم الكليني وأبو بصير-: وإن عندنا مصحف فاطمة عليها السلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة (ع)؟

قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد)) (٢٩٥).

هذه الرواية أيضاً من أكاذيب الشيعة، وصدق من قال: ((عدو عاقل خير من صديق جاهل))، إذا قلنا بأن لهم صداقة مع أهل البيت كما يزعمون.

(٢٩٤) الكافي ج ١ ص ٤٥٣ .

(٢٩٥) الكافي في ج ١ ص ١٨٦ .

وكان لابن حزم رحمه الله تعالى مواقف مشهورة وكثيرة مع النصارى، كان يناظرهم ويقيم عليهم الحجج الدامغة أن كتبهم محرفة وفيها نقص وزيادات وضياع لأصولها الصحيحة ولم تعد تصلح للاحتجاج بها فضلاً عن التدين بما فيها، فكان القسس يردون عليه نفس الحجة قائلين إن القرآن كذلك فيه تحريف ونقص، وضاع كثير من أصوله باعتراف المسلمين من الشيعة، فيجيبهم ابن حزم بقوله:

((إن دعوى الشيعة ليست حجة على القرآن ولا على المسلمين، لأن الشيعة غير مسلمين)).  
وقال رحمه الله:

((وأما قولهم في دعوى الروافض تبديل القراءات، فإن الروافض ليسوا من المسلمين، إنما هي فرق حدث أولها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة، وكان مبدؤها إجابة ممن خذله الله تعالى لدعوى من كاد للإسلام، وهي طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر...<sup>(٢٩٦)</sup> إلى آخر كلامه.

ومهما حاول الحاقدون على الإسلام من أي ملة كانوا فإن الله عز وجل تكفل بحفظ كتابه وحمائته، وما كان في حماية الله عز وجل فإنه لا يضيع.

وكم حاول كثير من الفجار التطاول على القرآن فأخزاهم الله. وسيبقى القرآن دستوراً خالداً للمسلمين محفوظاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ولكم يتمنى كل مسلم غيور على دينه أن تمحى مثل هذه الأباطيل والشوائب، وأن تقترب قلوب المسلمين وتتوحد أهدافهم وتصدق نياتهم، ويأتوا إلى حكم القرآن خاضعين مسلمين إن أرادوا النجاة واجتماع كلمة المسلمين وقوة شوكتهم، لولا أن العداوة قد استحكمت، والآراء قد ثبتت في الأذهان بتحريض علماء السوء.

وإن التغيير الكامل لمثل هذه المواقف يتطلب نية صادقة وعزماً قوياً على الالتفاف حول الأساس الذي بني عليه الإسلام وهو كتاب الله وسنة نبيه لرفع كلمة المسلمين مما هم فيه من التفرق والخذلان، والعودة بهم إلى سابق مجدهم وعزهم إذا أراد الله بهم الخير والخروج من أيدي

الطغاة الذين تكالبوا عليهم من الشرق والغرب، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (٢٩٧).

## ٦- موقفهم من الصحابة:

وأما بالنسبة لموقف الشيعة من الصحابة رضي الله عنهم. فقد هلكوا فيهم؛ إذ بالغوا في العداة لهم وكفروهم، وحكموا بردة أختيارهم -حاشاهم من ذلك- بل وجعلوا من عبادتهم لله التقرب إلى الله بلعنهم صباحاً ومساءً وأثبتوا من الأجر- بافترائهم على الله - ما لا يعد ولا يحصى لمن سبهم صباحاً ومساءً واختلقوا عليهم أكاذيب وافتراءات لا يصدّقها من له أدنى مسكة من عقل.

وبلغ من حقدهم على خيرة الصحابة أن كرهوا لفظة العشرة التي تذكرهم بالعشرة المبشرين بالجنة، وهم في موقفهم هذا قد خرجوا عن منهج الله ورسوله حيال المؤمنين عموماً والصحابة خصوصاً، الذين أثنى الله عليهم وشهد لهم بكل خير فردوا شهادة الله فيهم، وتعبدوه بسبّ أوليائه وتكفيرهم، وحتى لم يشكروا لهم إحسانهم في إيصال الدين إليهم وإخراجهم من الوثنية والمجوسية إلى نور الإسلام، وتناسوا جهادهم في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وأخرجوهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

ولا يخلو كتاب من كتب الشيعة - على كثرتها وبطلانها- من سب وشتم للخلفاء الراشدين وسائر الصحابة إلا من استثنوهم.

وقد عبّروا عن أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة بصنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيها وابنتيهما، وأحياناً يعبّرون عن أبي بكر وعمر بالجبت والطاغوت، وأحياناً بكلمة الأول والثاني وقد يضيفون، والثالث يقصدون عثمان رضي الله عنه. وفيما يلي نذكر بعض النصوص من كتبهم تجاه الصحابة ليكون أوثق للحجة عليهم وأدعى إلى الإنصاف.

وأول ما نذكره هو تطاولهم على الصحابة وتفضيلهم لأنفسهم عليهم.

فقد أورد الطوسي عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سيأتي قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم. قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن كنا معك بيدر وأحد وحين، ونزل فينا القرآن؟ فقال: إنكم لو تحملوا ما حملوا، لم تصبروا صبرهم)) (٢٩٨).

أي أن حثالة الناس الذين سيكون على المهدي، ويصيحون في كل يوم ليخرج؛ أجر الواحد منهم مثل أجر خمسين ممن قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم: ((لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)).

وأما الكليني فإنه لم يتورع عن تفسير القرآن على حسب هواه في جرأته المعروفة، فقال معرضاً بأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم عند شرحه لقول الله تعالى: {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ} (٢٩٩) : ((عن زرارة، عن أبي جعفر في قوله تعالى: {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ} قال: يا زرارة، أو لم تركب هذه الأمة بعد نبيها طبقاً عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان)) (٣٠٠).

((وعن أبي عبد الله في قول الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدادوا كفرًا لم يكن الله ليغفر لهم} (٣٠١) .

قال: نزلت في فلان وفلان وفلان آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر وكفروا حين عرضت عليهم الولاية حين قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((من كنت مولاه فعلي مولاه))، ثم آمنوا بالبيعة لأمر المؤمنين (ع) ثم كفروا حيث مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقروا بالبيعة، ثم ازدادوا كفرًا بأخذهم من بايعه البيعة لهم لم يبق فيهم من الإيمان شيء (٣٠٢).

وعن أبي عبد الله في قوله تعالى: {وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ} (٣٠٣) ، قال: ذلك حمزة وجعفر وعبيدة وسلمان وأبو ذر و... (٣٠٤) بن الأسود وعمار،

(٢٩٨) كتاب الغيبة ص ٢٧٥ .

(٢٩٩) سورة الانشقاق : ١٩ .

(٣٠٠) الكافي ج ١ ص ٣٤٣ .

(٣٠١) سورة النساء : ١٣٧ .

(٣٠٢) الكافي ص ٣٤٨ .

(٣٠٣) سورة الحج : ٢٤ .

(٣٠٤) الاسم ممسوح في النسخة المصورة عندي . ولعله المقداد

هدوا إلى أمير المؤمنين (ع)، وقوله: { حَبَّ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانُ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ } (٣٠٥) يعني أمير المؤمنين ، و { وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ } (٣٠٦). الأول والثاني والثالث)) (٣٠٧).

ومن أحاديث الكليني وذمه للصحابة رضوان الله عليهم ما يرويه عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، في قوله عز وجل: { يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا } (٣٠٨)، قال لما نزلت: { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } (٣٠٩) اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟ فقال بعضهم: إنا كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرهما، وإن آمننا فإن هذا ذل حين يسلط علينا ابن أبي طالب.

فقالوا قد علمنا أن محمداً صادق فيما يقول، ولكننا نتولاه ولا نطيعه علينا فيما أمرنا فقال: فنزلت هذه الآية: { يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ } يعرفون يعني ولاية علي بن أبي طالب وأكثرهم الكافرون بالولاية (٣١٠).

وقال في ذمه للخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم: ((والجبت والطاغوت فلان وفلان وفلان والعبادة طاعة الناس لهم)) (٣١١).

ويبلغ الحقد والكراهة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يتهمها الكليني في دينها وفي عرضها وعفتها، حين يفتعل الرواية الآتية -على من اخترعها لعنة الله- وهي طويلة نقتصر منها على هذه الكلمات:

- ١- قال الحسن لأخيه الحسين: ((واعلم أنه سيصيبني من الحميراء ما يعلم الناس من صنيعها وعداوتها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وعداوتها لنا أهل البيت)).
- ٢- قال لها الحسين بن علي: ((قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخلت بيته من لا يجب رسول الله صلى الله عليه وسلم قربه)).

(٣٠٥) سورة الحجرات : ٧ .

(٣٠٦) سورة الحجرات : ٧ .

(٣٠٧) الكافي ج ١ ص ٣٥٣ .

(٣٠٨) سورة النحل : ٨٣ .

(٣٠٩) سورة المائدة : ٥٥ .

(٣١٠) الكافي ج ١ ص ٣٥٤ .

(٣١١) الكافي ج ١ ص ٣٥٦ .

٣- قال لها الحسين: ((وقد أدخلت أنت بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال بغير إذنه... إلى أن قال: ولعمري لقد ضربت أنت لأبيك وفاروقه عند إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم المعاول)).

٤- ((ولعمري لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرههما منه الأذى، وما رعيًا من حقه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم)) (٣١٢).  
إلى آخر ما أورده من كلام السفهاء والسفلة حاشا الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية أن يتلفظوا به، بل ولا يتلفظ به من هو أقل منهم إيماناً، فكيف بهم؟؟؟ ولكنها الغفلة والطيش الذي امتازت به هذه الطائفة حينما قادهم علماء السوء منهم إلى بغض الصحابة والحكم عليهم بالردة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الذين استحلوا الكذب على أئمتهم بما ملأوا به كتبهم من روايات هي من مخترعاتهم، والتي هي أيضاً امتداد لأفكار ابن سبأ الضال.

وأما شرف الدين العاملي في مراجعاته التي زعم فيها أنه منصف يقول الحق، فقد جاء في كتابه هذا بالطامات والدواهي الغليظة بما افترى من الكلام والوقيع في الصحابة عموماً، والخلفاء الثلاثة خصوصاً بطرق غامضة وأساليب ملتوية.

فقد عرّض بأبي بكر وعمر أنهما خطبا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة فلم يزوجها من أحد منهما، وزوجها من علي فحسداه على ذلك وكاداه بكل وسيلة فلم ينجحاً. فقال العاملي في ذلك مع الشتم لأبي بكر وعمر رضوان الله عليهما: ((وقد تضافرت الروايات أن أهل النفاق والحسد والتنافس لما علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيزوج علياً من بضعته الزهراء وهي عديلة مريم وسيدة نساء أهل الجنة.

حسدوه لذلك وعظم عليهم الأمر؛ لا سيما بعد أن خطبها من خطبها فلم يفلح.  
وقالوا: إن هذه ميزة يظهر بها فضل علي، فلا يلحقه بعدها لاحق، ولا يطمع في إدراكه طامع فأجلبوا بما لديهم من إرجاف، وعملوا لذلك أعمالاً، فبعثوا نساءهم إلى سيدة نساء العالمين ينفرنّها، فكان مما قلن لها: إنه فقير ليس له شيء لكنها عليها السلام لم يخف عليها

مكرهن وسوء مقاصد رجالهن، ومع ذلك لم تبد لهن شيئاً يكرهنه حتى تم ما أرادته الله عز وجل ورسوله لها<sup>(٣١٣)</sup>.

ولقد نسي أن الرسول صلى الله عليه وسلم زوج عثمان على ابنتيه، وتمنى أن لو كانت له ثالثة فيزوجه أيضاً. وأن أبا بكر وعمر لم يصنعا هذا الصنيع ولا شيئاً منه تجاهها ولا تأمرا عليه. وقد تناقض العاملي فإنه ذكر أيضاً ما يدل على تبرم فاطمة بزواجها من علي، فقد افترى على أبي هريرة، قال: قالت فاطمة: يا رسول الله زوجتني من علي وهو فقير لا مال له؟

قال صلى الله عليه وسلم: يا فاطمة أما ترضين أن الله عز وجل اطلع إلى الأرض فاختر رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك<sup>(٣١٤)</sup>. وعن معقل بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد فاطمة في مرض أصابها على عهده فقال لها: كيف تجدينك؟ قالت: والله لقد اشتد حزني واشتدت فاقتي وطال سقمي. قال صلى الله عليه وسلم: أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي إسلاماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حِلماً<sup>(٣١٥)</sup> ثم قال العاملي: ((والأخبار في ذلك متضافرة لا تحتملها مراجعاتنا))<sup>(٣١٦)</sup>.

وقد طعن في إيمان أبي بكر وعمر وطاعتهما للرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك عثمان رضي الله عنه، وكل من أطاعهم فزعم أنهم كانوا لا يمثلون لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤولون قوله لصالحهم دون أي اكتراث بمخالفته... إلى أن قال: ((أما الخلفاء الثلاثة وأوليائهم فقد تأولوا النص عليه بالخلافة للأسباب التي قدمناها))<sup>(٣١٧)</sup> وزعم أن علياً كان دائم الشكوى من قريش، ومن أبي بكر وعمر، فقال: ((وكم احتج أيام خلافته متظلماً، وبث شكواه على المنبر متألماً))<sup>(٣١٨)</sup>.

وأنه دائم الدعاء عليهم بقوله: ((اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي)). ولقد نسي أن علياً بن أبي طالب كان

---

(٣١٣) المرجعات ص ٢٥٥ .  
(٣١٤) المرجعات ص ٢٥٦ .  
(٣١٥) المرجعات ص ٢٥٧ .  
(٣١٦) المرجعات ص ٢٥٧ .  
(٣١٧) المرجعات ص ٣٠٠ .  
(٣١٨) المرجعات ص ٣٣٧ .

لا يرى الدنيا تساوي شيئاً عنده فكيف بالخلافة التي أخذوها وهو كاره لها، لولا ما كان يؤمله من استقامة الناس على الدين، والقضاء على الفتن.

ومن الأمور التي لم يتورع عنها العاملي زعمه أن الحسن بن عليّ جاء إلى أبي بكر وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: انزل عن مجلس أبي، ووقع للحسين مثل ذلك مع عمر وهو على المنبر أيضاً (٣١٩).

وهناك افتراءات كثيرة وتشويه للحقائق وسباب لخيرة الناس بعد محمد صلى الله عليه وسلم، لم يجد العاملي أي حرج في ذكر هذه المواقف التي لا تمت إلى الإسلام بأدنى صلة.

وله في أم المؤمنين عائشة من التعريض بها والسب والشتم—الذي لا يليق إلا به ومن يعتقد معتقده— ما لا أستطيع ذكره هنا لطوله، ولعدم صبر المؤمن على النظر فيه وقراءته.

فقد ذكر في وسط السب والتعريض بها أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيباً على منبره فأشار نحو مسكنها قائلاً: ((ههنا الفتنة، ههنا الفتنة، ههنا الفتنة حيث يطلع قرن الشيطان)) (٣٢٠).

ولقد أذهب الحقد والكراهية لأم المؤمنين عقله فادّعى أن قرن الشيطان يطلع من بيت النبي صلى الله عليه وسلم من حجرة عائشة التي دفن فيها، وأن الفتن والشور كلها تنبعث منه، وحاشا أن يقع، فانظر إلى سفه هؤلاء الفجار... ثم أسند الحديث إلى البخاري ومسلم متجاهلاً معنى الحديث المقصود منه، مؤكداً أنه وارد في عائشة، وفي ذم حجرتها التي حوت قبر الرسول خير البشر صلى الله عليه وسلم واختلق العاملي حديثاً أورده عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه: ((ادعوا لي أخي. فجاء أبو بكر فأعرض عنه. ثم قال: ادعوا لي أخي. فجاء عثمان فأعرض عنه، ثم دعي له علي فستره بثوبه وأكب عليه، فلما خرج من عنده قيل له: ما قال لك؟ قال علمني ألف باب، كل باب يفتح له ألف باب)) (٣٢١)

ويذكر أيضاً أنه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كاد للإسلام كثير من العرب والمنافقين، والذين يريدون للإسلام شراً، وهؤلاء في جانب، وفي جانب آخر كان فيه كثير من

(٣١٩) المرجعات ص ٣٤٥ .  
(٣٢٠) المرجعات ص ٢٨٤ .  
(٣٢١) المرجعات ص ٢٨٢ .

العناصر الجياشة بكل حنق من محمد وآله وأصحابه، تريد انتهاز الفرصة، وأخذ الحكم قبل أن يستتب الإسلام بقوته ونظامه، ويقصد بهذا أبا بكر وعمر وغيرهما من الصحابة.

ثم قال: ((فوقف أمير المؤمنين بين هذين الخطرين، فكان من الطبيعي له أن يقدم حقه قرباناً لحياة الإسلام، وإيثاراً للصالح العام ... فانقطاع ذلك النزاع، وارتفاع الخلاف بينه وبين أبي بكر لم يكن إلا فرقاً على بيضة الدين)) (٣٢٢).

وينقل عن عمر رضي الله عن أنه قال لابن عباس في كلام دار بينهما: ((إن قريشاً كرهت أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فتجحفون على الناس)) (٣٢٣).

وهذه الكذبة مثل الكذبة التي تقول في كتبهم عن الباقر والصادق: ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيهم وهم عذاب أليم: من ادعى إمامة ليست له، ومن جحد إماماً من عند الله، ومن زعم أن أبا بكر وعمر لهما نصيب في الإسلام)) (٣٢٤).

أو الكذبة الأخرى في قولهم: ((ولله وراء هذا العالم سبعون ألف عالم في كل عالم سبعون ألف أمة، كل أمة أكثر من الجن والإنس، لا هم لهم إلا اللعن على أبي بكر وعمر وعثمان)) (٣٢٥).

وللشيعة دعاء يسمونه ((دعاء صنمي قريش)) أبي بكر وعمر، ونصّه: ((اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاقوتيها وابنتيهما...)) وهذا الدعاء انتظم الخليفة الراشد أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة رضوان الله على جميعهم. وقد أشرنا إلى عدائهم للخلفاء في درس الرجعة والمهدية.

وعلى العموم فإن كتبهم مملوءة بالسب والطعن في الصحابة، لا يستثنون إلا خمسة منهم، وقيل سبعة عشر من مجموع ذلك العدد الضخم من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

وللطبرسي في كتابه ((فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)) من الغمز واللمز والأكاذيب على آل البيت ما يدل دلالة واضحة على بعد هؤلاء العتاة عن الدين الإسلامي الحنيف، وجهلهم بحق الصحابة، وأنهم بعيدون عن هدي الإسلام كل البعد، وهكذا فعل

(٣٢٢) المرجعات ص ٢٩٤ .

(٣٢٣) المرجعات ص ٢٩٩ .

(٣٢٤) انظر الوشيعة ص ٢١ .

(٣٢٥) المصدر السابق ص ٢٢ .

الطوسي في كتابه ((الغيبة))، والخميني في كتبه ردد تلك الأفكار، وبالغ في زخرف القول مثل كتابه ((ولاية الفقيه)) وغيره من كتبه ووصاياه.

وإذا كنت قد وعيت أيها القارئ الكريم كل ما تقدم، ورأيت مواقف الشيعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجاته وأهل بيته، بل والقرآن الكريم وعامة أهل السنة، ورأيت تلك العداوة الشديدة، وتلك المواقف التي يئن لها قلب كل مسلم... فإن مما ينبغي أن يطأطأ له الشيعة رؤوسهم خجلاً أن تكون تلك الموقف هي عقيدتهم نحو دين الإسلام وأتباعه وهم يدعون أنهم من أتباعه

وأن يذكر المنصفون من كتاب الشرق والغرب ما يرفع رأس المسلم فخراً واعتزازاً بدينه وبأسلافه، ومن بيانهم لحقائق الإسلام والخلفاء ودورهم المشرق، ودور الصحابة في إسعاد البشرية بوصول الخير إليهم، ونقلهم بكل أمانة ما سعه من الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف نشروا الإسلام، لا لشيء إلا لإرضاء الله تعالى، وقياماً بواجب الدعوة نحو البشرية جمعاء، مع ما كانوا فيه من الفاقة والزهد والترفع عما في أيدي أهل البلاد المفتوحة، وقيامهم بذلك العدل الذي أدهش أهل كل مكان وطئته أقدامهم الكريمة فدخلوا في دين الله أفواجاً راغبين مغتبطين لهذا الدين، وصاروا فيما بعد ذلك من جنود الإسلام الميامين.

### شهادة المنصفين:

والآن اسمع ما يقوله المنصفون في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم – وهناك عشرات الأمثلة تركتها لئلا يطول البحث، ويمكنك الرجوع إليها بسهولة ويسر (٣٢٦)

يقول الكاتب الإنجليزي المشهور كاريل في إعجابه بالقرآن الكريم:

((إن القرآن كتاب لا ريب فيه، وإن الإحساسات الصادقة الشريفة والنيات الكريمة تظهر لي فضل القرآن، الفضل الذي هو أول وآخر فضل وجد في كتاب نتجت عنه جميع الفضائل على اختلافها، بل هو الكتاب الذي يقال عنه في الختام: (( {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} (٣٢٧) لكثرة ما فيه من الفضائل المتعددة)) (٣٢٨).

(٣٢٦) ارجع إلى كتاب (( الإسلام والرسول في نظر مناصفي الشرق والغرب القسم الثاني لترى ما يزيدك إيماناً واعتزازاً بدينك .  
(٣٢٧) سورة المطففين : ٢٦ .

ويقول الفريد غليوم أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة لندن:

((علينا من المبدأ أن نقرر أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان واحداً من أعلام التاريخ العظماء... إلى أن يقول: إن إخلاص خلفائه لدعوته وإيمانهم بها وفهمهم لها قد جعلهم يعملون على تعميم الدعوة الرحيمة))<sup>(٣٢٩)</sup>.

وقالت الدكتورة لورافيتشا فاليري الكاتبة الإيطالية في كتابها ((محاسن الإسلام)):

((أما الخلفاء الذين خلفوا محمداً صلى الله عليه وسلم في حكم الدولة الإسلامية الذين كانوا تراجم ضميره، فقد صاروا على سننه التي سننها لهم، وحملوا راية الإسلام إلى قلب القارة الآسيوية من جهة، وإلى أمواج المحيط الأطلسي من جهة أخرى))<sup>(٣٣٠)</sup>.

ويقول الدكتور م. أهنو قنصل اليابان في مصر، معجباً بالقرآن وما فيه من الهدى والخير:

((إن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إذا تمسكوا بما جاء في القرآن الكريم من تعاليم فإن هذا يكون سبباً في تقدمهم في نواحي الحياة الاجتماعية والأدبية والدينية والسياسية؛ لأن القرآن قد جمع المدنيات قديمها، وحديثها، وهو كتاب جامع شامل))<sup>(٣٣١)</sup>.

وقال المسيو جوته:

((كلما قلبنا النظر في القرآن الكريم تملكنا الروعة والوجل، لكننا سرعان ما نشعر نحوه بجاذبية تنتهي بنا حتماً إلى الإكبار، فهو بين الكتب المقدسة نموذج عال رفيع، ولسوف يحيا تأثيره في النفوس في جميع الأجيال والعصور))<sup>(٣٣٢)</sup>.

ويقول الأستاذ شيرل عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا في مؤتمر الحقوق عام ١٩٣٧م:

((إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد صلى الله عليه وسلم إليها، إذ إنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة))<sup>(٣٣٣)</sup>.

(٣٢٨) المصدر السابق ص ١٣٢ نقلاً عن كتاب ((الأبطال)).

(٣٢٩) المصدر السابق ص ١٤٣.

(٣٣٠) المصدر السابق ص ١٥٤.

(٣٣١) المصدر السابق ص ١٧٠.

(٣٣٢) المصدر السابق ص ١٧١.

(٣٣٣) المصدر السابق ص ١٧٣.

وقال الأستاذ خليل إسكندر قبرصي في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه بعده: ((هذا الذي امتدت أيدي خلفائه إلى أقصى حدود أوروبا، فأناروا بحسن عدلهم وأمانتهم، وجميل تقواهم ظلما، ومزقوا بنور الفرقان دياجر جهالتها))<sup>(٣٣٤)</sup>.

وهناك نصوص كثيرة جداً من هؤلاء الذين يجبون صفة الإنصاف فقرأها وقارن بين مواقف هؤلاء ومواقف الشيعة لترى الغبن الفاحش للمسلمين بانتساب هؤلاء إليهم، مع بقائهم على تلك الأقوال والمعتقدات التي قدمنا ذكرها عن خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وزوجاته وأهل بيته وعامة المسلمين وكتابهم المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي الكتاب والسنة والإجماع وأقوال أهل البيت وسائر علماء الإسلام ما يغني عن الاستشهاد بكلام غير المسلمين لولا أني أردت إظهار خزي الرافضة.

## ٧- قولهم بالبداء على الله:

البداء: معناه الظهور بعد الخفاء، كما في قوله تعالى: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} <sup>(٣٣٥)</sup> أي ظهر.

ومعناه أيضاً: حدوث رأي جديد لم يكن من قبل، كما في قوله تعالى: {ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنُنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ} <sup>(٣٣٦)</sup>.

وله معان أخرى كلها لا تخرج عن مفهوم تجدد العلم بتجدد الأحداث.

وهذه المعاني تستلزم سبق الجهل وحدث العلم تبعاً لحدث المستجدات لقصور العقول عن إدراك المغيبات.

وإذا أطلقت هذه المعاني على الإنسان فلا محذور فيها لتحققها فيه، وأما إذا أطلقت على الله عز وجل فلا شك أنها كفر تخرج صاحبها من الملة، ذلك أن الله تعالى عالم الغيب والشهادة، يعلم السر وأخفى، ويعلم ما ظهر وما سيظهر على حد سواء، ومحال عليه عز وجل حدوث الجهل بالشيء فتبدو له البداءات فيه.

<sup>(٣٣٤)</sup> المصدر السابق ص ١٨٠ .

<sup>(٣٣٥)</sup> سورة الزمر : ٤٧ .

<sup>(٣٣٦)</sup> سورة يوسف : ٣٥ .

وهذه العقيدة معلومة من الدين بالضرورة أنها باطلة لدى كافة المسلمين، ولا يتصور اتصاف الله بها إلا من لا معرفة له بربه، واستحوذ عليه الجهل والغباء. فما هو موقف الشيعة من هذه القضية؟.

الواقع أن كل كتب الشيعة تؤكد وجود اعتقاد هذه الفكرة عن الله، بل ووصل بهم الغلو إلى حد أنهم يعتبرونها من لوازم الإيمان، كما سيأتي ذكر النصوص عنهم، إلا أن الأشعري يذكر عنهم أنهم اختلفوا في القول بها إلى ثلاث مقالات:

\* فرقة منها يقولون: إن الله تبدو له البداوات، وإنه يريد أن يفعل الشيء في وقت من الأوقات، ثم لا يحدثه بسبب ما يحدث له من البداء، وفسروا النسخ الحاصل في بعض الأحكام على أنه نتيجة لما بدا لله فيها... تعالى الله عن قولهم.

\* وفرقة أخرى فرقوا بين أن يكون الأمر قد اطلع عليه العباد أم لا، فما اطلعوا عليه لا يجوز فيه البداء، وما لم يطلعوا عليه - بل لا يزال في علم الله - فجائر عليه البداء فيه.

\* وذهب قسم منهم إلى أنه لا يجوز على الله البداء بأي حال.

هذا ما قرره الأشعري<sup>(٣٣٧)</sup>، ولكن كما قدمنا فإنه بالرجوع إلى مصادر الشيعة الإمامية الرافضة تجد أنهم متمسكون بهذا المبدأ ويقولون أن الله تبدو عليه البداوات، ويذكرون فيه فضائل من يعتقد على الله البداء أكاذيب كثيرة منكرة دون ذكر خلاف بينهم، وقد يصدق كلام الأشعري على بعض المعتدلين ممن مال إلى التشيع، ولم يغلو فيه غلو الإمامية.

### أدلتهم على القول بالبداء:

تمسك الرافضة بعقيدة البداء تمسكاً شديداً، ولهذا فإن أدلته في كتبهم لا تكاد تحصر. ومن ذلك ما ذكره الكليني في الكافي، حيث عقد باباً كاملاً في البداء سماه ((باب البداء))، وأتى فيه بروايات كثيرة توضح بجلاء مقدار تعلقهم بعقيدة البداء، منها:

\* عن زرارة بن أعين عن أحدهما عليهما السلام قال: ((ما عبد الله بشيء مثل البداء)).

والحقيقة ما عبد الله بشيء مثل التوحيد له عز وجل والانقياد التام، وأما البداء فهو عقيدة يهودية، من قال بها فقد وصف ربه بالنقص والجهل والتخبط في الاعتقاد.

\* وفي رواية ابن عمير عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام: ((ما عَظَّم الله بمثل البداء)) (٣٣٨).

\* وعن أبي عبد الله أنه قال: ((لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه)) (٣٣٩).

وعن مرزام بن حكيم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ((ما تنبأ نبي قط حتى يقر لله بخمس: بالبداء والمشية والسجود والعبودية والطاعة)) (٣٤٠).

وهذه لا يظهر أنها خمس؛ فالسجود والعبودية والطاعة كلمات تغني كل واحد منها عن الأخرى.

وعن الريان بن الصلت قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: ((ما بعث الله نبياً إلا بتحريم الخمر، وأن يقر لله بالبداء)) (٣٤١).

وهذا غير متيقن فإن شرائع الأنبياء تختلف في الفروع، ولم تنفق دعوة الأنبياء على التأكيد إلا في الدعوة إلى توحيد الله وعبادته.

ومن تمجدهم لمن يقول بالبداء ما رواه الكليني عن جعفر أنه قال: ((يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمة واحدة، عليه سيما الأنبياء، وهيئة الملوك)) (٣٤٢).

وعن أبي عبد الله قال: ((إن عبد المطلب أول من قال بالبداء، ويبعث يوم القيامة أمة واحدة، عليه بهاء الملوك وسيما الأنبياء)) (٣٤٣).

والمعروف -حسبما يذكر علماء الفرق- أن أول من قال بالبداء في الإسلام وأظهره هو المختار بن أبي عبيد، وأن عبد المطلب لم يدخل الإسلام.

(٣٣٨) الكافي ج ١ ص ١١١ .

(٣٣٩) الكافي ج ١ ص ١١٥ .

(٣٤٠) الكافي ج ١ ص ١١٥ .

(٣٤١) الكافي ج ١ ص ١١٥ .

(٣٤٢) المصدر السابق ص ٣٧١ ، أبواب التاريخ ؛ مولد النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣٤٣) المصدر السابق ص ٣٧١ ، أبواب التاريخ ؛ مولد النبي صلى الله عليه وسلم .

ويبدو القول بالبداء واضحاً فيما نقل الكليني عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ((يا ثابت، إن الله وقَّت هذا الأمر -أي خروج المهدي- في السبعين، فلما قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض فأخّره إلى أربعين ومائة، فحشناكم فأذعتم الحديث، فكشفتم قناع الستر ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا، {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} (٣٤٤)

قال أبو حمزة: فحدثت بذلك أبا عبد الله عليه السلام فقال: قد كان ذلك (٣٤٥).

ومفهوم هذا النص أن الله تعالى حينما وقَّت خروج المهدي في أربعين ما كان يعلم عن مصير الحسين، فلما قتل الحسين غضب الله تعالى على الناس فأخر خروج المهدي جزاءً لقتله وانتقاماً من الناس.

ومعلوم أن نسبة الجهل إلى الله تعالى كفر وردة كما تقدم، فإن الله تعالى قد كتب على الحسين كل ما هو لاقية قبل أن يخلق السموات والأرض، واشتداد غضب الله تعالى حين قتل الحسين وبتلك الصورة المفاجئة يدل على أنه لم يكن يعلم ذلك، وإلا لاشتد الغضب قبل قتله، ولأخّر ظهور المهدي قبل توقيته في السبعين.

وبعد أن ذكر الطوسي جملة من أخبار البداء قال:

((فالوجه في هذه الأخبار أن نقول إن صحت: إنه لا يمتنع أن يكون الله تعالى قد وقَّت هذا الأمر في الأوقات التي ذكرت، فلما تجدد ما تجدد تغيرت المصلحة واقتضت تأخيره إلى وقت آخر، وكذلك فيما بعد ويكون الوقت الأول، وكل وقت لا يجوز أن يؤخر مشروطاً بألا يتجدد ما تقتضي المصلحة تأخيره إلى أن يجيء الوقت الذي لا يغيره شيء فيكون محتوماً)) (٣٤٦).

وهذا هو إثبات الجهل بعينه لتوقف الأمور على ظهور المستجدات والمصلحة فيها.

**أول من قال بالبداء على الله تعالى:**

(٣٤٤) سورة الرعد: ٣٩.

(٣٤٥) الكافي ج ١ ص ٣٠٠.

(٣٤٦) كتاب الغيبة ص ٢٦٣، وانظر فرق الشيعة للنوبختي ص ٨٥ في نقله كلام سليمان بن جرير الشيعي في ذمه القول بالبداء وأنه حيلة من حيل الروافض

يبدو أن أول ادعى البداء على الله تعالى هم اليهود، قالوا: إن الله تعالى خلق الخلق، ولم يكن يعلم هل يكون فيهم خير أو شر، وهل تكون أفعالهم حسنة أم قبيحة، فقد جاء في سفر التكوين في الإصحاح السادس من التوراة ما نصه:

((ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه جداً فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته لأني حزنت أني عملتهم))<sup>(٣٤٧)</sup>.

وهذا النص وأمثاله يفيد صراحة أن الله قد بدت له أمور لم يكن يعلمها، فحزن حزناً شديداً حين رأى معاصي البشر.

فالبداء عقيدة يهودية مدوّنة في كتبهم المحرفة، ونفس هذه الأفكار مدونة عند الشيعة، فالكليني - كما رأينا فيما سبق - يروي عن الأئمة فضائل كثيرة لاعتقاد هذا الكفر، حتى وإن ذكر بعض الروايات التي تفيد عدم حصول جهل الله بالأمور قبل ظهورها لكنها لم تكن صريحة مثل النصوص الأخرى التي سبق ذكرها عنهم.

ويذكر الكثير من العلماء أن أشد من تزعم القول بالبداء في الإسلام هو المختار بن أبي عبيد الثقفي تغطية لكذبه، قال البغدادي مبيناً سبب ادعاء المختار القول بالبداء على الله تعالى:

((وأما سبب قوله بجواز البداء على الله عز وجل فهو أن إبراهيم بن الأشتر لما بلغه أن المختار قد تكهّن وادعى نزول الوحي عليه قعد عن نصرته واستولى لنفسه على بلاد الجزيرة، وعلم مصعب بن الزبير أن إبراهيم بن الأشتر لا ينصر المختار فطمع عند ذلك في قهر المختار، ولحق به عبيد الله بن الحر الجعفي ومحمد بن الأشعث الكندي وأكثر سادات الكوفة غيظاً منهم على المختار لاستيلائه على أموالهم وعبيدهم، وأطمعوا مصعباً في أخذ الكوفة قهراً.

فخرج مصعب من البصرة في سبعة آلاف رجل من عنده سوى من انضم إليه من سادات الكوفة، وجعل على مقدمته المهلب بن أبي صفرة مع أتباعه من الأزد، وجعل أعنة الخيل إلى عبيد الله بن معمر التيمي، وجعل الأحنف ابن قيس على خيل تميم...

(٣٤٧) الكتاب المقدس ، الإصحاح السادس ، سفر التكوين .

فلما انتهى خبرهم إلى المختار أخرج صاحبه أحمد بن شميظ إلى قتل مصعب في ثلاثة آلاف رجل من نخبة عسكره، وأخبرهم بأن الظفر يكون لهم، وزعم أن الوحي قد نزل عليه بذلك، فالتقى الجيشان بالمدائن، وانهمز أصحاب المختار وقتل أميرهم ابن شميظ وأكثر قواد المختار، ورجع فلولهم إلى المختار وقالوا له: ألم تعدنا بالنصر على عدونا وقد انهزمنا؟

فقال: إن الله تعالى كان قد وعدني بذلك، لكنه بدا له، واستدل على ذلك بقوله عزّ وجلّ: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} (٣٤٨). فهذا كان سبب قول الكيسانية بالبداء)) (٣٤٩).

ويقول الشهرستاني في تقريره لهذه القضية: ((وإنما ضار المختار إلى اختيار القول بالبداء لأنه كان يدعي علم ما يحدث من الأحوال، إما بوحى يوحى إليه، وإما برسالة من قبل الإمام، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة، فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه، وإن لم يوافق قال: قد بدا لربكم. وكان لا يفرق بين النسخ والبداء. قال: إذا جاز النسخ في الأحكام جاز البداء في الأخبار)) (٣٥٠).

ومعلوم عند كافة أهل العلم أن النسخ ليس معناه البداء على الله تعالى، وإنما النسخ رحمة من الله تعالى وتدرّج في الأحكام. ولكن الشيعة أيضاً هم على هذا الرأي، وهو عدم التفريق بين النسخ والبداء، وفي هذا يقول الطوسي.

((وعلى هذا يتأول أيضاً ما روي من أخبارنا المتضمنة للبداء ويبيّن أن معناها النسخ على ما يريده جميع أهل العدل فيما يجوز فيه النسخ، أو تغير شروطها إن كان طريقها الخبر عن الكائنات (٣٥١).

(٣٤٨) الرعد: ٣٩  
(٣٤٩) الفرق بين الفرق ص ٥٠ - ٥٢ .  
(٣٥٠) الملل والنحل ج ١ ص ١٤٩ .  
(٣٥١) كتاب الغيبة ص ٢٦٤ .

وعلى كل حال فإنه ما من مسلم سليم الفطرة، لم تـدنس فطرته بشبهات المبطلين وأقوايل الضالين إلا وهو يعتقد أن الله تعالى لا يلحقه نقص في علمه المحيط بكل شيء، وأن ادعاء البداء على الله معناه نسبة الجهل إليه جل وعلا، وهذا كفر صريح.

ولقد أصبح الشيعة باعقادهم هذا - كما يقول العلماء- ((عاراً على بني آدم وضحكة يسخر منهم كل عاقل بسبب ما اعتقدوه من مثل هذه الضلالات)) (٣٥٢).

وبالرجوع إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية وإلى أقوال أهل العلم، وإلى فطرة كل شخص نجد أن كل ذلك يضحك ما ذهب إليه علماء الشيعة ويطل القول بالبداء، وأن الذين يطلقون ذلك على الله ما عرفوه وما قدروه حق قدره... ففي القرآن الكريم آيات تكذب كل زعم يقول بالبداء على الله عز وجل، ومن ذلك:

١- قوله تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٣٥٣)

٢- قوله تعالى: {يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى} (٣٥٤).

٣- قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} (٣٥٥).

وفي السنة أحاديث كثيرة تدل على ما دلت عليه تلك الآيات، ومعلوم أن هذه الفكرة لم ترد على أذهان السلف الأوائل؛ بل إنهم كانوا يعتبرونها من وساوس الشيطان ويستعيذون بالله منها، فإن الله قد أحاط بكل شيء علماً، والله لم يثبتها لنفسه والأنبياء لم يقرؤا الله بها - كما زعم الشيعة- وإنما أقر بها اليهود، وروجها عبد الله بن سبأ في الإسلام. وجددها المختار، وتلقفها عنهم الحاقدون على الإسلام الذين يطمعون في التلاعب بمفاهيم المسلمين وتشويه معتقداتهم، وليكون ذلك أيضاً غطاءً لما يريدونه من مخططات لهدم الإسلام.

(٣٥٢) انظر: كتاب (( صَبَّ الْعَذَابِ عَلَى مَنْ سَبَّ الْأَصْحَابِ )) ضمن رسالة علمية تحقيق ابن أبي شعيبة، وانظر مختصر منهاج السنة ١/ ١٧٣.  
(٣٥٣) الأنعام: ٥٩  
(٣٥٤) طه: ٥٢  
(٣٥٥) الحشر: ٢٢

ومما لا يتطرق إليه الشك أن الشيعة - وهم يستحلون الكذب على الله وعلى الناس - أنهم هم الذين اخترعوا تلك النصوص ونسبوها إلى بعض العلماء الأجلاء من آل البيت لتكتسب بذلك وجهاً عند عوام المسلمين فيتقبلوها، ليتم لأولئك ما أرادوه من نيات سيئة يبتئوها للإسلام والمسلمين.

\* \* \* \* \*

## الفصل الثامن

### الشيعة في العصر الحاضر وهل تغير خلفهم عن سلفهم؟

لقد تعمد علماء الشيعة مغالطات الناس قديماً وحديثاً في إبداء نظرهم إلى المخالفين لهم من سائر الناس ومن أهل السنة -بخصوصهم- متخذين من التقية منفذاً لكل ما يريدونه من قول أو فعل، كما أنها تظهر بين آونة وأخرى كتابات لهم تبدي في الظاهر تقاربهم من أهل السنة، فانخدع الكثير بتلك الدعايات ولكن تبين أن الشيعة سلفاً وخلفاً لم يتغير موقفهم قيد أنملة.

وتبين لأهل السنة ولكل مخلص أنه لم تُجدِ جميع المحاولات التي قاموا بها في دعوة الشيعة إلى التقارب، ذلك أن الشيعة قد قام دينهم من أول يوم على أساس التقية والكذب، كما تُصرح بذلك كتبهم الموثوقة لديهم مثل الكافي الذي هو بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة.

فهو مملوء بما لا يمكن أن يحصل بين الشيعة والسنة اتفاق ما داموا يعتبرونه مصدراً لهم، ويؤمنون بصحة ما فيه من الكفر والشرك ورفع الأئمة إلى مرتبة الألوهية في أبواب كثيرة منه يصرح فيها بأنه لا حق إلا ما أخذ عن الأئمة الذين يعلمون الغيب ويحق لهم التشريع كما يريدون.

وهذا الغلو بعيد جداً عن تعاليم الإسلام إضافة إلى ما جاء فيه من البشارة لليهود بعودة الحكم والتمكين لهم في الأرض حينما يظهر أمر الأئمة، كما في باب ((أن الأئمة إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ولا يُسألون البينة)).

قال: ويروى عن عمار الساباطي قوله لأبي عبد الله جعفر بم تحكمون إذا حكمتم؟ قال: بحكم الله وحكم داود.

كذلك موقف الغلاة منهم من القرآن الكريم واعتقادهم أن فيه نقصاً وتحريفاً، وكذلك موقفهم من الصحابة وما حكموا به عليهم من الكفر والردة وسبابهم الشنيع لهم، كل ذلك وغيره من عقائدهم الأخرى يجعل مانعاً قوياً بينهم وبين أهل السنة، وأقرب مثال على ذلك دار التقريب التي فتحت مؤخراً بين السنة والشيعة في القاهرة منذ زمن، واستمرت المحاولات على قدم وساق من جانب واحد وهو جانب أهل السنة.

وحينما تبين لأهل السنة أن هذه المحاولات لم تُجدِ شيئاً أصيبوا بخيبة أمل، وزاد الأمر وضوحاً لدى أهل السنة أن الشيعة لم يرضوا أن تفتح دور مماثلة للتقارب في النجف وقم وغيرها من

مراكز الشيعة لأنهم إنما يريدون من التقريب أن يتم بجذب أهل السنة إليهم وإلى غلوهم في التشيع فقط كما سبق ذكره.

ولقد حذر كبار علماء الإسلام منذ القدم من هؤلاء الشيعة، فقال الشافعي: ((ما رأيت في أهل الأهواء قوماً أشهد بالزور من الرافضة))<sup>(٣٥٦)</sup>.

وقال شريك بن عبد الله القاضي: ((أحمل عن كل من لقيت إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه ديناً))<sup>(٣٥٧)</sup>.

ومثل هذا الكلام قال الإمام مالك وابن المبارك وأبو زرعة وغيرهم والرازي والطحاوي والإمام أبو حنيفة وابن تيمية وابن القيم وغيرهم.

كما ردّ عليهم علماء معاصرون، وبينوا كفر الشيعة وعنادهم وكرههم لمن عداهم من المسلمين. كما حذر هؤلاء من الانخداع بهم، فارجع أيها المسلم إلى ما قاله عنهم هؤلاء الأفاضل، وانظر ما قاله الألوسي ومحب الدين الخطيب وبهجت البيطار ومحمد رشيد رضا والهاللي ومصطفى السباعي والمودودي وابن باز والشيخ الأمين، غيرهم من العلماء الذين عرفوا حقيقة الشيعة وبنسوا من التقارب معهم.

وقد وجدت الآن كتب تبين حقيقة الشيعة في هذا العصر الذي يقودهم فيه الخميني، وتبين أهداف الخميني ونواياه بالمسلمين من أهل السنة، ولعله يريد أن يعيد ما فعله ابن العلقمي سنة (٦٥٦) ببغداد بالخلافة الإسلامية من تشجيعه للتتار على التنكيل بالمسلمين وغير ذلك من الأحداث التي تشهد بمواقف الشيعة وخيانتهم.

ومما هو جدير بالتنبيه إليه أنه حينما اشتد الخلاف بين السنة والشيعة وأقلق ذلك الملك نادر شاه سنة (١١٥٦هـ) أمر بعقد مؤتمر في النجف يوم ٢٦/١٠/١١٥٦هـ حضره علماء السنة والشيعة من العراق وإيران والتركستان وأفغان لبحث هذه الأمور التي فرقت بين المسلمين حيث كُفر بعضهم بعضاً... الأفغان والتركستان يكفرون الإيرانيين لأنهم يسبون الشيخين، ويكفرون الصحابة ويقولون بجل المتعة، ويفضلون علياً على أبي بكر.

<sup>(٣٥٦)</sup> اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ١٠٩ نقلاً عن الشيعة في الميزان ص ١١٦ .

<sup>(٣٥٧)</sup> منهاج السنة ج ١ ص ١٣ نقلاً عن الشيعة في الميزان ص ١١٦ .

وبعد أن تم الاجتماع وحضرت جموع كثيرة من كلا الجانبين وبحشوا في تلك القضايا التي سجلها أهل السنة على الشيعة اتفق رأيهم على ما تنص عليه الوثيقة التالية:

((إن الله اقتضت حكمته إرسال الرسل، فلم يزل يرسل رسولا بعد رسول حتى جاءت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولما توفي وكان خاتم الأنبياء والمرسلين - اتفقت الأصحاب رضي الله عنهم على أفضلهم وأخيرهم وأعلمهم أبي بكر الصديق ابن أبي قحافة رضي الله عنه، فأجمعوا واتفقوا على بيعته كلهم حتى الإمام علي بن أبي طالب بطوعه واختياره من غير جبر أو إكراه فتمت له البيعة والخلافة .

وإجماع الصحابة رضي الله عنهم حجة قطعية، وقد مدحهم الله في كتابه المجيد فقال: **{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ}** (٣٥٨) وقال تعالى: **{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}** (٣٥٩).

وكانوا إذ ذاك سبعمائة صحابي، وكلهم حضروا بيعة الصديق، ثم عهد أبو بكر بالخلافة إلى عمر بن الخطاب فبايعه الصحابة كلهم حتى الإمام علي ابن أبي طالب، ثم اتفق رأيهم على عثمان بن عفان، ثم استشهد عثمان في الدار ولم يعهد بقبية الخلافة شاغرة، فاجتمع الصحابة في ذلك العصر على علي بن أبي طالب.

وكان هؤلاء الأربعة في مكان واحد، وفي عصر واحد، ولم يقع بينهم تشاجر ولا تخاصم ولا نزاع، بل كان كل منهم يحب الآخر ويمدحه ويثني عليه، حتى إن علياً رضي الله عنه سئل عن الشيخين فقال: هما إمامان عدلان قاسطان، كانا على حق وماتا على حق، فاعلموا أيها الإيرانيون أن فضلهم وخلفتهم على هذا الترتيب، فمن سبهم وانتقصهم فماله وولده وعياله ودمه حلال للشاة، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وقد سجلت وقائع هذا المؤتمر ومناقشاته والملابسات التي صحبتته في رسالة صغيرة بعنوان ((مؤتمر النجف)) (٣٦٠) وقد ضمت تلك الرسالة تفاصيل أخرى فيما دار من حوار بين الإيرانيين وعلماء الأفغان لا نرى ضرورة لتسجيلها هنا، بل اقتصرنا على ذكر الخلاصة التي انتهى

(٣٥٨) التوبة : ١٠٠

(٣٥٩) الفتح : ١٨

(٣٦٠) مؤتمر النجف مع الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص ٩١ - ٩٢ .

إليها المؤتمر، والتي تعتبر بمثابة توصية عامة يلتزم بها الجميع من أهل السنة والشيعة، وفيها - كما ترى - النص على ترك كل ما يثير الخلاف والفرقة بين المسلمين.

ولو التزم الشيعة بعد ذلك بهذه الوثيقة لاجتمع أمر المسلمين على كلمة سواء، ولكن الشيعة لم يلتزموا بهذا الاتفاق بل كانوا يراوغون ويخادعون.

وشيعة اليوم لا يختلفون عن شيعة الأُمس في المراوغة والكيد، وفي الغلو أيضاً، فهذا الخميني زعيم ثورتهم في إيران يصرح بتعصبه الشديد وخروجه عن الحق في الأئمة، ورفعهم فوق مكانتهم البشرية فهو يقول:

((إنهم عليهم السلام يختلفون عن سائر الناس اختلافاً في قدم الخلق وفي الوجود، ولهم مع الرب تعالى مرتبة لا يدانيها ملك مقرب ولا نبي مرسل)) (٣٦١).

ولهم نشاط في استجلاب الناس إليهم حتى انخدع كثير من أهل السنة بهم وصاروا شيعة، ووصل عددهم كما زعم الخميني (٢٠٠) مائتي مليون شيعي (٣٦٢).

وإرضاءهم لعلماء السنة بالكلمات الجميلة إنما هو من باب التقية حتى يتمكنوا من إتمام مخططاتهم في إقامة دولة شيعية عالمية.

وفي هذا يقول الخميني: ((لا تبعدوا الناس عنكم الواحد تلو الآخر، لا تكيلوا التهم لهم بالوهابية تارة وبالكفر أخرى، فمن يبقى حولكم إذا عمدتم إلى ممارسة هذا الأسلوب)) (٣٦٣).

وهو بهذه النصيحة إنما يريد أن يحثهم على معرفة طريق الخداع والنفاق، وإلا فإن قلبه - كما تشهد بذلك كتبه - يغلي حقداً على أهل الحق ابتداءً بأبي بكر وانتهاءً بالموجودين في عصره.

ولهذا فقد أمر الخميني الحجاج الإيرانيين بأن يصلوا مع أهل السنة تقية منهم وخداعاً للناس، كما كان يفعل قادة الشيعة حينما كانوا يصلون خلف أهل السنة أحياناً ثم يعيدون صلاتهم بعد

ذلك، كما صرح بهذا أحد علماء الشيعة المعاصرين حين قال الدكتور موسى الموسوي:

((وعندما أكتب هذه السطور هناك آلاف مؤلفة من الشيعة الإمامية يعملون بالتقية في

أعمالهم الشرعية، فهم يحملون معهم التربة الحسينية التي يسجدون عليها في مساجدهم، ولكنهم

(٣٦١) ولاية الفقيه والحكومة الإسلامية للخميني ص ٦١ .

(٣٦٢) انظر كتاب ولاية الفقيه ص ١٣٧ .

(٣٦٣) سراب في إيران ص ٣٩ نقلاً عن الخميني في أقواله وأفعاله لأحمد مغنية ص ١٦٧ .

يخفونها في مساجد الفرق الإسلامية الأخرى، وكثير منهم يقيمون الصلوات في مساجد السنة مقتدياً بإمام المسجد وإذا عادوا إلى بيوتهم أعادوا الصلاة عملاً بالتقية معتمدين على روايات نسبت إلى أئمة الشيعة في التقية)) (٣٦٤).

ولقد بلغ الحقد الشيعي على المسلمين - وخصوصاً أهل السنة - في عصرنا الحاضر إلى حد الاستهتار بدماء المسلمين وأعراضهم، وتهديد أمنهم في بيوتهم ولعل ما فعلوه في مكة المكرمة في حج عام ١٤٠٧ هـ أقوى شاهد على مدى حقدهم، ونظرتهم إلى المخالفين لهم، حينما تظاهروا في الحج ما يقارب مائة وخمسين ألفاً، وهجموا يريدون الكعبة، وتجمعوا في مظاهرات غوغائية، وكانوا يهدفون إلى تحقيق مخطط رهيب رافعين شعاراتهم وصور زعيمهم الخميني، وتقدموا رجالاً ونساءً يريدون الحرم، لولا أن الله تعالى وبفضله ثم يقظة الحكومة السعودية لنجح مخطط أولئك. وحيل بينهم وبين دخول الحرم، واشتبكوا مع المسلمين من المواطنين والجنود وبقية الحجاج من المسلمين في قتال ضار، أريقت فيه دماء المسلمين الأبرياء، وراح زعمائهم يلقون التهديدات بشتى الأساليب للكرة مرة أخرى، وسيردّ الله كيدهم إلى نحورهم: {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ} (٣٦٥).

وقد حدث بالفعل أيضاً أن أوعزوا إلى بعض عملائهم في حج عام ١٤٠٩ هـ بزرع متفجرات حول الحرم المكي الشريف في يوم ٧ ذي الحجة، وقام هؤلاء بهذه الجريمة النكراء وراح ضحيتها حجاج أبرياء جاؤوا لأداء فريضة الحج، ثم اندس أولئك العملاء في الناس، وظنوا أنهم نفذوا جريمتهم، وشفوا حقد صدورهم.

ولكن الله أطلع الحكومة السعودية بتوقيفه فنالوا جزاءهم في الدنيا بتنفيذ حكم الله في المحاربين، وقتلوا وسجن بعضهم.. مع أن الحج نفسه لم يكن هدف الحجاج الإيرانيين، بل الهدف زيارة مرقد الرسول صلى الله عليه وسلم ومرقد الأولياء كما صرحوا بهذا في منشور المظاهرة التي نظموها عام ١٤٠٦ هـ جاء فيه:

(٣٦٤) الشيعة والتصحيح ص ٥٨ .

(٣٦٥) المائدة : ٦٤

((فإننا نحن حجاج بيت الله القادمون من كل فج عميق لزيارة مرقد خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وأولياء الله الصالحين والصلاة في مسجد الرسول، خرجنا اليوم في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيرة... إلخ في ٢٥/١١/١٤٠٦هـ.

ولا ينبغي كذلك أن ننسى ما يفعلونه اليوم والحرب تدور رحاها في لبنان ليلاً ونهاراً كيف تعامل أحزابهم الكثيرة المسلمين من أهل السنة بخصوصهم بكل قسوة وعنف وكيف تفننوا في التنكيل لهم كما تفعل اليهود أو أشد - كما يروي البعض - مع تظاهرهم بالإسلام وهم والنصيريون يد واحدة ذئاب شرسة على الإسلام والمسلمين.

وهم على وتيرة واحدة سلفهم وخلفهم من أشد أعداء أهل السنة ومن أكثرهم تأمراً عليهم، ولقد كان المسلمون يُذبجون في بغداد ويحرقون بالألوف أمام ابن العلقمي والنصير الطوسي وهما يدلان التتار على عورات المسلمين، وعلى كتبهم وعلى أماكن اختبائهم، وكانا يظهران الفرح والشماتة بالمسلمين، ثم تلت ذلك أحداث لا حصر لها كان هؤلاء الشيعة أنكى الناس والمثلل كلها بالمسلمين.

ولا غرابة في هذا منهم ماداموا قد أبغضوا خيرة أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم، ولعنوهم في كل صباح ومساء ورووا في مثالبهم ما لا يفعله الوثنيون، ويتنزه عنه الإباحيون، ويكفي أنهم حكموا عليهم بأنهم ارتدوا عن دين الإسلام، وأخفوا كثيراً من القرآن، وقذفوا أم المؤمنين. وفي عصرنا الحاضر من الأمثلة ما لا يكاد يحصر، ويكفي أنهم يسمون أهل السنة والجماعة ((النواصب)) ثم يكيلون لهم اللعنات وأشد الافتراءات، بل ويفضلون الكلاب عليهم ويعتبرونهم من المغضوب عليهم عند الله، ولم يعترفوا لهم بأقل الصفات البشرية.

يقول الخميني في حكمه على أهل السنة الذين يسميهم نواصب: ((وأما النواصب والخوارج -لعنهم الله تعالى- فهما نجسان من غير توقف))<sup>(٣٦٦)</sup>.

ويقول في مساواة المسلمين بغير المسلمين في التذكية بالكلب المعلم.  
((الثاني: أن يكون المرسل مسلماً أو بحكمه، كالصبي الملحق به بشرط كونه مميزاً، فلو أرسله كافر بجميع أنواعه، أو من كان بحكمه كالنواصب لعنهم الله لم يحل أكل ما قتله))<sup>(٣٦٧)</sup>

<sup>(٣٦٦)</sup> تحرير الوسيلة ج ١ ص ١١٨ القول في النجاسات المسألة العاشرة .

بل ويرى عدم جواز الصلاة على ميت أهل السنة الذين يسميهم زورا بالنواصب فقال:  
((يجب الصلاة على كل مسلم وإن كان مخالفاً للحق على الأصح، ولا يجوز على الكافر  
بأقسامه حتى المرتد، ومن حكم بكفره ممن انتحل الإسلام كالنواصب والخوارج))<sup>(٣٦٨)</sup>.  
ثم أدركه عرق السوء الذي جعل أسلافه يعتقدون بأن في القرآن تحريفاً وزيادة ونقصاً فهو  
يقرر ما يلي:

((مسألة: سورة الفيل والإيلاف سورة واحدة، وكذلك الضحى وألم نشرح فلا تجزئ واحدة  
منها، بل لا بد من الجمع مرتباً مع البسملة الواقعة في البين))<sup>(٣٦٩)</sup> أي أنه لم يكن على اقتناع من  
وضع القرآن وترتيبه.

\* \* \* \* \*

---

(٣٦٧) المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٦ .  
(٣٦٨) المصدر السابق ج ١ ص ٧٩ .  
(٣٦٩) المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٥ .

## الفصل التاسع

### الحكم على الشيعة

يسأل كثير من الدارسين عن حكم الشيعة... هل هم كفار خارجون عن الملة، أم هم في عداد الفرق الإسلامية؟

وبغض النظر عن اختلاف وجهات نظر العلماء في الحكم عليهم، وبغض النظر أيضاً عما يورده كل فريق من أدلة على ما يذهب إليه فإن الواقع يدل على أن الحكم على الشيعة أو غيرهم من الفرق بحكم واحد يحتاج إلى تفصيل

فأما بالنسبة للشيعة بخصوصهم الذي اتضح لي:

١- أن الشيعة ليسوا جميعاً على مبدأ واحد في غير دعوى التشيع، فمنهم الغلاة الخارجون عن الملة بدون شك، ومنهم من يصدق عليهم أنهم مبتدعون متفاوتون في ابتداعهم، فبعضهم أقرب من البعض الآخر.

٢- أن الثبوت في تكفير المعين أمر لا بد منه، إذ ليس كل من انتسب إلى طائفة خارجة عن مذهب السلف في بعض القضايا يحق تكفيره.

٣- ليس معنى الثبوت في تكفير المعين أننا لا نطلق على الطائفة الخارجة عن الحق ألفاظ التبديع والتضليل والخروج عن الجماعة، لأن ذلك الحكم خاص بتعيين الأفراد لا الجماعة عموماً، خصوصاً من وجدنا نصاً فيهم.

وعلى هذا فالحكم العام على الشيعة أنهم ضلال فساق خارجون عن الحق، وهالكون مع الفرق التي أخبرت عنها الأحاديث - حكم لا غبار عليه.

٤- اتضح أن الشيعة عندهم مبادئ ثابتة في كتبهم المعتمدة، قررها رجالاتهم المعتبرون قدوة في مذاهبهم، من قال - ولو ببعض من تلك المبادئ - فلا شك في خروجه عن الملة الإسلامية، ومنها:

أ- قولهم بتحريف القرآن وأنه وقع فيه الزيادة والنقص حين جمعه أفاضل الصحابة رضوان الله عليهم، كما صرح بذلك الطبرسي في كتاب ((فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب))، وغيره من كتب الشيعة، وانتظارهم أيضاً مصحف فاطمة كما يزعمون.

ب- غلوهم في أئمتهم وتفضيلهم على سائر الأنبياء كما ملئت بذلك كتبهم القديمة،  
والحديث، الكافي وما كتبه الخميني في العصر الحديث.

ج - غلوهم في بُغض الصحابة ممن شهد الله لهم بالفوز والنجاة، كأبي بكر وعمر وعثمان  
وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحفصة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، وردهم شهادة أم  
المؤمنين رضي الله عنها، وبقاؤهم على عداوتها وإفكهم عليها، واعتبارها عدوة وليست بأم، وهذا  
حق، فإنها ليست لمثل هؤلاء بأم، فهي أم المؤمنين فقط.

د- قولهم بالبذاء على الله تعالى، وقد تنزه الله عن ذلك.  
ومواقف أخرى يصل خلافهم فيها إلى سلب العقيدة الإسلامية من جذورها في كل قلب  
تشبع بها.

وأما من لم يقل بتلك المبادئ، وكان له اعتقادات أخرى لا تخرجه عن الدين، فإنه تقام عليه  
الحجة ثم يحكم عليه بعد ذلك حسب قبوله الحق أو رده له.

\* \* \* \* \*

## من مراجع فرقة الشيعة

١. كتاب الكافي: للكليني.
٢. فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب: للطبرسي.
٣. تحرير الوسيلة: للخميني.
٤. كتاب الغيبة: للطوسي.
٥. ولاية الفقيه: للخميني.
٦. الشعائر الحسينية: للشيرازي.
٧. فرق الشيعة: للنوختي.
٨. مختصر التحفة الاثني عشرية... للآلوسي.
٩. الفقه الجعفري وأصوله: للسالوس.
١٠. الرد على الرافضة: للمقدسي.
١١. المراجعات: للعالمي مع الرد عليها للزنجي.
١٢. وجاء دور المجوس: للغريب.
١٣. أمل والمخيمات الفلسطينية: للغريب.
١٤. الخميني بين التطرف والاعتدال: للغريب.
١٥. أبهة الجديد: لقنديل.
١٦. سراب في إيران: للأفغاني.
١٧. الثورة البائسة: للموسوي.
١٨. الشيعة في الميزان: للنجرامي.
١٩. الشيعة وتحريف القرآن: لمحمد مال الله.
٢٠. الشيعة والتصحيح: للموسوي.
٢١. عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام: لسليمان حمد العودة.
٢٢. عبد الله بن سبأ حقيقة لا خيال: لسعدي الهاشمي.

٢٣ . السبئيون منهجاً وغاية: د. حمدي عبد العال.

٢٤ . إحسان إلهي ظهير في كتبه:

١ . الشيعة والسنة.

٢ . الشيعة وأهل البيت.

٣ . الشيعة والقرآن.

٤ . الشيعة والتشيع.

والحمد لله رب العالمين.

\* \* \* \* \*